
الطبعة
الرابعة
عفريت العلبة
عمرو الذالي
ساحر الكتب



عفريـت العلـبة





الطبعة الأولى
١٤٣٧هـ-٢٠١٦م

اسم الكتاب	: عفريت العلبة
اسم المؤلف	: د. عمرو البدالي
الغلاف	: إيمان صلاح
التصحيح اللغوي	: خالد رجب عواد
الطبعة	: الأولى
رقم الإيداع	: ٢٠١٦/٧٢٤٥
الترقيم الدولي	: ٩-٠٦٥-٧٨٦-٩٧٧-٩٧٨

٨ عمارات الواحة – قطعة ١٠ – مدينة نصر - القاهرة
ت: ٠١١١٠٣٧١٦٤٠
ghorabpublishing@hotmial.com



عفريـــت العلـــبة

رواية

د / عمرو البدالي







اذكروني

(اليوم الأخير) (الساعة الثانية قبل بزوغ الفجر)

أجلس بمفـردي وحيـدًا شريـدًا أُغالِـبُ أحـزاني...داخـل منـزلي الكئيب بمنطقة المنيل ..لم يتبقَّ لي شيءٌ أتَّكئُ عليه لأكمل ما تبقى لي من العمر..كنـتُ أظنُّهـا البدايـة، وسـعيتُ كثـيرًا لالتقـاط روحـي مـرارًا وتكرارًا، ولكنها باغتتني بالنهاية...نهاية مشواري بتلـك الحيـاة المليئـة بالمرار ..

أنا أمير كاظم نصر الدين ..قضيتُ بين قضبان هذه الـدنيا أربعـين عامًا، وأظنها كافية لرحيلي بعيدًا...لعلي أتخلص مما يغصُّ في قلبي من ألم يزداد مع كل نبض جديد..

كان قلبي يحدثني دائمًا أنه لا فائدة..كُتبت عليَّ اللعنة طُـوال حيـاتي ...هربت وصارعت وتواريت ومع ذلك تُلاحقني نفس اللعنة..

أجلسُ الآن في شُرفة منزلي يفصلني عن الفجر أقل من ساعة...



أنظرُ إلى السماء، أبحثُ عن القمر فلا أراه..إنها ليلة ظلماء..يخيم السكون على كل جوانبها ...أبحثُ برئتي عن هواء نقي أستنشقه فلا أجد..أرتعش ...أرتبك... يخرج صوت عبد الحليم حافظ من ذلك المذياع القديم المحمل بالأتربة ليخترق أنفاسي ...يحبسها...يواجهها بضعفها أمام ذكراها ..بصورتها التي لم تفارق خيالي مطلقا...

أحببتها ...أحببتها بكل ما أملك داخلي من مشاعر ..أسلمتُها قلبي منذ رأيتها ..وما زلتُ أعشقُها.

- أنت قلبي فلا تخف وأجب هل تحبها؟

وإلى الآن لم يزل نابضًا فيكَ حُبُّها

لستَ قلبي لإذن إنما أنت قلبُها

سأموت حتمًا...سأنتهي ...إن لم أكن كذلك بالفعل..من الصعب على المرء أن يجزم بأنه على قيد الحياة...كثيرون يعيشون حولنا كالموتى وقد نكون منهم ونحن لا ندري مع أنا نراهم أمنا ..بل كثير من الموتى يظلون أحياء حولنا دون حتى أن نراهم ..

أمسك بقلمي مرتعشًا..أحاول جاهدًا أن أعاود عادتي القديمة...الكتابة...كنت أشعرُ بأنني أتنفس فقط حين أكتب على الرغم من عدم اكتمال أي عمل كتبتُه ...حاولتُ مرارًا وتكرارًا إكمال حتى ولو رواية واحدة ...لم أستطع...كان هناك شيء ما يمنعني ويقهرني



.. يوثق يديَّ ويجثُم على صدري ..كنت أفقد القوة في منتصف الطريق..

...ولكنني سأصمد هذه المرة...لعلها تكون الأخيرة..لا أدري من أين أبدأ..

- كيف يا قلبُ ترتضي طعنةَ الغدر في خشوع

وتُداري جحودها في رداءٍ من الدموع

لستَ قلبي وإنما خِنجر أنتَ في الضلوع

أبتسمُ والحسرة تُمزِّقُني، وأتساءل: هل غنى عبد الحليم تلك الأغنية عن حالي؟ أظنها كُتبت لي..

لا ...عليَّ أن أركِّز الآن ..سأُغلق ذلك المِذياع...

والآن..أمسك قلمي مُرتعشًا لأخطَّ به على أوراقي ..

تتساقط دموعي تتلمس حضنا دافئا يحتويها فلا تجد ..فترتمي على أوراقي لعلها تجد فيمن سيقرؤها بعدي بعض الحنان والشفقة ...

شردتُ كثيرًا قبل أن أُقرِّرَ البداية..

- قررتُ أنا أمير كاظم نصر الدين، وأنا بكامل قواي العقلية أن أنهي حياتي تلك الحمقاء؛ لعلي أجد ما افتقدته في حياة أخرى، ولو أنني لن أجد فأنتم الخاسرون ..أظن أنني سأكون الرابح الوحيد..

ولكن ...أي حياة سأنهيها وأنا لا أعرف إن كنتُ على قَيْدِها أم لا ...سؤال يُمزِّقُني ولا أجد له إجابة: هل أنا على قيد الحياة؟



لن يستطيع أحد إجابة ذلك السؤال مهما يكن..حتى وإن كان يعج بمظاهر تلك الحياة...يتنفس ويأكل ويشرب ويضحك ويعيش ...لن يستطيع الجزم بذلك أبدًا...قد يكون كل من حولك موتى وأنت لا تدري ..وقد تكون أنتَ الميت الوحيد ..لن تدري..ولن يدري أحد أبدًا..

ملحوظة أخيرة...

- إن وجدتُم قلبي حيًّا بعدى فاقتلوه.

والآن وقد سطرتُ بيدي النهاية...عليَّ أن أبدأ..إنها قصتي ...سأسطرها لكم بيدي المرتعشة ..قصة شخص بدأت منذ أربعين عامًا ..ولكنها انتهت في مئة يوم ..وقد تكون قبل ذلك بكثير...من يدري؟ أتعجَّلُ نهايتي الحتمية باشتياق العاشق الولهان، ولكن عليَّ أولًا أن أكتب قصة ال ١٠٠ يوم الأخيرة لتكون عبرة لِمَنْ بعدي...

وسأبدأ بكلمتي التي ستوضع في أول صفحة كعادة هؤلاء الروائيين والكتاب المخضرمين،

نعم ليس هناك أعمق من تلك الكلمة، أُفسِّرُ بها ما أشعرُ به في جملة واحدة:

- عشت كالمسلوبة روحُه، وسأموت بحثًا عنها ..اذكروني.



ارتباك

(قبل ذلك ب ١٠٠ يوم) (اليوم الأول) (الساعة الواحدة ظهرًا)

كان يومًا غائمًا ينذر بهطول المطر الغزير..امتلأت السماء بالغيوم المحتقنة ..وكأنها تستعد لهجوم شرس بسلاحها المستديم...لم تنسَ السماء ذلك اليوم التي انتصرت فيه على من يسكنون أسفلها ...يوم أن غمرتهم جميعًا بالمياه فلم يبقَ منهم إلا من شاء الله له الحياة...يوم ذلك الطوفان العظيم..طوفان نوح ..كان ذلك منذ زمن سحيق...ولم يتكرر مرة ثانية ...وإن كانت تتمنى ذلك، ولكن لم يحن الوقت بعد..

جلس أبو الوفا إسماعيل مندور ذلك الرجل حاد الملامح، البالغ من العمر التاسعة والثلاثين عامًا...

جلس مهمومًا يعتصره قلقه المتزايد على ذلك الكرسي الخشبي المتهالك ...ناظرًا إلى السماء بضيق...قلبه يشعر بانقباض ما ...شَرٌّ ما سيحدث ...حالة من الارتباك يشعر بها منذ الصباح الباكر ...فتح



عينيه على صراخ سيدات مات عائلهن ..وعلى الرغم من تكرار ذلك يوميًّا بل كل دقيقة يموت أحدهم لكن، لا تكف النساء عن الصراخ والعويل، ولا يكف هو عن الإحساس بالانقباض والارتباك في كل مرة يستمع فيها لصراخهن ...لم يدرِ أبو الوفا عواقب ما يُقدِمُ عليه ولكنه مُجبَرٌ على ما هو فيه...تحسَّسَ أبو الوفا تلك النُّدبة أسفل عينيه اليُسرى...كانت واضحة على الرغم من تلك النظارة الكبيرة التي تغطي نصف وجهه .. تحسسها متذكرًا تلك اللحظة التي مرت بها تلك المطواة المعتدية على وجهه لتترك إمضاءها إلى الأبد في ذلك اليوم المشؤوم الذي طالما حاول نسيانه ...يوم العِراك العظيم...تشاجر أبو الوفا يومها مع خمسة عشر فردًا في آن واحد، وأصابهم إصابات بالغة ولكن مطواة أحدهم لم تضل طريقها إلى وجهه لتترك تلك النُّدبة كتذكار أليم...

نظر أبو الوفا متوترًا حوله وربت بيده على شنطة سمراء اللون تخفي ما بداخلها موضوعة بجواره على كرسي آخر كتلك الشنط المُستخدمة في جمع الأوساخ والمُخلفات..

وُضعت نارجيلة أمامه ..مَدَّ يده ليسحب منها أول نفس .. نفس عميق، وكأنه يستنشق هواء نَقيًّا فجأة...كتمه لحظات مستمتعًا ...أخرجه وقد ملأت الراحة اللحظية وجهه محاولًا التغلب على توتره المستفحل ..

مرت دقائق عديدة وهو على ذلك الوضع ينظر للمارة يمينًا ويسارًا.



زحام شديد بالقرب منه ...نداءات البائعين تخترق أذنيه مختلطة كعادتها في تلك السوق المزدحمة ...سوق الغورية...

- حمرا يا أوطه...حمرا يا أوطه
- معسلة يا بطاطا...معسلة يا بطاطا
- وبخمسة جنيه..وبخمسة جنيه
- وتعالى ...تعالى...تعالى...تعاااااالى

امتزجت بأصواتهم أصوات دق قطع الدومينو على المناضد الخشبية المتهالكة من رواد تلك القهوة وسط تلك السوق المكتظة بالضجيج

انبعث صوت الموسيقى من مذياع المقهي عالية للغاية..تهتز سماعاته مخرجًا تلك النغمات السريعة الواسمة لعصرنا الحالي المسماة بموسيقى المهرجانات..تلك الموسيقى التي تلتصق بأذنيك قهرًا ..

امتزاج الأصوات يزيد من توتره المتنامي..كان خائفًا من شيء ما ... مرتبكًا ..نظر أبو الوفا حوله في كل مكان متوقعًا أن يراه في أي لحظة..

فجأة ظهر المنتظر...دخل بتوكتوكه مخترقًا ذلك الزحام اللامتناهي ..هبط منه مرزوق، رجل في العقد الرابع من عمره وممسك بشنطة مماثله لتلك التي بجوار أبي الوفا.

تنفس أبو الوفا الصعداء حين رآه...شعر أن معاناته قد اقتربت على الانتهاء..جلس مرزوق بجواره مبتسمًا ابتسامته البلهاء المميزة له..



وقف ثلاثة رجال أعلى البناية أمام المقهي المكونة من أربعة ادوار ...يراقبون ما يحدث دون أن يشعر بهم أبو الوفا...علامات الشر الصارخ تقفز من أعينهم.

كان مرتضى الدهشان يتوسطهم ...ويبدو أنه زعيمهم...جميعهم في العقد الرابع من العمر ..هيئتهم لا تدلُّ على أنهم رجال شرطة مُطلقًا...حين تنظر إليهم للوهلة الأولى تعرف أنهم رجال إحدى العصابات ...كذلك المرشد الذي تفضحه هيئته..كانوا مفضوحين، ولكنهم مختفون أعلى البناية..يرونه ولا يراهم...يتابعونه ولا يكشفهم سوى ذلك الدجاج المنتشر على سطح تلك البناية خارج عشته ..

صفق مرزوق بيديه محافظًا على ابتسامته البلهاء ...ليأتي له القهوجي مسرعًا

- واحد شاي خمسينة سكر خفيف.

- وعندك واحد خمسينة سكر خفيف.

نظر إليه أبو الوفا والقلق يغطي وجهه أكثر من تلك النظارة معدومة الفائدة، فلا وجود لأشعة الشمس ذلك اليوم، فقد غابت خلف تلك الغيوم المتوحشة ..متسائلا:

- إنت لسه هتقعد وتشرب شاي؟

- جرى إيه يا عم أبو الوفا ...منظبطش الطاسه يعني ..متفكك بقه من جو القلق اللي انت فيه ده، ولابسلي نضاره وطاقيه، إيه يا عم شغل المخبرين ده!



- دي فيها قطع رقبة يا مرزوق.

- يعني هو فيه حاجة في الدنيا مفيهاش قطع رقبة؟ اللي عاوز يعيش لازمن يخاطر ويشق طريقه

وسط الغيلان ..تشرب شاي؟

كان القهوجي قد وضع كوب الشاي أمامه، وبدأ مرزوق في رشفه باستمتاع،

نظر أبو الوفا حوله ليشعر بوجوه غريبة تملأ السوق في نفس اللحظة التي اكتشف فيها مرتضى الدهشان ذلك من اعلي البناية ليهمس للاثنين الآخرين:

- فيه حركة مش طبيعية في السوق.

كانا من نفس نوعية مرزوق يحملان على وجهيهما نفس الابتسامة البلهاء.

رد عبد المقصود ببلهٍ يقفز من عينيه:

- مفيش حاجة دى ناس غلابة بتشتري خضار لعيالها.

وتبعه عبد الغني بنفس النظرة:

- هيبقى فل الفل يا جدعان هي يعني أول مرة يا عبد المقصود متقلقش يا ريس.

- الحرص واجب برضه يا عبد الغني.



- يا عم انت اللي بتخاف وقلبك رهيف زي ورقه الخصاية.

- أنا مبخافش يا عبد الغني وانت عارف تلاقيك انت اللي مرعوب أصل قلبك رقيق زي البسكوتة.

- أنا مبخافش يا عبد المقصود وانت عارف

- بس اسكت يا بغل إنت وهو بلاش غلبة، أنا أستاهل ضرب الجزمة إني جبتكم معايا

طالع بعيال أختي أنا!

- يا ريس ..

- اخرس مش عاوز اسمع حس حد فيكم

صرخ فيهما بحدة ...كانت تلك هي الطريقة الوحيدة النافذة معهما، ولولاها لكانا استمرا حتى مطلع الفجر على نفس المنوال.

نظر مرتضى ناحية أحد البائعين ووجده ينظر ناحية أبي الوفا شذرًا ويهمسُ لبائعٍ آخر،

كان أبو الوفا لاحظ ذلك أيضًا فزاد توتره، استبدل شنطة مرزوق بشنطته السوداء، ونهض سريعًا

- أنا همشي.

نظر إليه مرزوق مبتسمًا:

- مش تتأكد من الفلوس؟



- الدار أمان ..البضاعة معاك سلاموا عليكوا.

- طب ما تستنى لما اوصلك بالتوكتوك ..ده انا معايا شريط أوكا وأورتيجا الجديد.

صرخت السماء فجأة ...تساقطت الأمطار بغزاره ...اضطرب المارة يبحثون عن ملجأ لهم من الأمطار.

تفاجأ أبو الوفا بمجموعة من الجنود تقترب من مدخل السوق مدججين بأسلحتهم منتشرين بسرعة خاطفة ..صوت سارينة سيارة الشرطة تشق الضجيج حوله وتمتزج معه.

مرتضى الدهشان تجحظ عيناه من المفاجأة، ويختبأ أسفل سور تلك البناية صارخًا في الاثنين الآخرين:

- استخبى يا حمار انت وهو.

- حاضر يا ريس.

يقفز أحد البائعين جريًا للأمام شاهرًا سلاحه باتجاه أبي الوفا.

- إوعى حد يتحرك ..مكانك انت وهو.

كان ذلك هو المقدم حسام شوكت البالغ من العمر خمسة وثلاثين عامًا ..المشهور وسط زملائه بلقب القناص..ليس لأنه ماهر في إطلاق الرصاص ولكن لانقضاضه على فريسته بمهارة ..يقتنصها ..ومن الصعب بل المستحيل أن يهرب أي مجرم من أنيابه الحادة.



وفي أقل من ثانية كان أبو الوفا يحتمي بمرزوق واضعًا إياه كحائط صَدٍّ أمام مسدس القناص الذي لم يتوانَ وأطلق أول رصاصة من مسدسه فسكنت بصدر مرزوق وأردته قتيلًا في الحال.

بدا التوتر على وجوه مرتضى ورجاله، والخوف تملكهم أسفل سور البناية، وكادوا أن يكتموا أنفاسهم خوفًا من أن يسمعهم أحد.

أبو الوفا يُلقي مرزوق للأمام ويجري وسط تدافع الناس الهاربين من الأمطار المضاف إليها الآن طلقات الرصاص التي تخرج من مسدس حسام شوكت مُحاولةً اقتناص أبي الوفا والإيقاع به، ولكن حالة الهرج والمرج بالمكان ساعدت أبا الوفا على تفادي تلك الطلقات لتستقر في أشخاص آخرين سيِّئي الحظ، انتهت أعمارهم لمجرد أنهم كانوا يشترون خضراوات في تلك اللحظة.

جرى أبو الوفا بكل ما لديه من قوة وجرى وراءه القناص...

كان أبو الوفا ممسكًا بتلك الشنطة السوداء التي استبدلها مع مرزوق رحمه الله...متشبثًا بها.

نظر مرتضى الدهشان متلصصًا من أعلى جاحظ العين، ناظرًا إلى جثة مرزوق الممدة على الأرض بجوار شنطة أبي الوفا السوداء غارقًا في دمائه والجنود حوله هامسًا:

- البضاعة...

خرج أبو الوفا من السوق بأعجوبة وقفز في تاكسي كان واقفًا بانتظاره وصرخ في سائقه:



- اطلع بسرعة..بسرررررررررررررررررعه

انطلق التاكسي سريعًا بأقصى سرعـة، ولكـن كـان القنـاص وراءه سائقًا لعربة الشرطة الملقبة بالبوكس وسارينة الشرطة مـا زالـت تطـارد أذن أبي الوفا ذلك الصوت اللعين الذي طالما خافـه أبـو الوفـا وطالمـا تجنَّبه.

فتح أبو الوفا شنطته السوداء ليخرج رزمة من النقود.

يبتسم السائق مداعبًا أبا الوفا:

- ما تدينى رزمة من دول أشممهم للعيال.

بدء حسام شـوكت في إطـلاق الرصـاص عـلى التاكـسي ..حـاول السائق الهروب منه في شوارع مختلفة...الأرض مبتلة ويصعب السيطرة على عجلة القيادة وخاصة في الـسرعات العاليـة، ولكـن لـيس أمـامهما خيار آخر.

أبو الوفا عليه الهروب، والقناص عليه القـبض عليـه بـأي طريقـه خاصة أنه لم يكشف شخصيته حتى تلك اللحظة، فقد نجحت النظـارة الكبيرة في إخفاء وجهه.

أخرج أبو الوفا موبايله وتحدث فيه بعصبية شـديدة وسـط هطـول الأمطار والرصاص على التاكسي الذي يُقلُّه.

- البوليس كان مرشق المكان.

أهدى إيه ونيلة إيه يا معلم نبوي

أنا كان بيني وبين الموت خطوة

لا ...الفلوس معايا

لا ...مرزوق باينه مات

والبضاعة مسكها البوليس

وأنا مال أمي؟

كانوا قاطرينا وبنحاول نهرب منهم.

قالها وهو ينظر للخلف بأمل زائف في الهروب من أيدي ذلك القناص المصر على إمساكهما.

- انا ماليش دعوة يا معلم نبوي

فكك مني في الموضوع ده بعد كده ...ماشي؟

فجأة يُصاب السائق برصاصة في كتفه وتختل عجلة القيادة، يقذف أبو الوفا التليفون بأرضية التاكسي ويحاول الإمساك بعجلة القيادة، يترنح التاكسي يمينًا ويسارًا ويكاد أن يصطدم عدة مرات.

يفتح أبو الوفا باب التاكسي ويقذف السائق بالخارج:

- معلش يا صاحبي يا روح ما بعدك روح.

أغلق الباب وتولَّى هو عجلة القيادة، نَظَرَ بتحدٍّ في مرآة السيارة ليجد القناص يدهس بإطارات سيارته صديقه السائق دون أن يتوانى أو يرحمه ليلحق به.



يزيد أبو الوفا من سرعته داعيًا الله ألا يقابل أي زحام يوقفه ...إلى الآن هو في قمة حظه، ويكاد يكون الوحيد الذي استطاع الهروب من براثن ذلك القناص..ولكن حتمًا الأمر لم ينتهِ بعد..ما زال يحاول أن يغرز براثنه في جسد أبي الوفا وسط تلك الأمطار المتزايدة ..التحدي يزداد على وجه حسام شوكت...يقفز من عينيه نظرة انتقام من ذلك المجرم الذي استطاع الهروب منه ...

طرأت لأبي الوفا فكرة جنونية...دخل بالتاكسي في الطريق المعاكس...تبعه القناص

اتخذت المطاردة أعنف صورها...كاد الاثنان أن يصطدما بأكثر من سيارة ويتسببا في كارثة مروعة.

أصر أبو الوفا على الهروب ...

أصر القناص على الإمساك به.

وبين إصرارهما توشك كارثة على الحدوث قد يموت فيها الكثيرون، كاد أبو الوفا الاصطدام بسيارة نصف نقل كبيرة، ولكنه تفاداها في آخر لحظة.

لكن القناص لم يتمكن في مفاداتها اصطدم في مؤخرتها وانقلبت سيارة الشرطة به عدة مرات، واستقرت على جانب الطريق دون أن تصطدم بأي سيارة أخرى.

نظر أبو الوفا خلفه في المرآة وإحساس الزهو والانتصار يملؤه.



انتصر أبو الوفا على القناص..ابتعد بالتاكسي في هدوء ..هازمًا قلقه وتوتره ..قهر إحساسه بالخوف والرعب. قضى على ذلك الشبح المطارد له منذ بداية اليوم..المارد المهدد لحياته بالانتهاء، أو حتى إدخاله في سلسلة من الارتباكات لا يرغب في أن يعايشها.

انتصر أبو الوفا على الوحش...انتصر على الارتباك.



عنبر ٦

(بعدها ب ٢٠ يومًا) (اليوم العشرون) (الساعة العاشرة صباحًا)

تسلل صوت سارينة عربة الشرطة ليقبض قلبه..ذلك الصوت الكريه بالنسبه له ..نظر إلى الطرق من شباك العربة شاردًا، وامتلأت عيناه بالدموع الحبيسة.. تساؤلات لعينة تطارد عقله...لم يفكر لحظة في ذلك التحول العجيب، ولم يخطر على باله مطلقًا ما هو مقدم عليه الآن ...لكنه يعرف جيدًا أنه لا يملك سوى الانتظار ...فقط الانتظار.

وصلت عربة الشرطة إلى مكانها المحتوم..فتحت لها تلك الأبواب العتيقة الحديدية المتآكلة..نظر بعينيه على تلك اللافتة الكبيرة بالأعلى ..قرأها بحسرة (مستشفى العباسية للأمراض النفسية والعصبية).

وسقطت الدموع من عينيه لترطب ذلك الوجه الجامد الحاد ..كترعة مياه تمر بأرض صحراوية شديدة الجفاف..لكنه سرعان ما طمسها محافظًا على حدته وقوته وهدوئه المعتاد..

هبط أبو الوفا إسماعيل مندور مكبلًا بتلك الأساور الحديدية ..هناك من هم في انتظاره عند مدخل المستشفى..تفحص المكان حوله



وتلك الأشجار الفاقدة أوراقها وكأن هناك من سرقها ليلًا لتصحو باكية على أوراقها للأبد..

وجوه شاحبة تردي اللون الأبيض لتزداد شحوبًا تجلس على تلك المقاعد الخشبية العريضة بكل مكان بحديقة المستشفى..الشرود يسيطر على الجميع.

نظر لأبي الوفا أحدُ الأشخاص حاد الملامح ممتلئ الجسم ...رمقه بحدة ..في نظرة سريعة من أسفله لأعلاه ..إنه متولي كبير الممرضين بالمستشفى...

ابتسم متولي للنقيب محمود أمام المصاحب لأبي الوفا...

- حمد الله ع السلامة يا سيادة النقيب.

- إزيك يا متولي.

- نحمد ربنا.

- دكتورة عُلا فين؟

- موجودة يا باشا اتفضل.

جُذِبَ أبو الوفا لداخل المستشفى قسرًا..وكأنه ماشية ستلقى حتفها ذبحًا بعد قليل..كان ذلك الشعور يملؤه حتى وان كان مظهره ونظراته توحي بعكس ذلك،

رائحة نفاذة تتسرب إلى أنفه...يا للروعة!لم ينعم أنفه باشتمام مثل هذه الرائحة من قبل..نظر حوله ليعرف مصدرها...هناك ابتسامة



خلابة تقترب من بعيد .. سيدة رائعة الجمال ...عيناها تخترقانك مباشرة لتقبل قلبك دون عوائق..ابتسامتها ساحرة تسرق عينيك من الوهلة الأولى عندما تنظر إليها...على الرغم أن عمرها تعدى الثلاثين بثلاث سنوات، ولكنها ما زالت تحافظ على رونق وجاذبيه العشرينيات ..إنها تقترب، البالطو الأبيض يزيد من جمالها...أدرك أبو الوفا أنها طبيبة ... أجلسة الجندي المخول بحراسته على إحدى الدكك الخشبية ..كانت آثار الضرب المبرح على وجهه تخبرك أنه خرج للتو من علقة موت..

مد النقيب محمود إمام يده ليصافح تلك الطبيبة الجميلة:

- صباح الخير يا دكتورة علا.

- صباح الخير يا سيادة النقيب.

التفتت لأبي الوفا سريعًا ..ثم أمسكت بملف كان بيد النقيب وفتحته وقرأت ما فيه سريعًا ...أخرجت قلمها الصغير من جيبها العلوي ووقَّعت بإمضائها أسفل الورقة (د/ علا السيد فاروق).

أقفلت الملف وسلمته النقيب محمود إياه ..ما زال عطرها يخيم على المكان ...

لاحظت علا آثار علقة الموت على وجه أبي الوفا ..

- إيه الحكاية؟ انتوا بتعملوا فيهم إيه بيخليهم يبقوا كده؟

أجابها محمود مبتسمًا:

- والله يا دكتورة هم جايبلنا كده جاهزين.



- طب خفوا إيديكوا شوية يا سيادة النقيب.

أجابها مستنكرًا:

- إحنا؟ لا أبدًا..انتي عارفة طريقتنا اتغيرت كتير.

أشار ناحية أبي الوفا باستنكار:

- البيه قعد يخبط نفسه في حيطان الزنزانة. ومن ساعة ما قبضنا عليه وهو بيقول كلام غريب زي اللي جم معاه.

رمقته علا سريعًا ...نفذت عينيها بعيني أبي الوفا لحظة متسائلةً بشغف:

- هو جاي في...؟

لم ينتظر محمود اكتمال سؤالها:

- جريمة قتل.

- برضه.

- وبيقول نفس كلام الأربعة اللي قبله. المهم الحالة عندك اهي ...ابقي سلميلى على دكتور أشرف.

- الله يسلمك.

مد يده مرة أخرى ليصافحها ناظرًا إلى الجندي الذي بدوره فك تلك الأساور الحديدية المكبلة ليد أبي الوفا وانصرفا. أمسكه متولي وساعده في ذلك ممرض آخر، كانت علا تنظر لأبي الوفا مُشفقةً عليه...



ارتعش أبو الوفا مرعوبًا مما سيراه في ذلك المكان ..ما سيكون مصيره بعد لحظات؟

يكاد قلبه يخرج من مكانه صارخًا آملا في أن ينجده أي شخصٍ...

* * *

جلس دكتور أشرف سعيد يستمع بإنصات لذلك الطبيب اللبناني المبعوث من وزارة الصحة ليخبرهم عن اكتشافاته الجديدة بالطب النفسي ...لم يكن مقتنعًا بتلك الاكتشافات، ولكنه مجبر على إظهار العكس ..هذه ما يمليه عليه منصبه كونه مديرًا للمستشفى... كانت القاعة مكتظة بالأطباء...سواء من داخل المستشفى أو من خارجها ..

وقف دكتور إبرام ذلك اللبناني السعيد باكتشافاته يستقبل أصوات تصفيق الأطباء بزهو الانتصار...وكأن الخمسين عامًا الماضية من عمره لم تضع هباء.

كان بجواره رسم توضيحي لجسد الإنسان يساعده في إيصال أفكاره للأطباء المنصتين:

- عن جد ما في داعي لها التصفيق.

أنا عم قدر حسن ضيافتكم إلى

لكن خلوني هلا أشرح الكم وجهة نظري

اللي بحب كتير إنها توصلكم.

كانت علا جالسة بجوار أشرف تنصت لدكتور إبرام بتركيز.



نظر إليها أشرف هامسًا:

- إيه الهري ده؟

- بالعكس أنا شايفاه بيتكلم مظبوط جدًّا.

- انتي بس اللي قلبك رقيق زي النسمة

حاول أشرف دائمًا إبداء إعجابه بعلا، ولكنها كانت تستقبل ذلك بفتور شديد، وكأنها لا تراه، فقد اعتادت على ذلك من الجميع.

أشرف لم يكن فقط مديرًا للمستشفى، ولكنه ابن أحد أكبر رجال الأعمال د سعيد مهران الذي يتمنى أي من المستثمرين أو السياسيين لقاءه أو حتى مصافحته ..كان إمبراطورًا كما يصفه البعض..عانت كل وسائل الصحافة والإعلام في استضافته أو حتى عقد حوار صحفي معه إلى أن أصابهم اليأس، وأصبحت كل الأخبار أو المقالات المنقولة عنه ممن حوله أو حالفهم الحظ وقابلوه يومًا ما ..كان قليل الظهور للغاية ... دائم الاختفاء، معتنقًا مبدأ العمل في صمت بعيدًا عن الأضواء ....ويعتقد البعض أنه أغنى رجل أعمال بالعالم العربي.

استفاد أشرف من تلك الهالة الكبيرة حول والده منذ أن كان طالبًا بكلية الطب، فحصل على امتياز بجميع مواده الدراسية، ثم الماجستير والدكتوراه في زمن قياسي، وتدرَّج في المناصب بسرعة خاطفة إلى أن تولَّى إدارة المستشفى وهو ما زال في الخامسة والثلاثين من عمره.

اندمج دكتور إبرام وكأنه يشرح طريقة اكتشافه للقنبلة النووية:



- الفكرة الدارجة عن العلاج النفسي

عند الناس بشكل عام هي أن يذهب

من لديه مشكلة نفسية للطبيب ليعطيه

حل بالأودية أو بالجلسات الكهربائية

ELECTROCONVULSIVE THERAPY

وغالبا يكون هذا الحل

مؤقت ...

ما عم قوله أنا ...هو أن يقتلع الطبيب

المشكلة النفسية من جذورها

يعنى بالبلدي مثل عم بتقوله

نعمل للمريض إشاعة داخلية

تخليه قدامك شفاف بكل تفاصيل

مشكلته وتفرغ الطاقة السلبية

اللي عم تملاه ...خليك أقرب رفيق

إله...وعن جد

تجارب عديدة أثبتت إن الطريقة المثلى

لها العلاج هو العلاج بالفن



بالرسم بالموسيقى أو بالسيكودارما

اترك المريض يحكيلك اللي عم دور

جواه بطريقه مختلفة ..أعطيه لوحه

يرسملك فيها اللي ما عم يقدر يقوله

بلسانه ...جمع عدد من المرضى

وبها الوقت ابدء جلسة سيكودارما

اتركهم يحكولك حكاياهم بدون رابط

بشكل أشبه للمسرح..

ها الطريقة ناجحة كتير بكتير من

دول العالم.

حاول أشرف التغلب على علامات الملل لديه بنظراته المسروقة إلى علا دون أن تشعر به...باشتمامه لعطرها المميز الممتع...

دخل متولي مُتسللًا لأذن دكتور أشرف ليخبره بشيء ما فيتغير وجه أشرف

- أستغفر الله العظيم يا رب.

نهض أشرف من مكانه سريعًا بينما استكمل إبرام شرحه لنظريته الجديدة ..

نهضت علا خلفه سائلة متولي:



- فيه إيه يا متولي؟

همس بدوره في أذنها هي الأخرى:

فتغير وجهها وسارعت بالخطى خارج تلك القاعة.

وقف أشرف بقمة غضبه وسط عنبر ٣..ذلك العنبر العتيق ذو السقف المتآكل والحوائط المشققة...مثله ككل العنابر بالمستشفى...جدرانه ذات اللون الأخضر الباهت تشعرك بأنك في زنزانة مغلقة من كل الجهات ما عدا شباكًا بمنتصف العنبر مفتوحًا وتتطاير ستارته بيضاء اللون بفعل الهواء للداخل. الأغرب أن ذلك الشباك ليس عليه قضبان حديدية ..ولا أحد يعرف أذلك نتيجة إهمال أم ثقة زائدة في أمن المستشفى؟ فمن السهولة أن يقفز المريض منه للخارج ليسقط في الحديقة. كان العنبر ممتلئًا بالمرضين والتوتر يخيم عليهم جميعًا...دخلت علا، لم تصدق ما رأته بتلك اللحظة ...مرة أخرى نفس اللازمة وكأنها فيلم رديء الصنع يعاد قسرًا، نفس الحبل اللعين الغليظ المتدلي من أعلى معلقًا بالسقف ..على بعد سنتيمترات من السرير الوحيد بالغرفة ..ويتدلى من نهايته ذلك المريض المسكين نزيل تلك الغرفة منتحرًا جاحظة عيناه إلى الخارج، مفارقًا الحياة، دافنا معه ألمه ومعاناته إلى الأبد.

صرخ دكتور أشرف في الجميع:

- كنتوا فين يا بهايم ..ومنين جاب الحبل ده؟

أجابه متولي محاولًا إيجاد إجابة مناسبة تخرجه من هذا المأزق"



- يا دكتور والله...

قاطعه أشرف بحدة:

- كل اللي في النبطشية متحول للتحقيق

وانتي يا دكتورة بلغي البوليس إن عندنا حالة انتحار،

خليهم يبلغوا أهله ييجوا يستلموه.

نظر أشرف إلى الجثة المعلقة وتنهد بعنف وخرج من العنبر

همس بعدها متولي لأحد الممرضين:

- هو احنا مالنا يمسح بينا الأرض كل شوية.

نظرت له علا بحدة:

- مش عايزة كلام كتير وبرطمة، محدش يلمس حاجة لحد البوليس ما ييجي، شوف شغلك انت وهو.

خرجت علا من الغرفة ..إحساس مميت أن ترى أمام عينيك شخصًا فارقَ الحياة، والأصعب أنه فارقها بمحض إرادته في غفلة منك ..وكان من المفترض أن تمد يدك له لتنقذه ويعود لحياته مستمتعًا بها من جديد...ولكن يبدو أن من كثرة هذه الحوادث فقد تعودت علا وأشرف أيضًا على ذلك، ولم يعد هناك أي شعور بالذنب، على العكس تمامًا فهناك شخص تخلصوا من مسؤوليته وتبعاته إلى الأبد ..هناك الكثيرون غيره ...هو مجرد مريض ...مريض نفسي.

❋ ❋ ❋



احتفظ أشرف بهدوئه المعتاد، وتَخلَّصَ من عَصبيَّتِه الزائفة بمجرد خروجه من العنبر ...كان لا بد أن يرتدي رِداء العصبية أمام الجميع حتى لا يصمه أحد بإدارته الفاشلة للمستشفى ..لم يعلمه أحد ذلك ولكنها عادة مُتوارَثة...المدير لا بد أن يبدو عصبيًّا في بعض الأحيان ويعتنق صوتًا عاليًّا يجلجل في وجه الآخرين خاصة من يرؤسهم ..هكذا ستكون له هيبة ..

كان يمر بطرقات المستشفى ...حياه الجميع وألقوا عليه تحية الصباح ...ارتسمت وجوههم بابتسامات مزيفة لتخبره كم يحبونه ويبجلونه وإن كان معظمهم يكرهونه.

وقف أشرف عند أحد العنابر..عنبر ٦ ..فتح له أحد الممرضين قفلًا كان على الباب، وفتح الباب له...دخل أشرف ناظرًا في أنحاء الغرفة باحثًا عن شخص ما حتى وجده واقفًا عند الشباك تواريه تلك الستارة البيضاء المتطايرة بفعل الهواء.

ابتسم بثقة المنتصر ملقيًا تحيته:

- صباح الخير يا أمير.

كنتُ أنا الذي أنظر من الشباك...شاردًا أفكر في لا شيء...تائهًا في الفراغ...

التفتُّ ناظرًا له والدموع تملأ عيني تكاد تصرخ ..لا يكفيها فقط انهمارها طوال الوقت خارج عيني ...أنا نفسي لا أعرف ما سيريحها ويريحني.



نظر أشرف إلى أطباق الطعام الممتلئة:

- الزائر الوحيد لي طوال الأيام الثلاثة التي قضيتها هنا في ذلك المكان الموحش..٣ أيام لم أذق فيهم طعم الزاد..وكأن معدتي اندثرت...

- برضه مكالتش ...يا أمير خليني أعرف أساعدك.

كان يقترب مني مُحاولًا السيطرة عليَّ فرددتُ عليه بحدة:

- أنا مش عايز مساعدة من حد.

سريعًا انقلبت نظرة العطف في عيني أشرف إلى حدة كعادته:

- شوف يا أمير المساعدة هنا إجبارية مش بمزاجك ...حاول تتعاون معانا عشان مصلحتك.

نظرتُ له مستنكرًا

- مصلحتي؟

- أكيد كلنا عاوزين مصلحتك

اقتربت منه ونظرت في عينيه محاولًا الفهم:

- ومصلحتي بقه في الجنون ولا الإعدام؟

بادلني نظرة قاسية.

- مش بكيفك.

- عاوز تساعدني سيبنى اخرج من هنا.



كنت أعلم أنه مستحيل الحدوث، ولكنني لم أكُفَّ عن ذلك الطلب قط.

- هتخرج بس بعد ما تشيل الأوهام دي من دماغك.

قالها وهو يتجه ناحية الباب ليتركني مرة أخرى أُصارِعُ وحدتي، فتشبثتُ به بعصبية عن بعد

- مش أوهام..انت ليه مش عاوز تفهم..ليه محدش عاوز يصدق؟ ليه؟

- إحنا مصدقينك لكن انت كمان لازم تصدقنا، وتصدق إنك عيان

جريت نحوه وأمسكت يده قبلتُها ...كنت أحاول أن أستعطف فيه صحوة الضمير:

- دكتور أرجوك سيبني أخرج من هنا، مفيش وقت ...أرجوووووك.

كنت أشعر بدنو موعدها ..قد تكون الآن ...أمسكني ممرضان بقوة قاسية..نظرات القسوة في عيني أشرف تقذفنى بسهام تخترق عقلي..

صرخت بعنف

- عاوز اخرج من هنا..خرجوني من هنا.

جرجرني الاثنان إلى الخارج..صرخت بأعلى ما لدي من قوة ...لا أحد يكترث لصراخي،



كان شيئًا اعتياديًّا ...مريض يصرخ..بل إنه مدعاة للضحك والسخرية عند بعضهم..جرجراني إلى نفس الغرفة العقيمة..رائحة الحريق تفوح منها كرائحة الجيفة..لم يكن حريقًا اعتياديًّا بل إنه حريق خاص...حريق إنسان، إنها غرفة التعذيب المسماة بغرفة العلاج بالكهرباء..

أحكموا وثاقي بقسوة متناهية..اقتربت أقطاب الكهرباء لتخترق عقلي ..تقذفه من مكانه لأبعد مكان ممكن..هكذا شعرت في المرات السابقة...عقلي يتحول إلى كُرة قدم يركلها أحدهم بعيدًا وعندما أفيق أخرج بحثًا عنه في كل مكان حتى أجده بصعوبة بالغة..

صرخت أكثر وأكثر وعينا دكتور أشرف ترمقانني وكأنه سعيد بما أنا فيه، هناك شيء ما لا أفهمه في ذلك الطبيب ..إنه يتلذذ بعذابي.

تواصلت الأقطاب ومرت الكهرباء برأسي...تلقى عقلي الركلة الأولى...وركلة خلف ركلة وصراخي يتلاشى..وغبت عن الوعي كالعادة ..فقدتُ روحي في ذلك المكان الكريه..فقدانًا نسبيًّا أعلم أنه سينتهي بعد فترة ..وسأعود محمولًا لإلى زنزانتي...إلى عنبري..قبري الكبير كل ليلة...عنبر ٦.



أمير كاظم نصر

(قبلها بـ ١١ يومًا) (اليوم التاسع) (الساعة الثانية بعد الظهر)

كنت أنتظر هذه اللحظة منذ سنوات عديـدة...أجلـس في الطـائرة المتجهة الى القاهرة...بنية اللاأعودة ...أنهي رحلتـي التـي دامـت خمـسة عشر عامًا اليوم..أعود صفر اليدين ...إلى نفس النقطـة التـي انطلقـت هاربًا منها..طوال هذه المدة حاولت جاهدًا التغيير ولكـن قـدري كـان يلجمني ..كنت لا أقوى على قهره..

شردت من شباك الطـائرة بعيـدًا...تـذكرت الخمـسة عـشر عامًـا أمامي في لحظة...لم يكن بها من يستحق أن أحتفظ بهم بذاكرتي ..وددت أن أتخلص منهم للأبد..وللحق رغبت أن أفقد الذاكرة تمامًا..وأولد من جديد ...لكنني أعلم أنها أضغاث أحلام مستحيلة

اقتربت تلك المضيفة المتأنقة الأشبه بالإنـسان الآلي تتحـدث برقـة مصطنعة:

- حمد الله على السلامة.



كانت تقولها للجميع بشكل رتيب.

خرج ذلك الصوت المعتاد من الميكروفون

- اقتربنا من مطار القاهرة الدولي.

برجاء ربط الأحزمة والامتناع عن التدخين.

شكرًا

نظرت من الشباك مبتسمًا محاولًا الابتهاج..كان هناك شوق كبير لرائحة ذلك البلد...بلدي...هناك عبق لا تشعر به إلا إذا ابتعدت لسنوات..على الرغم أنه ممتزج بالأتربة وعوادم السيارات فإنه يثير في عينيك الدموع حين تتذكره.

خرجت من المطار ووقفت أنتظر لتاكسي ليقلني ..كان مظهري أقرب لسائح أجنبي قَدِمَ لزيارة مصر ومعالمها..كان شعري طويلًا أشعث؛ مما أغرى سائقي التاكسي بالتزاحم أمامي:

- تاكسي يا مستر؟

- تاكسي يا خواجة؟

وفي ثوانٍ كنت بجوار أحدهم منطلقًا في شوارع القاهرة مبتعدًا عن المطار ..أنظر للعمائر باشتياق طاغٍ...أنظر في وجوه المارين واحدًا تلو الآخر ...زحام شديد ...لم تكن مصر بهذا الزحام من قبل...أبواق السيارات مرتفعة متلاحقة ...تصيبك بحالة من التوتر المتناغم ..لكنى لاحظت أن الجميع يرتسم على وجوههم الهم والحزن..رجلًا أو



امرأة...شابًّا أو فتاة..حالة من النكد المتوحد على وجوه الجميع ..نظرت إلى السائق لأجد على وجهه نفس التعبير فسألته:

- إلا قولي يا اسطى؟

- نعمين يا سيدي.

- هو ليه كل الناس ضاربة بوز كده؟

كان عصبيًّا للغاية وكأني سببته السيدة المحترمة والدته

- يا فتاح يا عليم ..انت مش عايش معانا ولا إيه؟

اصطبحنا وأصبح الملك لله

- بالهداوه يا اسطى ..بالهداوه ..أنا أصلي كنت مسافر

بقالي ١٥ سنة.

كنت أحاول المحافظة على ابتسامتة النابعة من قلبي ...

رد وكأنه يتذكر أيام الخمسينيات من القرن الماضي متنهدًا:

- ١٥ سنة؟ يااااه ١٥ سنة أيام الزمن الجميل

- زمن جميل ايه ياسطى هو أنا بقولك ٥٠ سنة

- أيوه زمن جميل..أيام ما كانت الشوارع هادية

أيام ما كان الجنيه جنيه

أيام الصحبة الحلوة والغنوة الحلوة

والعيشة المرتاحة

إنما دلوقتي ..الهم والغم صاحبنا

زي النفس اللي بناخده ..مليان بلى أزرق

الحال بقه واقف والعالم بقت عايزة الحرق

لا عدنا طايقين بعض ولا طايقين الدنيا باللي فيها

تعجبت كثيرًا من هذه الطاقة السلبية المتشبع بها ذلك السائق...ولكن يبدو أنها حالة عامة...الجميع على مدى الطريق متشبع بتلك الطاقة المدمرة المثبطة لأي أمل في الحياة

نظرت له محاولًا إخراجه من تلك الحالة:

- ليه بس السواد ده يا اسطى..ما تخليك متفائل.

اهتزاز قوي شعرت به في نفس اللحظة..نظرت أنا وهو إلى الخلف لنجد تاكسي آخر قد اصطدم به من الخلف، نظر لي وكأنه يريد أن يقتلني، ولكن ما أنقذني هو رغبته في قتل شخص آخر قبلي ..سائق التاكسي الخلفي:

- متفائل؟

نزل من التاكسي بحدةٍ مُتناهية والشر يتطاير من عينيه:

- ده انت ليله أمك طين ...ده عليه أقساط.

نزلت سريعًا وراءه لأحاول منع تلك الجريمة الموشك حدوثها..



سائق يقتل الاخر بسبب حادث تصادم

نظرتُ إلى خلفيه السيارة لأجد الرفرف الخلفي قد كُسر تمامًا وملقى على الأرض،

التحم الاثنان وحاول المارة التفريق بينهما، كان السائق الآخر هو أبو الوفا إسماعيل مندور..وقف ناظرًا للسائق بحدةٍ شذرًا، تعالى صوت السائق بقوة:

- ده انا هسيح دم أمك النهارده!

رد عليه أبو الوفا بعصبيةٍ مصطنعة:

- ما تحترم نفس أهلك يا جدع انت ...انت الغلطان.

- انا الغلطان إزاي وانت خابطني من ورا أهو

حاولت التهدئة دون جدوى:

- صلى على النبي يا اسطى انت وهو.

وفي أقل من لحظة كانت المطواة تضوي في يد أبي الوفا مُهدِّدًا بها السائق، ويحاول منعه الناس المتجمعون حولهما.

- أنا بقى كيفي أعلمله وشه النهارده.. عشان اللي رايح واللي جاي يتفرجوا على العلامه،

تحب أعملهالك صح ولا أعملهالك غلط، في وش أمك الغلط ده.



ما كان من السائق إلا أن جرى باحثًا عن شيء مـا بـالأرض إلى أن أمسك حجرًا كبيرًا مُقرِّرًا أن يفتح رأس أبي الوفا ولم يكن مهتمًّا بعواقب ذلك عليه ..التفَّ المحجزون بينهما أكثر.

- هقتلك والمصحف!

كان أبو الوفا يرد عليه باستفزاز رهيب ..لو كنت أنـا مكـان ذلـك السائق لأرديتُه قتيلًا في الحال.

- لا راجل ياض ...راجل وهيتعمل معاك الصح وعلى وشك ...

هخليك ماركه زي NIKE، عارفها ولا اعرفهالك.

كان وجهه من النوع المألوف لدي..وكأنني أعرفـه...اقتربـت منـه محاولا التذكر وسط ذلك العراك المنذر بالتدامي..كنت أشعر بذلك منذ الوهلـة الأولى، وظننتـه شـعورًا طبيعيًّـا للحنـين إلى الوجـوه المـصرية ...وجهه يقفز إليَّ مـن المـاضي...عرفتـه وسـط شـتائم الـسائق الآخـر الموجَّهة إليه:

- انت بتتحامى في المطواة يبن الدايخة!

كان المُحجِّزون يمسكون السائق بقوة ..لم يستطع الإفلات منهم ..

اقتربت أكثر ...إنه أبو الوفا زميل الطفولة البعيدة

- مين؟ أبو الوفا إسماعيل مندور.

نظر إلي وتعرف إليَّ من النظرة الأولى.



- إيه ده؟ أمير كاظم نصر..يخرب عقلك.

- إزيك يا أبو الوفا.

احتض بعضنا بعضًا وسط سباب، وشتائم السائق الآخر من جهة وشتائم وأبواق السيارات الواقفة بالطريق خلفنا من جهة أخرى ..

- إيه يا بني داخلين في ٢٠ سنة أهو مشوفتكش من أيام المدرسة ومن ساعتها وانت فص ملح وداب.

كنتُ فرحًا جدًّا بلقائه.

- شكلك زي ما هو يبن اللذينه.

- بس انت اتغيرت كتير..ياااااااااااااه.

والله زمان يا أمير ...تعالى تعالى اركب، انت رايح فين؟

- أنا لسه جاي من السفر ورايح على البيت.

- بيتكم القديم؟

- أه لسة فاكره؟

- أيوه طبعًا، أمال إيه؟ ياما لعبنا كوره جنبه مع انك، معزمتنيش فيه ولا مرة، اركب اركب.

ركبت بجواره متجاهلين ذلك السائق المنفجر من الغيظ والسباب..

انطلق أبو الوفا بالتاكسي وسط ذلك الزحام.



- إوعى كده يا خويا ..وسع الطريق.

سألته ناظرًا إلى السائق عن بعد مشفقًا عليه:

- طب والراجل ده؟

- سيبك منه ده فنجري بوق، والله زمان يا صاحبي.

ابتعدنا وابتعد صوت السائق بآخر سباب له في آذاننا.

- وحياه أمك لأجيبك ..هجيبك وأشرَّحك في وشك وأعملك فيه الصح.

كان أبو الوفا صديق الماضي البعيد...ابتعد عن ذاكرتي كما ابتعد كل شيء حاولت طمسه ونسيانه...لكن وجهه بقي يُداعِبُها من حين لآخر حاملًا إليَّ مشاعر كنت أفتقدها حتى وأنا في غربتي ..جلستُ أتذكر معه كل شيء وكأن السنين لم تمر...وكأنني ما زلت ابن عشرين عامًا ..جلسنا على نفس المقهى القديم...بنفس الحي الذي طالما ضحكنا عليها للصباح الباكر ...على الرغم من تغيره وتكدسه أضعافًا مضاعفة ...حي المنيل، ولكنه ما زال يحتفظ بنفس العَبَقَ الخاص به ..نفس الكراسي الخشبية المتهالكة...نفس الحالة...صوت أم كلثوم المنبعث من ذلك الراديو القديم ...نفس القهوجي، ولكن البياض استشرى في رأسه محتفظًا بنفس كفاءة صوته الرنان.

- أيوووووووووووه جاي.

التهمت أرغفة الفول والطعمية بنهَم متضاعف ...لم أتناول تلك الوجبة اللذيذة ذات الطعم المصري منذ سافرت ...على الرغم من



وجود مطاعم بكل البلاد التي تنقَّلتُ بينها تقدم تلـك الوجبـة، ولكـن هنا في مصر لها طعم آخر ..سحر آخر يخطف عقلك وقلبك من القضمة الأولى.

تنهدتُ مُنتهيًا من آخر قطعة من ذلك الرغيف الشهي.

– يااااااااااااااااااااه ..وحشني أوي طعم الفول والطعمية.

كان أبو الوفا ينظر إليَّ مبتسمًا:

– بالهنا والشفا يا صاحبي.

إنما أنا مش شايف معاك ولا شنطة يعني؟

– لا مرجعتش بشنط.

– انت قعدت ال ١٥ سنة برة سك حتة واحدة منزلتش ولا مرة؟

– لا.

جاوبته دون تفكير وكأنني لا أرغـب في احتـساب المـرة الوحيـدة التي قطعت فيها غربتي إلى أرض الوطن ...كنت راغبًا في نسيانها

– تلاقيك راجع دفيان أوي، اللهم لا حسد.

– بالعكس ده يمكن حالتي وانا مسافر كانت أحسن من دلوقتي.

– ليه كفي الله الشر؟

تنهدت:

– من شغلانة لشغلانة ومن حتة للتانية مونتش، وكل ما تتقفـل في وشى أقول معلش مسيرها تتعدل



وع الحال ده ١٥ سنة باينلى منحوس يا صاحبي.

اقترب مني أبو الوفا مُربِتًا على كتفي ونظرات الشفقة في عينيه:

- لا يا جدع متقولش كده أمال دي أرزاق.

- سيبك مني انا ...انت أحوالك إيه؟ انت بتشتغل ع التاكسي ده؟

حينها رغبت في تغيير مجرى الحديث، فليس هناك جدوى في ندب حالي وما آلت إليه،

كان التاكسي مركونًا بالقرب من المقهى وآثار الاصطدام واضحة عليه من الأمام.

أجابني أبو الوفا بعد أن نظر إليه:

- لا ده بتاع واحد صاحبي الله يرحمه، هرجعه لعياله بعد ما أصلحه وهم أولى بيه.

- أمال انت بتشتغل إيه يا أبو الوفا؟

- كوموسيونجي.

- يعنى إيه؟

- يعني سمسار ..بوفق راسين في الحلال. تشرب شاي بقه تحبس على الأكلة دي!

يا إبراهيم.

- أيوه جاااااااااااااااااي.



- هاتلنا اتنين شاي في الخمسينة.

- وعندك ٢ في الخمسينة.

قاطعته مستمتعًا برنة صوته التي تعود بي لسنين مضت.

- لا أنا عاوز اشرب شاي زرده وهاتلى نعناع معاه.

- أوامر الباشا ..وعندك واحد خمسينة وواحد زرده بالنعاع.

كان المكان يوحي بالدفء ..حتى ملامح الكآبة على وجوه المارة توحي بذلك الدفء...

نظرت لوجه أبي الوفا، وكأنني أحتضن كل تفاصيله ..لاحظت تلك العلامة أسفل عينيه ..

- إيه العلامة دي يا أبو الوفا؟

ابتسم أبو الوفا:

- الزمن يا صاحبي ..سيبك بقه يا أمير.

وحشانى قعداتك الحلوة.

- انا كمان واحشني كل حاجة في البلد، الشوارع، المحلات، الناس، حتى ريحة الهوا.

- فاكر الواد حسين التخين اللي كان في الفصل اللي جنبنا؟

كان أبو الوفا يداعب ذاكرتي...تعجبت كثيرًا حين جاوبته:

- أيوه.



كنت أعتقد أنني نسيت كل شيء..لكن فيما يبدو أنني فشلت في محو ذكرياتي غصبًا رغم أنني تظاهرت بنسيانها.

- فاكر لما كعبلناه على السلم قام واقع على أستاذ سمير بتاع العربي وفطسه.

- أيوه وقعد يصوت ...شيلوه من فوقيا هيموووووووووتني.

- ولا ابراهيم هوجان وكيل المدرسة؟

- فاكر لما حدفناه ببودره عفريت من فوق.

- قعد يتهرش وخرج جري روح على بيته.

- ولما كنا بنحب نزوغ وننط من ع السور وكان بيطلع يجري ورانا في الشارع.

- أيوه تحسه عامل زي الوحش اللي في آخر اللعبة بيطلعلك بعد ما تخلص على مشرفيين الأدوار والأمن تلاقيه في وشك.

كانت ذكريات فرحة ...الضحك من القلب ..اللا مسؤولية ..اللامعاناة ...اللا حقيقة

ضحكنا وضحكنا وتذكرنا كل شيء حتى غطتنا ضحكاتنا بأمواجها الفرحة المبهجة.

انتعشت ذاكرتي فتذكرتهم واحدًا تلو الآخر.

- فاكر الواد عبد الحميد؟



- أبو كرش؟

- الواد كان كرشه قدامه مترين وكل ما تشوفه تلاقيه بياكل تقولش بطنه مدودة!

استمرت حالتنا هكذا بين التذكر وموجات عارمة من الضحك والبهجة إلى أن طلبت من أبي الوفا إيصالي إلى منزلي القديم بالمنيل ...ذلك المنزل المكون من ٣ أدوار الواقع بثاني ناصية مبتعدًا عن الشارع العمومي ...كان منزلًا كئيبًا، لونه أسود من الخارج، وعلى الأغلب تم دهانه هكذا ليصبح واحدًا من أبرز المنازل في منطقة المنيل ...تميزه تلك الأسوار العالية المحيطة لتلك الحديقة المهجورة حول البيت..

هبطت من التاكسي ناظرًا إلى المنزل واغرورقت عيناي بالدموع ..تذكرت في لحظة واحدة كل ما مررت به في هذا البيت..نظر لي أبو الوفا:

- حمد الله ع السلامة يا أبو الأمرا. تليفوني معاك بقه ملكش حجة.

كانت كلماته تعني الرحيل..كنتُ أشعر بالوحدة بمجرد أن وطئت قدماي أمام ذلك البيت

تشبثت في ذراعه:

- انت رايح فين؟

- هتكل انا ع الله بقه؟

- لا والله أبدًا تعالى معايا.



كان المارة ينظرون إلينا بوجوه مستنكرة متعجبة...أعرف تلك النظرة ...إنها نفسها القديمة ...لم ينسَ أهالي المنطقة ولم أنسَ أنا الآخر ..تمسكتُ أكثر بأبي الوفا الراغب في الرحيل حرجًا من أهلي ..هكذا قال.

- يا جدع ده جو عوائلي، إيه؟ أهلك مش واحشينك ولا إيه؟ أبوك وأمك؟

ليس هذا هو الوقت المناسب لأخبره بحكايتي ..كل ما أريده أن يصعد معي...إنني حقًّا راغب في وجوده معي الآن..شعوري بالوحدة والرهبة سيفترسني.

- تعالى يا أبو الوفا معايا بس؟

- يا صاحبي اسمع بس...

- تعاااااااااااااالى.

جذبته أكثر.

- طيب يا سيدي هركن التاكسي على جنب.

انتظرته حتى قام بذلك ..مددت يدى لأزيل ذلك الجنزير الصدئ المغلق للباب الحديدي الخارجي ..دخلنا معًا...نظرت حولي في تلك الحديقة المهجورة حتى من أشجارها لم يتبقَّ بها سوى شجرة وحيدة فاقدة لكل أوراقها ...التي طالما لَعِبْتُ تحتها مع والدتي الحبيبة وأنا طفل تملؤني البراءة...لا أتذكر أنني كنتُ كباقي الأطفال يومًا ما...كنتُ



مختلفًا ..لا أُشاركهم اللعب كغيري من الأطفال...كان معظم وقتي مع والدتي .. هي فقط ..لا أنسى مُطلقًا تلك المرة التي كانت تبكي فيها تحت تلك الشجرة الوحيدة الباقية بتلك الحديقة بعدما فشلت في البحث عني ..كنت حينها أختبئ أسفل البيت ..كان بيتنا أسفله شبكة من الصرف قديمة فارغة ..اكتشفته بالمصادفة وأنا أبحث ببراءة الأطفال عن مخبأ اثناء لعبي معها بباب حديدي أسفل بدروم البيت ..كان واسعًا مرعبًا مليئًا بالقوارض والحشرات ..ولكن براءتي كطفل حينها ترجمت ذلك الظلام الموحش أسفل البيت أنها لن تجدني وسأنتصر عليها في لعبتي ...عنَّفتني أمي وقتها كثيرًا، وأغلقت ذلك المكان بقفل كبير على بابه ...ولم أقترب من ذلك الباب مُطلقًا بعدما وعدتها بذلك..وصلت أنا وأبو الوفا للباب الداخلي للبيت ..دخلنا معًا..الظلام يعشش فيه على الرغم من انتشار ضوء الشمس خارجه..كنت منذ صغري أشعر بالانقباض حين أدخله ..في كل مرة ...مئات ..بل آلاف المرات كما أشعر الآن...قلبي ارتعش ...كاد يخرج من مكانه اعتراضًا على معاودة نفس الإحساس المنسي منذ خمسة عشر عامًا ..

خيوط العنكبوت في كل مكان ...كان منزلًا مرعبًا بشهادة الجميع..

سألني أبو الوفا وأنا أتشبث به صاعدين مارين بالدور الأول في الطريق إلى منزلي في الدور الثالث:

- لسه برضه محدش ساكن في الدورين دول؟



كانا مهجورين منذ زمن بعيد بعدما اشتراهما والدي من سكانهما ..

أشرت له بالإيجاب ...وصلنا إلى شقتي ..وقفتُ أمامها لحظات شاردًا ورعشة قلبي تزداد قسوة..أخرجتُ مفتاحي من جيبي مرتعش الأيدي لأفتح به باب ذكرياتي المدفونة منذ زمن بعيد...لأفتح به الباب الممتلئ بالأتربة..لأفتح به صندوقي الأسود حالك السواد.

سألني أبو الوفا متعجبًا:

- مش ترن الجرس الأول؟ ولا هم عارفين انك جاي؟

كنتُ لا أجيبه ...استولى التوتر على كامل جسدي وعقلي... ارتعشت أكثر وأكثر...كنت خائفًا...رأيتُ أمام عيني تلك اللقطات السريعة التي طالما زارتني في كوابيسي بعد أن عايشتها لحظة بلحظة كانت زائري الوحيد بالغربة ...طالما هربت منها محاولًا النسيان ...كنت أظن أنها تلاشت للأبد، ولكنها ما زالت حية أمامي تعذبني.

شخص ما يحترق كاملًا صارخًا بأعلى صوته والنيران تلتهمه بقسوة متناهية..

طفل صغير يبكي بكل ما لديه من قوة مرعوبًا يكاد يغرق من كثرة دموعه ..

نيران كثيفة تلتهم كل شيء أمامها ...صرخات الطفل تمتزج مع صرخات الشخص المحترق...تلتف صرخاتهما حول عنقي لتخنقني ...لم يقطعهما سوى صوت أبي الوفا المتعجب



- جرى إيه يا جدع ..إيه الحكاية؟

كانت الدموع تملأ عيني وتفضح كذبي.

- لا مفيش حاجة.

فتحت الباب ببطء شديد مرتعشًا ...خائفًا من انقضاض ذكرياتي على قلبي فتفترسه للأبد ...أدركت في هذه اللحظة أنني لم أنجح في وأد آلامي ...أو بمعنى آخر ..لم أقوَ على قتلي والبدء من جديد...قتل ذلك الشخص البائس الشاهد على عذاباتي القاسية ...قتل.. أمير كاظم نصر.





انهيار

(اليوم العشرون) (الساعة الثانية عشرة ظهرًا)

كنت تقريبًا غائبًا عن الوعي على الرغم أنني كنت أشعر بما يدور حولي ...لا أعرف كيف يكون ذلك... أرى من حولي وأسمعهم وكأنني في كابوس سخيف لا ينتهي ..انتهت الجلسة اللعينة بعد أن شحنوني بكمية من الكهرباء تكفي لإنارة قرية ليلة بأكملها ..حملوني إلى غرفتي مارًّا بتلك الطرقة اللعينة ..طرقه الدور الثاني الموصلة بين غرفة الكهرباء وعنبر ٦ ..رأيتهم يجرجرون شخصًا آخر مثلي ..ليتلقى شحنته ..استطعت أن أحدد ملامحه ..إنه صديق الماضي أبو الوفا ...كنت أعرف أنه قادم ..كنتُ أنتظره ليؤنس وحدتي في ذلك المكان الموحش..كان أبو الوفا يصرخ في أيديهم كما كنت أفعل أنا أول مرة .. متجهين به إلى تلك الغرفة اللعينة ..غرفة الكهرباء...تقابلنا بالمنتصف..كنت أسمعه جيدًا:



- إوعـووووووووا..محـدش لـه دعـوة بيـا، أنـا مـاليش ذنـب، سيبوووووووني.

تعالت صرخاته حين رآني وكأنه يصرخ معترضًا عما سيؤول له بعد قليل:

- أمير ...أميييييييييير. عملتوا فيه إيه؟ أميييييييييييرد عليا.. سيبووووووووووني.

كان صوته يبتعد رويدًا رويدًا...أعلم أنهم سيمنحونه جرعة زائدة مـن الكهربـاء ترحيبًـا بـه حتـى يكـف عـن ذلـك الـصراخ..إنـه يـزعجهم...جميعهم هنـا يحبـون الهـدوء..حتـى وأنـت تتـألم ..تـألم في هدوء..ممنوع الإزعاج..حتى لو قررت أن تموت...مت في هدوء.

❋ ❋ ❋

كانت جلسة مغلقة بين دكتور أشرف سعيد مهران مدير المستشفى ودكتورة علا المسؤولة عن تلك الحالات...كانت تخبره عما وصلت إليه من بحثها المبدئي عنهم ...خاصـة في الثلاثـة أيـام الأخـيرة استقبلت المستشفى الحالات الخمس تلك المتشابهة كان أولهم أمير وأخـرهم أبـو الوفا.

- الغريب في الحالات دي أن الخمسة بيقولوا نفس الكلام.

- ده طبيعي لان الخمسة يعرفوا بعض، جايز يكونوا متفقين.

كان أشرف يعلـم بالعلاقـة التـي كانـت تـربط الحـالات الخمـس ببعضهم البعض، كما جاءت في ملف تحريات الشرطة.



أجابته علا مفكرة.

- جايز..لكن إيه مصلحتهم في كده؟

- فين التقرير اللي طلبته منك؟

- جاهز.

أخرجت علا أسطوانة مدمجة ووضعتها بجهاز اللاب توب بجوار المكتب، وأطفأت الإضاءة، فظهرت شاشة أمام المكتب..شاشة عرض ..كان بها صورة لأحد الأشخاص في الخامسة والثلاثين من عمره، ومكتوب بجوارها بعض البيانات، ووقفت علا شارحة لدكتور أشرف ما توصلت إليه باهتمام شديد ...

- ده تقرير مبدئي مبني على تحريات المباحث، ده توفيق السيد مراد ...بيشتغل مدرس تاريخ في مدرسة إعدادي، وبيحسن دخله على توكتوك بعد الظهر، ساكن في حارة بالدرب الأحمر ومتهم في قتل جاره فتحي الملواني.

تغيرت الصورة إلى شخص آخر في نفس السن تقريبًا أصلع الشعر تمامًا ..نظر إليه أشرف متفحصًا إياه ..واستمرت علا في شرحها المستفيض:

- ده أحمد سمير فرهود ..بيشتغل مع الخرتيه عند الأهرامات، ساكن في نفس الحارة

متهم في قتل سائحة هولاندية عمرها ٧٠ سنة.



تغيرت الصورة مرة أخرى إلى فتاة في الثلاثين من عمرها ...رائعة الجمال:

- يسرا عباس سيد. مُدرسة ألعاب في نفس المدرسة اللي بيشتغل فيها توفيق

وجارته في الحارة، متهمة في قتل السيدة بتعة عبده.

تغيرت بعدها إلى صورة أبي الوفا ...

- أبو الوفا إسماعيل مندور..

عاطل وعايش في مقابر باب الوزير

متهم بقتل نبوي شحاتة تاجر فاكهة

تغيرت إلى صورتي بعدها ...وتابعت تخبره عني وعن سبب وجودي بذلك المكان:

- أمير كاظم نصر الدين.

بقاله ١٥ سنة مسافر بره ورجع من ١١ يوم، متهم بقتل سيد الشرنوبي سمسار بمنطقة المنيل

اللي هو ساكن فيها.

اعتدل أشرف مفكرًا في تلك المعلومات المبدئية التي ستساعدهم في عملهم بالتأكيد.

- تمام.



تابعت علا حديثها الوافي..

- الخمس جرايم حصلوا في نفس التوقيت تقريبًا.

في ٥ أماكن مختلفة ...الخمسة بيقولوا إن الجن هو اللي عمل الجرايم دي ...وإن هم ملهومش اي علاقة بيها.

كنت أعلم أن ما سنعترف به سيحضرنا حتمًا الى هنا..إلى مستشفى العباسية ..ولكنها الحقيقة ...شئتم أم أبيتم، الجن هم مَنْ قام بتلك الجرائم وليس نحن ...

اعتدل أشرف إلى الخلف معترضًا مستهزئًا:

- يعني إيه الجن هو اللي عمل الجرايم؟

ملبوسين يعني...ممسوسين؟

- الحقيقة نص كلامهم مش مفهوم، بس الموضوع ليه علاقة بالسحر السفلي، أنا قلبي كان مقبوض أوي وأنا بسمع كلامهم.

كانت علا ترتجف أحيانًا، وأنا أتحدث وأحكي لها عمَّا حدث...كنت أرى ذلك في عينيها الرقيقتين ..ولا أدري كيف وضعوا ذلك الملاك في هذا المكان ..تبًّا لهم.

اقترب أشرف منها وعيناه ممتلئتان بالإعجاب:

- انتي مشكلتك يا علا انك من الجنس الناعم الرقيق والشغلانة دي عاوزه قلب جامد ميتهزش مهما حصل، بلا جن بلا عفاريت بلاش كلام فارغ.



كان أشرف يعتبر ذلك نوعًا من الهروب من الجريمة ...الهروب من الواقع...متهم بجريمة قتل لا يجد أمامه مفرًّا فيختلق قصة الجن حتى لا يجد أمامه سوى حَلٍّ واحد وهو التأكيد بأنه مختل عقليًّا وارتكب تلك الجريمة وهو غائب عن وعيه ...ذلك كان مبدأه واعتقاده الدائم، ولكن علا كان لها رأي آخر.

- لا يا دكتور عالم الجن موجود وخفي عننا تمامًا، ويجوز يكون ليه علاقة بالأمراض النفسية.

- مش عيب دكتورة زيك تقول كلام فارغ زي ده.

حاولت علا إقناعه بلا فائدة فقاطعها بحدة:

- اسمعي يا علا ..الخمس حالات دول يبقوا تحت

الملاحظة طول الوقت، مش عاوز أي مفاجآت، مفهوم؟

- حاضر يا دكتور.

التفتت له متذكرة:

- حضرتك هتعمل إيه في أوامر سيادة الوزير؟

كان وزير الصحة أصدر أوامره بتغيير أنظمة العلاج النفسي بالمستشفيات إلى الطريقة الجديدة التي شرحها لهم دكتور إبرام اللبناني الجنسية بالتدريج أو بمعنى آخر بشكل تجريبي مع بعض الحالات، وإرسال تقرير موحد بنتيجة تلك الطريقة عن حالة المرضى للوزارة.

أجابها أشرف:



- هننفذها طبعًا.

- مش حضرتك كنت رافض نظرية دكتور إبرام؟

- لازم نسمع كلام الكبار حتى ولو مش على هوانا، قسمي المرضى لمجموعات، كل مجموعة ٥ أو ٦، واعملي جلستين في الأسبوع، كل مجموعة تبقى تحت إشراف طبيب استشاري ومعاه نائب يساعده، اعملي جدول بده وبلغي بيه الكل، وحطي المجموعة دي تحت ملاحظتي أنا وانتي.

- حاضر يا دكتور ..حضرتك عاوز مني حاجة تاني؟

اقترب منها أشرف وكأنه يغازلها مجددًا محاولًا لفت نظرها إليه:

- ما بلاش حضرتك دي ...قوليلي أشرف، مش أنا بقولك يا علا، ولا انتي مش عاوزه نكون صحاب؟!

لم تجبه علا ...كالعادة ..مجرد ابتسامة صفراء ترتسم على وجهها ...استنشق عبيرها الذي لا يفنى مطلقًا ...مقتربًا من شعرها محاولًا اشتمامه ..

- الله..هو البرفان ده اسمه إيه؟

ابتعدت علا عنه بحدة واضحة حدًّا لقُربه منها:

- دكتور أشرف من فضلك أنا ورايا شغل بعد إذنك.

خرجت علا سريعًا وبقي أشرف في مكتبه معانقًا رائحتها وعَبقها النفاذ المرفرف حوله في كل مكان.



- كانت عقارب الساعة تقترب من الواحدة ظهرًا..كنت في عنبري أغالب تلك الحالة التي وصلت إليها...لا أقوى على التفكير في أي شيء...فراغ كبير يملأ رأسي ...وكأنني أقف بعيدًا وسط رمال متحركة تلتهمني رويدًا رويدًا ..لا شيء سوى صوت الهواء المدوي بالصحراء الخاوية يملأ أذني ورأسي..كنت أرتعش كالعادة، كنت أعلم أن الثلاثة يرتعشون مثلي باحثين عن أنفسهم ...

يسرا ...توفيق وأحمد سمير ...على الرغم من قِصَر المدة التي تعرفت عليهم فيها ..لكني أشفق على الثلاثة من تورطهم معي في ذلك الماضي الأسود..الماضي الذي مَدَّ يديه ليخنقنا جميعًا دون رحمة أو هوادة...وانضم إليهم أبو الوفا ..وجريمته الوحيدة أنه صديقي الوحيد ...استمع إلى صوت صراخه مع أول شحنة كهرباء تهاجم جسده...سيرفضها بأعلى صوته، ولكنه لن يقوى على تحمل الثانية والثالثة وما بعدها..سيستسلم عاجلًا أم آجلًا ..مثلي ...أحاول فتح عيني، في حالتي تلك لا أدري: هل أنا مستيقظ حقًّا أم أني ما زلت في غيبوبتي؟ تثاقلت عيناي بشدة ...كانت النافذة مفتوحة باستمرار والهواء يحاول جاهدًا دون فائدة إفاقتي...أحاول وأحاول وأحاول لعلي أجد نفسي مقاومًا ذلك الضياع الذي أوصلوني إليه...

حاولت النهوض للجلوس على سريري...جلست بإعجوبة...بذلت كل قوتي لأفتح عيني...حاولت أن أستنشق من الهوا ء الذي حولي فلم أستطع...وكأن رئتي عطلت ...نظرت أمامي..لم أصدق ما أرى..



أراني مشنوقًا بمنتصف الغرفة متدليًا مـن حبـل معلـق بمنتـصف السقف...حالة من الصمت الحاد والـشلل التـام أصـابتني ...لا أدري كم من الوقت مر وأنا على هذا الحال..ذهول لا يُفـارقني ...هـل تلـك هي النهاية..أعود من غربتي لأموت هنـا...وبهـذه الطريقـة..لأصـبح ذلك الشخص الذي قتله ماضيه..كنت أظن أنني سأعيش ما تبقى مـن عمري هانئًا سعيدًا ...ظننت أنني سأبدأ من جديد ...ولكني اكتـشفت الحقيقة الآن..ما عشته في المـاضي لا يولـد منـه أي حـاضر أو مـستقبل ...لا يولد من رحمه سوى شيء واحد فقط ..انهيار.





كالوردةِ في رِقَّتِها

(اليوم الواحد والعشرون) (السابعة صباحًا)

تحركت عقارب الساعة في ذلك المنبـه الكبـير بعـضها وراء بعـض حتى دقت الساعة السابعة صباحًا..اهتز بعنف باحثًـا عمـن يدخلـه في سـباته مـرة أخـرى...امتـدت يـدها الرقيقـة لتغلقـه..فتحـت عينيهـا الساحرتين لتضيء بهـا غرفتهـا الراقيـة ..صـباح جديـد يبـدأ ووجههـا الملائكي هو أيقونته المتجددة ...إنها دكتورة علا فاروق ...جلست على سريرها تفيق للحظات ثم ابتسمت كالملائكة ونفضت غطاءها ونهضت لتخرج من غرفتها الواسعة الراقية الأثاث...

تصارعت المياه داخل السخان الكهربائي مقتربة على الغليان..

وقفت علا تعـد ساندوتـشات بـالمطبخ المفتـوح عـلى الريسيبـشن الكبير في أطراف تلك الفيلا الواسعة الأنيقة بـالتجمع الخـامس...عـلى الرغم من بعدها عن عملها ومدرسة ابنها الوحيد فإنهـا أحبـت بعـدها وهدوءها ..كم تعشق علا الهدوء والسكينة والبعد عن الناس...تعـيش



منعزلة مع ابنها إياد ذي السبع سنوات بعدما مات والده حتى والدتها لا تراها إلا نادرًا..

جلس إياد بملابس المدرسة يأكل أمام التليفزيون ..شاشة عرض كبيرة بمنتصف الريسبشن ...يشاهد فيلمه المفضل PINK PANTHER على قناة الأطفال ...يضحك ويندمج ببراءته الصغيرة..تبتسم علا من بعيد حين ترى اندماجه ...يتناولان إفطارهما سريعًا ...يخرجان من الفيلا ممسكين أيدي بعضهما البعض كحبيبين متشابكين...تنطلق علا بسيارتها الفارهة السوداء اللون وإياد بالكرسي الخلفي يحدثها:

- مامي هو بينك بانثر ليه لونه بينك؟

- يعني إيه يا إياد؟

- يعنى ليه هو بينك واحنا لونا ...

فكر قليلًا لا يجد ما يقوله متسائلا:

- هو احنا لونا ايه يا مامي؟

- احنا لونا WHITE

أعاد سؤاله مرة أخرى ببراءة:

- طيب ليه بقه هو PINK مش WHITE زينا؟

حاولت علا إيجاد إجابة تناسب عقله وعمره فردت مبتسمة:



- عشان هو TOY يا إياد.

فكر إياد قليلًا ورد عليها مستنكرًا:

- يا سلام ماهو ميكي ماوس لونه مش بينك، ولا ميني ماوس ولا تيمي تايم، وكمان فيه واحد معانا في SCHOOL، لونه بلاك يا مامي مش WHITE

من الصعب دائمًا أن تقنع الأطفال بردودنا السطحية فلا نجد مفرًّا في النهاية أن نرجئ الحديث لأوان آخر وفي الغالب نهرب دائمًا من إكماله بطرق مختلفة.

كانت علا قد وصلت لباب مدرسته فتوقفت بسيارتها وسلمته للأمن على الباب.

-نبقى نتكلم في الحكاية دي بعدين.

-يوه يا مامي كل مرة تقوليلي كده!

-مع السلامة يا إياد.

-باي يا مامي.

-باي يا حبيب مامي.

انطلقت علا بسيارتها متجهة إلى عملها ..عليها أن تكون يوميًّا بالمستشفى في تمام التاسعة صباحًا... أخرجت أسطوانتها المفضلة وأدارتها ..إنها موسيقاها المفضلة ...موسيقى بتهوفن... تشعر بالراحة حين تستمع إليها...تحب دائمًا أن تبدأ بها يومها ..تلك هي طقوسها



الدائمة..محتفظة بابتسامتها الساحرة على الرغم من قسوة ما مرت به من فقدان زوجها وهي ما زالت شابة صغيرة هكذا..

لاحظت علا سيارة تأتي مُسرعةً خلفها ترغب في اللحاق بها...زادت من سرعتها فلم تستطع الإفلات منها...اقتربت منها السيارة الأخرى وتعدت سيارتها لتقف أمامها فجأة...كان شارعًا جانبيًّا فارغًا تقريبًا من المارة في تلك الساعة المبكرة من الصباح..نزلت علا من سيارتها بعصبية شديدة لتتفاجأ أن من بالسيارة الأخرى هو هشام فريد ذلك الطبيب المجنون المُطارِد لها منذ فترة..

نظرت له بحدة وعصبية:

-عاوز إيه يا هشام؟

نظر بعينيها وكأنه يخبرها بحبه الشديد لها:

-انتي عارفة كويس أنا عاوز إيه؟

-يا أخي ارحمني بقه انت مبتزهقش؟!

اقترب منها أكثر:

-أنا عمري ما هفقد الأمل أبدًا.

ابتعدت قليلًا بعصبية مخبطة على سيارته

-والله؟ امشى يا هشام..امشي وكفاية بقه لحد كده..كفاية

امتلأت عيناه بالدموع.



-أنا لسة بحبك يا علا ومش عارف إيه اللي غيرك

كده ...مش قادر أصدق إننا خلاص مش هنبقى

لبعض تاني ...مش قادر اقتنع..لا قلبي ولا عقلي

قادرين يفهموا يعني إيه علا مش موجودة في حياتي

علا أنا...مش قادر..مش قادر يا علا.

صرخت فيه بقوة:

-انت مريض يا هشام ...مريض وأحسنلك تروح تتعالج.

أمسك هشام يدها بقوة وبقسوة ناظرًا لها بحدة متناهية:

-تاني..انتي فاكراني واحد من اللي عندك في المستشفى

حاولت علا أن تسحب يدها منه متوجعة فلم تستطع

-إوعى إيدي

ترك يدها وامتلأت عيناه بالدموع أكثر وأكثر

-أنا أسف..أنا ..مش عارف بتصرف ازاي ..

مش قادر على بعدك ده مخليني زي المجنون

اتجهت علا إلى سيارتها لتنهي ذلك الحوار عديم الفائدة لها ناظرة له بحدة:

-انت فعلًا مجنون.



-مش هسيبك يا علا أنا بحبك ومش هسيبك.

انطلقت بسيارتها مبتعدة عنه

-إوعى يا أخي ..روح في داهية تاخدك.

ابتعدت علا وهو يعلو بصوته اشبه بالصراخ:

-مش هسيبك يا علا! مش هسيبك!

كان وجهه ممتلئًا بمزيج من نظرات الحب والانتقام.. مضطربًا للغاية...ابتعدت علا وحاولت نسيان ما حدث..تنهدت وأعادت موسيقاها المفضلة مرة أخرى...أدارت الصوت عاليًا ليعلو على حالتها المزاجية المضطربة..لكنها لم تقوَ على تجاوزها..هشام فريد أفسد يومها...

كان هشام يحبها بشدة مثله مثل الكثيرين الواقعين في جمالها الأخاذ..النظرة في عينيها تنسيك الدنيا بما فيها ...سحر عجيب يحيط بها ...لن تستطيع الإفلات منه مهما تكن...ستأسرك بعبيرها وعبقها بمجرد أن يخترق أنفك..ستستولي على قلبك من النظرة الأولى...إنها دكتورة علا فاروق ...كالوردة في رقتها.



سيكودراما

(اليوم الحادي والعشرون) (الساعة الحادية عشرة ظهرًا)

مر يومٌ بأكمله وأنا أتساءل: هل مت حقًّا أم أنها مجرد هلاوس بصرية نتيجة تلك الجرعات الزائدة من الكهرباء اللعينة؟ تأملت وجهي وعيني الجاحظتين وأنا أتدلى من ذلك الحبل الغليظ المتدلي من منتصف الغرفة...تذكرت سنواتي الأربعين السابقة مئات المرات وأنا جالس مرتعش في جانب الغرفة ..أنتظر من يفتح الباب عليَّ ليحملني للمشرحة ومنها إلى قبري ليسدل الستار على حكايتي ..وتنتهي معاناتي إلى الأبد..

صوت ما بالخارج..إنه صوتها...كم سأفتقدها تلك الرقيقة! دكتورة علا...تطلب من الممرض أن يفتح لها القفل على بابي..ينفتح الباب وتدخل علا ..أنظر في عينيها لأودعها...حتمًا ستفزع حين تراني مشنوقًا..نظرت ناحيتي فلم أجدنى معلقًا ...اختفيتُ..نظرت نحوي



في ركن الغرفة ...اتجهت نحوي...تبًّا ..ما زلتُ حيًّا...ما زالت معاناتي تتنفس...كانت تهيؤات..يا ليتها كانت الحقيقة! اقتربت مني بابتسامتها المعتادة:

- صباح الخير يا أمير.

كان معها متولي كبير الممرضين ...اكتفيت بابتسامة شاحبة لها...مد متولي يده وأمسكني ونهضت معه مستسلمًا وخرجنا جميعًا خارج عنبري.

كانت غرفة واسعة لم أدخلها من قبل...مروحة تتدلى من السقف تضرب بهوائها بشكل رتيب...الغرفة خاوية إلا من بعض المخدات المرصوصة بانتظام بأرضية منتصف الغرفة..منضدة خشبية قديمة عليها مجموعة من الملفات الورقية وكاسيت وبعض الشرائط...

كنتُ أنا آخر عضو ينضم لمن جلسوا بمنتصف الغرفة... رأيتهم جميعًا في نفس حالتي...الاستسلام المميت...جلست بجوار صديقي أبي الوفا..بعدما ربت على كتفيه محاولًا الاعتذار له عما يحدث بسببي ..كان في حاله يثرى لها... أمامي يسرا تلك الفتاة الرائعة الجمال التي لا يصمها أي شيء سوى أنها حاولت الخروج من الفقر..فقط صدقتني ...ووثقت بي...غامرت معي ...أحتقر نفسي بشدة..أنا السبب وراء ضياعهم...من الصعب أن تشعر أنك ملعون والأصعب أن لعنتك تُصيبُ كل من يحاول التقرب منك ...

جلسنا في شكل نصف دائري ..وعلى الطرف الأيسر لي جلس أحمد سمير وتوفيق ..منهزمين.



وقف دكتور أشرف سعيد أمامنا وبجواره الدكتورة علا وكأنه يلقي محاضرة ...

- أنا الدكتور أشرف سعيد

ودي الدكتورة علا فاروق

هنكون معاكم الفترة الجاية

عاوزكم تعتبرونا صحابكم

قرايبكم تعتبرونا اقرب الناس ليكم

احكي اللي جواك..اللي حاسة

اعتبرني واحد صاحبك قاعد معاك على القهوة...فضفض

قول كل حاجة مهما تكن خطورتها

وخليكم عارفين أن أكتر حد ممكن

يصدقك هو احنا عشان نقدر نساعدكم

كان دكتور أشرف ينظر بأعيننا جميعًا واحدًا تلو الآخر محاولًا السيطرة علينا نفسيا ..وكنا ضعفاء للغاية لا تبذل أي مجهود لتسيطر علينا في هذه اللحظة..

أشار حينها إلى دكتورة علا بيده ...وضعت شريط بالكاسيت فبدأنا نستمع إلى موسيقى هادئة..ووضعت شريطًا آخر في الجانب الآخر من الكاسيت يبدو أنها ستكون جلسة مسجلة...اقتربت منا بعد



ذلك ونظرت في أعيننا جميعًا...كنا لا نقوى على إبعاد أعيننا عنها...بدأت تتحدث سالبة كل حواسِّنا:

- عالم النفس البشرية عالم غامض عجيب من الصعب على أي حد تفسيره ..جوه كل واحد فينا شخصين ..شخص بيستمد طاقته وحيويته ونشاطه من العالم الخارجي وتعامله مع الناس وده الشخص العقلاني المنفتح على الحياة اللي بيفكر بصوت عالي ومن السهل إنك تقرى أفكاره وتحلل شخصيته بسهولة وشخص تاني بيستمد طاقته وحيويته ونشاطه من العالم الداخلي من عالمه الخاص اللي هو بس عارف جوانبه وده بيبقى شخص انطوائي منغلق على ذاته بيفكر بعاطفته بس وبيبقى مستحيل انك تعرف بيفكر في إيه أو ناوي على إيه اللي بيخلي واحد فيهم يسيطر على التاني هو الظروف اللي بيمر بيها البني آدم انتم في الفترة دي مسيطر عليكم

عالمكم الداخلي عايشين فيه غامضيين قافلين على نفسكم أي فرصة للخروج من العالم ده ...

قاطعها دكتور أشرف فنظرنا إليه جميعًا:

- أنا عاوزكم تساعدوني، ساعدني إني أمد إيدي وأخرجك، ساعدني إني أرجعك تاني بني آدم

طبيعي. احكي كل اللي جواك بصراحة، وابدأ من الحتة اللي تحب تحكيها.احنا سامعينك ومستعدين نساعدك.

نظرنا جميعًا بعضنا إلى بعض..الحيرة تملؤنا ...هل سنقص عليهم ما جرى لنا؟ ولم لا؟ لعلهم يساعدوننا بالفعل للخروج من تلك



الأزمة..من سيبدأ؟ ذلك هو السؤال الأهم...وجدتهم جميعًا ينظرون إليَّ ..يبدو أنهم قرروا أنني أملك نقطة البداية ...وللحق إنها فعلًا كذلك..امتلأت عيني بالدموع ..شردت محاولًا تمالك حواسي ..اقتربت دكتورة علا من الكاسيت وبصوتها الرقيق النافذ إلى القلب

- جلسة رقم ١ ...سيكودراما.





خُيوطُ العَنكبوتِ

(اليوم التاسع) (الساعة الخامسة عصرًا)

كان أبو الوفا ينظر إليَّ متعجبًا ...متسائلًا عن تلك الرعشة التي انتابتني بمجرد شروعي في فتح باب شقتي بالمنيل ...

- إيه يا جدع إيه الحكاية؟

- لا مفيش حاجة.

فتحت الباب ببطء شديد خائفًا من صندوقي الأسود..الممتلئ بماضٍ أشبه بخيوط العنكبوت ...إن تمكن منك سيفترسك..كان نفس الصوت يكمن خلف ذلك الباب...لا يمكن أن أخطئه أبدًا...ذلك الصوت القميء المثير للغثيان... نفس الإيقاع المنتظم..إنه صوت تلك الدقات العنيفة على الطارات البيضاء المستديرة المرعبة...دقات الدفوف..صوت إيقاع جلسة الزار..نعم إنه نفس الصوت أسمعُه جيدًا الآن بعد أن انفتح الباب ببطء...دخلت الشقة متعجبًا مذهولًا مما أرى..رجال ونساء يلتفون متراقصين على إيقاع تلك النغمة...نغمة



الزار..يتمايلون برؤوسهم كالمهاويس..رجال يمسكون بدفوف مستديرة يضربون عليها جاحظي الأعين..إنه نفس المكان..نفس الحدث المتكرر...إنه هو...والدي ...كاظم نصر ..ذلك العجوز قاسي الطباع...حاد الملامح...تشعر أن عمره تجاوز المئتي عام على الرغم أنه لم يكمل الخمسين بعد...وقف وسط هؤلاء المتراقصين بنظراته القاتلة...ممسكًا إناء من النحاس ممتلئًا بذلك السائل الأحمر اللون ..أعرفه جيدًا...إنه مزيج من دماء الطيور والفئران..كان والدي يصنعه بنفسه في ذلك البدروم المرعب أسفل تلك البناية..قارئًا عليه تعاويذه اللعينة ..كان يرشه تحت أرجل المتراقصين بحده ..كنت مذهولًا لما أرى...وكأن السنين لم تمر..

كانت هناك..في أحد الأركان جالسة بمفردها وحيدة ..كما كانت طوال حياتها ..عرفتها بقلبي قبل أن تراها عيناي...أحسست بوجودها .. كل ما في ذلك المنزل يذكرني بها ...بحنانها ...بضحكاتها .. بابتساماتها التي أضاءت حياتي كلها حتى بعد رحيلها ..إنها أمي .. منيرة السيد..ملاكي الوحيد بهذه الدنيا الذي عاش حياته وسط شياطين الإنس والجن ..وقرر أن يرحل رغمًا عنه لتنهي مأساتها بيدها.....

دمعت عيناي حين رأيتها ...وددت أن أرتمي في أحضانها... اقتربت منها وسط ذلك الجنون المتراقص على دمائه القذرة الممزوجة..كانت تمسك كتاب الله في يدها وتقرأ باكية



محاولة أن تعلو بصوتها على تلك الأصوات اللعينة:

- وجعلنا من بين أيديهم سدًّا ومن خلفهم سدًّا فأغشيناهم فهم لا يبصرون

كررتها مرارًا وتكرارًا...لم تقوَ على صراعهم ...التيار في أعتى صوره ..الدماء تتناثر بقسوة على أرجل المتراقصين..ضربات الدف أشد عنفًا لا تترك فرصة لصوت آخر بجوارها ...

هبطت على قدميها والدموع تملأ عيني ..وددت أن تنظر إليَّ ولو مرة واحدة ..

بكيت ..بكيت كثيرًا لا أدري كم لبثت هكذا؟ إلى أن ربت أبو الوفا على كتفي مناديًا:

- أمير ...أمير..يا صاحبي. بسم الله الرحمن الرحيم، مالك بتعيط ليه؟

كان صوته بعيدًا وكأنه يأتي كصدى صوت في نفق مظلم مخيف ولكنني سمعته ..نظرت إليه بعيني الباكيتين ...توقف الصوت ..نظرت حولي ..لا شيء...وكأن شيئًا لم يكن..اختفى كل شيء..لا شيء سوى ذلك الأثاث المغطى بمُلاءاتٍ بيضاء وأتربة دامت سنوات..وقفت ناظرًا لأبي الوفا دون إجابة.

–يا بني ما ترد عليا إيه الحكاية؟

تركته وتوجهت إلى صورتها المعلقة منتصف الصالة ونظرت إليها محاولًا معانقاتها.



- مفيش يا أبو الوفا..افتكرت بس أمي الله يرحمها.

- إيه ده هي ماتت؟ البقاء لله مش كنت تقولي يا صاحبي.

- ماتت قبل ما اسافر.

- امال ابوك فين؟

قالها ناظرًا حوله في أركان البيت:

- إوعى تقولي إن هو كمان؟

- مات من خمس سنين.

- لا إله إلا الله.

بدأت بنزع الأغطية عن الأثاث محاولًا تغيير مجرى الحديث..

- اقعد يا أبو الوفا معلش بقه البيت مقفول من زمن هبقى أجيب أي حد ينضف.

- بكره هبعتلك الولية أم حسين تخليهولك بيبرق.

نظرت بعيني أبي الوفا لأقرأ نفس السؤال الذي أتهرب من إجابته..

- هو إيه اللي حصلك يا صاحبي؟

منذ أن قابلته وأنا أرى نفس السؤال في عينيه..وللحق أنا نفسي أرغب في أن أحكي كل شيء...تعبت من حمول السنين..فقط أريد أن أتكلم مع شخص أطمئن إليه كأبي الوفا..طلبت منه الجلوس والاستماع



لي ..فقط الاستماع دون مقاطعة ..استغرقت حكايتي خمس ساعات لم أكف لحظة عن الحكي والكلام وأبو الوفا منصت تمامًا لا يقاطعني حتى انتهيتُ، فربت على كتفي متنهدًا:

- يااااااااااااااااااااه ده انت حكايتك صعبة أوي يا صاحبي، بس برضه واجب تدعيله بالرحمة والمغفرة

رددت عليه بسخرية:

- تفتكر؟

- مفيش حاجة بعيدة عن ربنا.

- تفتكر ربنا ممكن يغفر لواحد كان بيعمل أسحار سفلية لواحد عاش طول عمره في غضب من ربنا

يفرق بين واحد ومراته ويجوز دي لده ..ويطلق دي من ده ...تفتكر؟

كنت أكرهه منذ صغري..قدري فرضه قهرًا عليَّ ...ولدت لأجده والدي ..ولم أقوَ على تغيير أي شيء...أبغضه وأبغض كل سنوات عمري التي عشتها بجواره...

حاول أبو الوفا تغيير مجرى الحديث بعدما شعر بالحرج مني...كنت أرى في عينيه اللعنات تنصب على والدي البغيض:

- ربك غفور رحيم يا أمير، وأكم من ناس عاصيه عايشه وسطنا، ربك رب قلوب يا صاحبي، خلاصته انت جاي ناوي على إيه؟



تنهدت ناظرًا إليه:

- من ساعة دفنته وأنا ناوي على بيع البيت باللي فيه ووصيت سمسار المنطقة

يجيبله بيعه كويسة

- وده يجيله بكام يا صاحبي؟

- مش أقل من ١٥ مليون.

- يادين النبي ...ده انت من الأعيان بقه.

- أه من الأعيان مع وقف التنفيذ.

- ليه تاني؟

- ٥ سنين أهو ومجاش ولا زبون، ولا واحد يشتري وكل ما اكلم السمسار

من بره يقولي حال البلد واقف، وحركه البيع والشرا نايمة بعد الثورة، وكلام حمضان كتير من النوعية دي.

- أه.

- لقيت السنين عماله تجري والعمر بيعدي فقررت اجي بنفسي اقعد

هنا لحد ما اشوف صرفة في البيت.

اعتدل أبو الوفا متسائلًا بجدية:



- الله طب وهتقعد ليه طالما مفيش بيع ولا شراء كنت خليك هناك لحد

ما السمسار يلاقيلك بيعة.

- لا مانا ناوي أوصي كذا سمسار تاني وبرضه كلمته قولتله أنا جاي يوم كذا

ولو مجيبتليش مشتري هروح لغيرك.

ابتسم أبو الوفا:

- صح كده ...بس أمانة عليك متنساش أخوك لما تبيع أحسن ملطشه ع الاخر.

- يتباع بس وأنا اظبطك.

تركني أبو الوفا مستعدًا للرحيل مرة أخرى:

- أسيبك أنا بقه ترتاح وتنام واجيلك بكرة.

تمسكت بذراعه خائفًا من وحدتي مجددًا:

- لا والنبي يا أبو الوفا ...زي مانت شايف معدش ليا حد ..بات معايا، خد كلم مراتك عشان متقلقش عليك.

ناولته الموبايل الخاص بي فردَّه إليَّ:

- أنا مش متجوز.

- أمال عايش مع مين؟



- قاعد مع امي.

- ربنا يخليهالك ...طب خد كلمها وبات معايا الليلة.

- طيب يا سيدي ..هنزل استقضالنا شوية أكل نتعشى بيهم.

أخرجت بعض الأموال من جيبي لكنه رفض أن يأخذها ...كان يمتلك تلك الأخلاق التي كنت أوشكت على نسيانها ..أخلاق (ولاد البلد)...على الرغم أنه في بيتي ولكنه يعتبرني ضيفًا لقدومي توًّا من السفر.

- عيب يا أمير ده انت ضيفنا يا جدع.

ناولته الموبايل مرة أخرى:

مش هتكلم أمك؟

- هكلمها من موبايلي ...مش هغيب، سلام مؤقت.

خرج أبو الوفا وترك باب الشقة مفتوحًا ...التففت ناظرًا حولي بأحاسيس ومشاعر متضاربة ...يتملكني شوق لكل مكان في ذلك البيت كان يجمعني بأمي الحبيبة وذكرياتنا معًا ...وفي نفس الوقت يتملكني غضب واستياء من كل مكان هنا جمعني به ..والدي البغيض ..راغبًا في حرق كل ذكرياتنا معًا ولكني لا أستطيع...

كانت الساعة تقترب من العاشرة والنصف ليلًا...تركني أبو الوفا وسط ذكرياتي الأليمة ..أدركت مؤخرًا أنني مهما أهرب فإنه مُلاحقي لا محالة ...كنت أظنني وأدته للأبد ولكنني بمجرد أن دخلت إلى هنا



وجدته أمامي حيًّا يتنفس ناظرًا إليَّ ضاحكًا مستهزئًا بي ...إنه الماضي الأسود في ذلك البيت...نظرت حولي بكل مكان ..لم يتغير شيء منذ زمن..فتحت باب غرفتي ..الدموع تملأ عيني...أضأت مصباحها...كل شيء في مكانه ...نظرت لغرفتي وسريري بحب شديد ...تذكرت تلك اللحظات السعيدة التي عايشتها مع أمي في تلك الغرفة ...رأيتها أمامي منذ واحد وثلاثين عامًا..وكأن الزمن توقف منذ تلك اللحظات...كنت حينها في الثامنة من عمري..كانت البراءة تملؤني ولا يشغلني في الحياة أي شيء سوى التمتع بحنان أمي ...

أرى ضحكاتها الصافية أثناء مشاركتي اللعب ها هنا وأحضانها الدافئة المتكررة التي كانت ملاذي الوحيد...كنت أختبئ منها تحت ذلك السرير، وكانت تبحث عني كثيرًا على الرغم أنها كانت تعرف مكاني ..كانت تعلمني كيف أصلي ...كانت تُعلِّمني النَّقاءَ ..كانت السبب في كل شيء رائع عرفته بحياتي ..أراها تقص لي قصصها البريئة وأنا أُغالب نومي مبتسمًا في حضرة أحضانها الباعثة للاطمئنان...

كانت نافذتي الوحيدة التي أطل منها على الدنيا في ذلك العمر الصغير ..يا ليتني مت وقتها...يا ليت عمري توقف عند تلك اللحظات ..يا ليتني ما رأيته ولا تعلمت منه شيئًا...كان السبب في كل شيء قذر عرفته بحياتي ...والدي البغيض..أخجل حين الفظه بوالدي ...لا يستحقها مطلقًا ..إنه كاظم نصر ذلك المعتوه بالأسحار السفلية..لك أن تتخيل طفلًا في الثامنة من عمره في مقتبل الحياة يقف على أبواب لعنته بمنتهى البراءة وبدلًا من أن يغلق أبوابه أمامي



بالعكس تركها مفتوحة وكأنها كانت موافقة ضمنية منه أن أصبح مثله ..لم أنسَ تلك اللحظة التي بدأ فيها كل شيء يتغير ..أتذكرها جيدًا ...

كنت في غرفتي أغالب النوم كباقي الأطفال ...أحاول التمتع باليوم واللعب حتى آخر لحظة من اليوم خاصة أن والدتي كانت خارج البيت تزور جارتنا العجوز المريضة..استمعت إلى صوته بالخارج ..نهضتُ فرحًا معتقدًا أن أمي قد عادت..

وقفت متسللًا على باب غرفتي أختلس النظر للخارج ..كانت الإضاءة خافتة على الشموع المرصوصة على الأرض... كاظم نصر يقف بمنتصف صالة البيت وبجواره خمسة رجال وجوههم مرعبة أو هكذا رأيتهم .. هناك سيدة ممدة على المنضدة بوسط الصالة ووقف الباقون حولها بجوار كاظم نصر ...أمسك بكتاب أوراقه بالية ..ناظرًا لها بحدة متناهية وكانت هي غائبة تقريبًا عن الوعي...الأبخرة تتصاعد لتملأ المكان ..كدتُ أن أختنق متابعًا لما يحدث..احتبست أنفاسي خوفًا من أن يراني ...

نظر إليها بحدة جاحظة عيناه:

- اجلسي وحيدة في الظلام وأغمضي عينيكِ ...اتركي خيالك حُرًّا طليقًا، ارسمي معي هذه الصورة، كائنًا نصفه العلوي إنسان ..أسود اللون ...سواد حالك، عيناه صفراوان ...له نابان كبيران، لا يستطيع غلق فمه بسببهما، لديه قرنان طويلان، يداه مشعرتان جدًّا، أظفاره سوداء قبيحة ..



هاه شيفاه

ارتعشت السيدة وانتفضت ..سمعتها تنطق:

- أيوه.

كان موقفًا مرعبًا لي على الرغم أنني لم أفهم شيئًا مما جرى...

خلدت إلى النوم مرعوبًا تلك الليلة، وقصصت على أمي ما رأيته في اليوم التالي ...خرجت أمي الحبيبة من غرفتي والغضب يملؤها بعد أن طلبت مني عدم الخروج مهما يكن من غرفتي ..والدي كان جالسًا بالخارج يأكل طعام الغداء ..كنت أسمعهما جيدًا وأتابعهما من خلف باب غرفتي ..

كانت أمي في حالة شبيهة بالانهيار والغضب المتناهي، كادت أن تنفجر بوجهه:

- حرام عليك بقه ..مش كفايه كتب السحر المقرفة اللي مالي بيها

البيت والبدروم كمان هتقلبها شعوذة!

- يا عبيطة ده شغل ...

وبيجيب فلوس كتير والبدروم تحت

ضيق هنا براح

- وأنا وابني مالنا بالقرف ده انت حولت عيشتنا كلها لقبر ضيق ورميتنا فيه وخلاص



ضلوعنا عماله بتتكسر يوم ورا يوم ..انت إيه يا أخي كافر!

- كفر إيه بس أنا بستعين بالجن بس، ده بدل ما تـشجعيني عـشان نبقى أغنيا ونقب على وش الدنيا.

- يغور الغنا اللي بالطريقة دي. انت مبتخافش من ربنا؟

- يا منيرة هو انتي فاكره الجن دول إيه ده فيه منهم كتـير مـسلمين زينا!

- اسكت ..اسكت كلامك ريحته تخنق.

كانت المرة الأولى التي أراه فيها هكذا...أو بمعنى أصح كانت المرة الأولى التي أكتشف فيها حقارته وقذارته ..كانت الطوبة الأولى في ذلك الجدار الضخم الذي بناه بيني وبينه على مر السنين ..أمسك يدها بقـوة كاد أن يكسرها.

- اسمعي بقه ..إذا كنتي انتي فقريه، وعاوزه تغرفي من الفقر طول عمرك، أنا لا وهعمل اللي أنا عـاوزه والـلي مـش عاجبـه ياخـد بعـضه ويمشي.

- انت بتزلني عشان عارف اني ماليش حد ومقطوعة من شجرة.

- يبقى تعقلي يا بنت الناس وتعاونيني في شغلي.

- حد الله بيني وبينك يا كافر.

- انتي شكلك عاوز تتربي.



بدأ حينها في ضربها...انهال بيده الصماء على وجهها وجسدها الرقيقين..خرجت جريًا من غرفتي لأمنعه..ارتميت بجسدي الصغير عليها لأتلقى الضربات عنها.

- سيبها يا بابا ..سيبها يا بابا.

تركها وخرج والشر يتطاير من عينيه...احتضنتها بقوة باكيًا ...

..ماما...ماما..معلش يا ماما متزعليش ..

كانت المرة الأولى التي أشعر فيها أنها تحتمي بي..أنها مسؤولة مني أنا...أنا فقط وليس أحدًا آخر..لذلك كان عليَّ أن أصبح أهلًا لتلك المسؤولية..كان عليَّ أن أفهم ما استمعت إليه حتى أستطيع حمايتها..كان عليَّ أن أعرف سبب خلافهما ...سيطر على عقلي ذلك حينها...أتذكر أنني ذهبت لشيخ المسجد الواقع على أول شارعنا ...وانتظرت حتى انتهينا من الصلاة ونهضت لأسأله ببراءة الأطفال ..

- يا سيدنا الشيخ...

اعتدل ناظرًا إليَّ مبتسمًا باشًّا:

- أيوه يا بني.

- ممكن أسأل سؤال؟

- اتفضل يا حبيبي.

أجلسني بجواره حاضنا إياي:



- قولي بقه إيه السؤال؟

- هو يعني إيه الجن؟

كان سؤالي صادمًا له...كيف يتسنى لطفل في عمري أن يسأل مثل ذلك السؤال.

- لا حول ولا قوه إلا بالله ... ليه يا بني بتسأل السؤال ده؟

جاوبته بكل براءة:

- سمعت بابا بيقول كذا مرة إنه بيكلمهم وعلى طول بيتخانق مع ماما وبيضربها بسببهم.

نظر إليَّ الشيخ لا يدري ماذا يقول، ثم تنهد محاولًا الاحتفاظ بابتسامته المعهودة:

- لا إله إلا الله.. ربنا يهدي العاصي، بسم الله الرحمن الرحيم (وما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنْسَ إلَّا لَيَعْبُدُونِ) صدق الله العظيم، الجن مخلوقات زينا يا بني ...بس مخلوقة

من النار منهم المسالم ومنهم المؤذي والعياذ بالله زي البني آدمين كده بالضبط.

- وهم فين يا مولانا بيقعدوا فين؟

كان سؤالًا آخر مباغتًا.

- ليه يا بني؟



- عشان أروح أقولهم يبعدوا عن بابا، عشان يبطل يضرب ماما.

- لا حول ولا قوه إلا بالله. ربنا يهدي العاصي.. هم يشوفونا يا بني واحنا منشوفهومش

ربنا خافيهم عننا يا بني عشان ليه حكمة في كده ...

- أمال بابا بيشوفهم إزاي؟

كنت مصرًّا على أن أفهم كل شيء...كل ما كنت أفكر فيه أن أحمي أمي من بطش والدي

لم يجد الشيخ ردًّا مناسبًا لي فتركني ونهض منصرفًا.

- أستغفر الله العظيم يا رب، اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء، منا ..لا إله إلا الله، لا إله إلا الله.

لم أفهم حينها لماذا فعل ذلك ...كنت بالفعل أريد أن أعرف...كان عالمًا ضبابيًّا لي..فضولي يجرجرني لأعرف ذلك العالم الخفي..كيف لأشخاص يرونك ولا تراهم ..أتذكر أنني كنتُ أتلفت حولي كثيرًا تلك الفترة لعلي أرى واحدًا منهم..أصبح ذلك هو الشيء الوحيد المستحوذ على اهتمامي حتى في المدرسة حكيت لزملائي حينها ما رأيته وعرفته وهم يقفون يستمعون لي مذهولين.

وقفت في حوش المدرسة أثناء الفسحة والتفوا حولي منصتين

- وأول ما بابا خلص قام الراجل خابط راسه في الحيط، والدم نزل من دماغه وقعد يصرخ



وبعدين صوته بقى خشن أوي وقعد يقول مش خارج مش خارج، مش خاااااااااااااااااااااااااااارج

- هو باباك كان حابسه ولا إيه؟

سألني أحد الأطفال حينها ببراءة متناهية وأجبته بثقة العالم بكل شيء:

- حابس مين يا حمار ..بقولك اللي بيتكلم ده كان جن جوا الراجل ده.

- محنا مش فاهمين يعني إيه جن؟

ابتسمت بثقة شديدة ممزوجة ببراءة متناهية:

- أنا أقولكم ..دي سهله خالص الجن زينا...بس مخلوقة من النار منهم اللي بيسلم ومنهم

اللي وحش وهم بيشفونا واحنا لا.

نظرت في أعينهم جميعًا حينها وهم صامتون تمامًا وكانت النتيجة لم يفهم أحد.

فرحت برؤية ذلك في أعينهم ...بدأ الجميع يعاملني وكأنني عالمهم الخاص... أبو العريف...يسألونني في كل شيء..يأخذون بآرائي ..اعتبروني فيلسوفهم الصغير...

لم أكتفِ حينها بما عرفته ..رغبت في التوغل أكثر وأكثر...ألم أقل لكم إنها كخيوط العنكبوت تلتهمك ناحية منتصفها رويدًا رويدًا ولن



تقوى على المقاومة..قررت أن أزور ذلك البدروم الذي كان والدي يقضي فيه أغلب وقته..ذلك المعمل الذي يلتقي فيه بتلك الشخصيات غير المرئية .. الجن ..هكذا ظننت...

حاولت التسلل إلى هناك دومًا، ولكن كاظم نصر لم يعطني الفرصة ..كان يكمن بالداخل دائمًا وكنت خائفًا أن يراني أو يعلم عني شيئًا..إلى أن حانت اللحظة المناسبة ...مرض كاظم أحد الأيام ..شعر بوعكة صحية أجبرته على التزام البيت يومين ..كنتُ عائدًا من المدرسة، وأعلم أن البدروم فارغٌ، وأن كاظم طريح الفراش بالبيت ..تسللت إليه هابطًا درجات السلم لأسفل ...عشعش الظلام بين جوانب ذلك المكان الموحش على الرغم من ذلك المصباح المرسل ضوءه من أعلى ...تشعر بالانقباض بمجرد الاقتراب منه ...رائحة كريهة تنبعث من داخله وتزداد كلما اقتربت من باب البدروم...ترددت قليلًا في الدخول ولكنني تجرأت...دفعت الباب بيدي..دخلت الغرفة الصغيرة..نظرت حولي...حوائط سوداء اللون متشققة وخيوط عنكبوت تعشش بالأعلى بكل الغرفة..كنت أشعر أن هناك أحدًا ما يتابعني ...التفت خلفي فلم أجد أحدًا...مصباح صغير متدلٍّ بمنتصف الغرفة ...منضدة تتوسط المكان وعليها بعض الشموع المُطفأة...ملابس داخلية عليها لون أحمر، عرفت فيما بعد أنه دماء..صندوق مغلق في أحد الجوانب تنبعث منه تلك الرائحة الكريهة..اقتربت منه محاولًا فتح الصندوق ...فضولي سيطر تمامًا على كل حواسي حينها ...فتحته ويا ليتني لم أفتحه...رائحة عفنة تقفز إلى أنفي تكاد تفترسني وتقضي عليَّ مخنوقًا



..مجموعة من الطيور والفئران المذبوحة والملقاة في ذلـك الـصندوق، لم أنسَ شكلها طوال حياتي ...بل كانـت زوَّارًا لي في كوابيـسى مـن حـين لآخر...أغلقتُ الصندوق مخرجًا ما في معدتي ..أشعر بأنفـاس أحـدهم حولي...أستمع لها لكني لا أرى شيئًا..حدثته مرعوبًا

- أنا أمير...انت مين؟ انت مين؟

كان يتنقل حولي ...أشعر بذلك جيدًا..

نظرت على تلك المنضدة الـصغيرة...هنـاك مجموعـة مـن الكتـب العتيقة...خطر ببالي حينها أنه مـن المنطـق ألا يظهـر هـؤلاء الجـن لأي شخص ..لا بد أن أكون شخصًا غير عادي...من الممكن أن تكون هذه الكتب هي تذكرة المرور لعالمهم..هكذا فكرت حينها عـلى الـرغم مـن صغر سني...مددت يدي وأنا أنوي قراءة كل هذه الكتـب ..أمـسكت أول كتاب من ذلك النوع في حياتي ...مسحت التراب عن العنوان غـير المفهوم لي حينها..قرأته:

(الجواهر اللماعة في استحضار ملوك الجان في الوقت والساعة)

فتحته وبدأت بتقليب أوراقه ..كانت المرة الأولى التي أمـسك بهـا كتـاب مـن هـذا النـوع في حيـاتي ..كـان شـعورًا غريبًـا تملكنـي حينها..وكأنك تقبض على قلبك بيديك لا تملك أن تعود أدراجـك ولا تستطيع الكف عن الضغط على قلبك ..شعور بالانقباض والخوف مـن العواقب..وكأنك تولد من جديد ..ولكن هذه المـرة في عـالم آخـر غـير عالمك...عالم الجن ...لا أتذكر كم مكثت في هذه الغرفـة الكئيبـة فاقـدًا



إحساسي بالزمن ..وكأن رجليَّ أصبحتا خارج سيطرتي..لكني استجمعت قواي وأخذتُ الكتاب مُخبئًا له بحقيبتي وخرجتُ ..دخلتُ إلى غرفتي سريعًا ..وضعت الكتاب تحت سريري ..كانت أمي تجهز لي الطعام ..أكلنا معًا بعيدًا عن أبي ...كان يأكل بمفرده دائمًا..انتظرت حتى الليل حتى نام الاثنان..

دخلتُ غرفتي لأنفرد بأول ليلة لي في ذلك العالم..أتذكر ذلك الكتاب جيدًا ..ما زلت أحتفظُ به حتى الآن ...اظنني وضعته بمكان ما هنا...إنه بنفس مكانه القديم ...تحت السرير...في صندوق لعبي القديمة..مددت يدي وأخرجته ...نظرت له ..تذكرت نظرتي الأولى إليه ...كان مرعبا وقتها ..وما زال... الاقتراب من شيء مجهول تشعر به ولا تراه ..فتحت الكتاب متذكرًا قراءتي الأولى له مزيلًا ذلك التراب المتراكم عبر السنين ..طفل يقرأ كتابًا يخاف كبار السن حتى الوجود في مكان يجمعهم بنفس الكتاب..

- طُرق تحضير الجان.

كان عنوانًا بخط كبير في صفحته الأولى ...

معظم الكتاب يحتوي على طلاسم تشعر أنها مكتوبة بالدماء...تلمستها وشعرت بذلك...

وقفت بمنتصف غرفتي يتملكني نفس الخوف القديم...

ارتعشت كثيرًا وأنا أقرأ مقدمة الكتاب ..وها هي نفس الرعشة تصيبني الآن وأنا أتذكر ذلك داخل غرفتي ممسكًا بنفس الكتاب ...



(كان هناك حروب دامية بين الجن والبشر..بل حروب بـين قبائـل الجن أنفسهم

وكانت النتيجة أطنان من الجثث ...وبحور من الدماء، وفي منطقة رهيبة الاتساع ...أرض لزجة مـن الـدماء المتجمـدة والمتجلطـة رائحـة الدماء تفوح ...من المكان ..رجلاك تغوصان

في الدماء المختلطة ..مكتوب على حوائطها جملة واحدة)

احتبست أنفاسي وأنا أقرأ نفس الجملة القديمة..

- شاك غلمش ابراك سوشاج

شاك غلمش ابراك سوشاج

لم تكن جملةه اعتيادية...كنت أعلم أنها المفتاح الأول لـذلك العـالم الخفي...

التفت الدنيا بي ..نظرت للحوائط حولي ...كتبت نفس الجملة على الحوائط المحيطة

كتبت بالدم ...انتابني الفزع والخوف ولم أتحمل ...وكيف يتحمـل طفل في الثامنة من عمره ذلك الموقف المخيف...ولكن الأعجـب أننـي في تلك السن وبعد واحد وثلاثين عامًا انتابني نفـس الـشعور بـالخوف وأنا أقرأ نفس الجملة بنفس المكان ...يبدو أنه شعور دائم مصاحب لمن يقرأ ذلك الكتاب...التفت الدنيا بي كـما حـدث في صـغري...انتـابتني نفس الرعشة ..كادت تلتهمني ..سقطت عـلى الأرض مجـددًا بعـد ٣١



عامًا بنفس المكان ..تزداد رعشاتي وغِبتُ عن وعيي ..وكأنها نوبة من الصرع...

هل شعرت يومًا ما أن هناك شخصًا ينظر إليك وأنت نائم؟

انا أشعر بذلك منذ تلك الليلة...منذ ذلك اليوم وأنا أصبحت شخصًا آخر ...تائهًا...أرى كل شيء حولي ولكنني لا أشعر به ...شعور لا يمكن لأحد أن يفهمه أو يقدره إلا إذا عايشه بنفسه...متاهة...متاهة مخيفة..دائرة كبيرة مغلقة أدور داخلها بلا رحمة والظلام يزداد بكل أرجائها تكاد تدفنني داخلها حيًّا ..طريق طويل مرسوم باقتدار آخره حائط ..سد منيع مجبرًا أن أمشيه إلى آخره.

أعترف أنني كنتُ مسلوب الإرادة في البداية..شيء ما خفي يجذبني لذلك العالم ..وكأنني رفضت العيش وسط بني آدم ..وكانت تسليتي الوحيدة هي تلك الكتب العتيقة الملعونة ..قرأتها واحدًا تلو الآخر...على الرغم من عدم فهمي لمعظمها...

..غبت عن الوعي مرتعشًا تهاجمني بعض الذكريات التي حاولت مرارًا وتكرارًا دفنها بعيدًا دون فائدة...ها هي تهاجمني حتى وأنا غائب عن وعيي...عاود نفس الصوت مرة أخرى ليعذبني..يكاد يخنقني ...صوت طبول الزار ..ها هو كاظم نصر بوجهه القبيح يقف بالقرب مني ...تخترق كلماته أذني لتتملك كل حواسي أسيرة لها ..

- أقسمت عليك بيوم البعث والنشور

وبحق النور ونور النور ومدبر الأمور



وإسرافيل النافخ في السور

أقسمت عليك بحق سكان الجسور

وسكان القبور والخراب والدور

كانت أمي المسكينة تقرأ القرآن دائمًا فوق رأسي معتقدة أن تلك الرعشات التي أعانيها من حين لآخر ما هي إلا حسد الحاسدين...لم تعرف أنها انتفاضات روحي الرافضة لتلك السموم التي يبثها والدي في عالمنا دون فائدة...

وفي فترة قصيرة كنت قد قرأت كل شيء...تلمست قذارة ذلك العالم بقلبي...تمنيت حينها الموت ..كنت أشعر بالذنب دائمًا...أدركت حينها أنه لم يكن لي أبدًا أن أدخل ذلك العالم...تمنيت أنني لم أقترب...تمنيت بعد سنوات أن أهرب أنا وأمي الحبيبة بعيدًا، ولكن الضعف والاستسلام كانا قد تمكنا مني ولم اقوَ حتى عن الإفصاح بذلك، وكأنني تعودت العيشَ وسط تلك القاذورات، تعايشت معها ..وكأنني دُفنتُ حيًّا .

لم أدرِ كم مكثت على هذه الحال..مرتعشًا غائبًا عن الوعي تهاجمني آلامي ...

..إنها نوبة عنيفة من الاهتزاز الشديد وكأنني أصارع ذكرياتي ..أصارع ما في داخل صندوقي الأسود..غارقًا وسط أمواجه القاتلة ...

قضيت حياتي كلها هكذا معذبا ممتلئا بالآلام..وكأنني منذ ولدت أُلقيتُ في تلك الخيوط محاولًا بكل ما لدي أن أفلت منها دون



جدوى...أعلم أنها ستتمكن مني في النهاية ولكن من يدري ...لعل المعجزة تحدث وأتغلب عليها...مين يعلم قد أمزقها وأخرج لدنيا جديدة...

وإن حدث ذلك سأنصح كل من أراه أن يبتعد عنها ...لا تتهاون بها مطلقًا...تجذبك إلى داخلها رويدًا رويدًا...ومهما تقاوم أنت هالك لا محالة. إنها ..خيوط العنكبوت.





سُنَّةُ الحياة..الألم

(اليوم العاشر) (الساعة التاسعة صباحًا).

فتحت عيني بالكاد أتلمس ما حولي ...وجدتني مُلقًى على الأرض بمنتصف غرفتي ...رأسي يؤلمني بشدة وكأن هناك من طرقها بمعوله السميك ليلة بأكملها...تساءلت عما حدث فلم أجد إجابة سوى ذلك الكتاب الملقى بجانبي كالذئب المنتهي لتوه من التهامي ..تذكرت الآن ..لقد عاودتني تلك الرعشات اللعينة مجددًا لتكتمل معاناتي ...وكأنه لزامًا على أن أتذكر كل شيء في ليلتي الأولى هنا مجددًا..وضعت الكتاب في مكانه القديم ..رقد في سلام لمثواه الوحيد...نهضتُ ممسكًا رأسي ...خرجت من غرفتي ونور الصباح يغزو صالة البيت..وقفت بالقرب من الشباك أتلمس هواء نقيًّا أستنشقه ..نظرت في ساعتي لأجدها التاسعة صباحًا...تذكرت أبا الوفا ...خرج بالأمس ليجلب بعض الأطعمة ولم يعد..بحثت حولي عن هاتفي الخلوي ..وجدته على منضدة الصالة واتصلت به ...



رد أبو الوفا بصوت مختنق على غير العادة، سألته متعجبًا:

- إيه يبنى كل ده بتجيب أكل؟

- أيوه يا أمير.

لاحظت تغير صوته ..كنت أعتاد منه المرح دائمًا.

- مالك يا أبو الوفا صوتك ماله؟

- أمي يا أمير؟

- مالها؟

- ماتت.

قالها بصوت مكتوم محاولًا التماسك.

- لا حول ولا قوه إلا بالله، انت فين دلوقتي؟

أغلقتُ هاتفي وسريعًا غيرت ملابسي وذهبت إليه..كنتُ أعلمُ أنه يتمزق الآن من الوحدة مثلي..منذ فقدتُ أمي وأنا أُنازع وحدتي ولا يقوى أحد على شغل مكانها مهما يكن..سأظل بجواره لعلي أخفِّفُ عنه..

كانت الأطفال يلعبون حول المقابر ...تعجبت كثيرًا من ذلك المشهد...اعتدت طوال عمري أو حينما كنت هنا منذ خمسة عشر عامًا أن للمقابر رهبة لا تُنازع..كيف تجتمع براءة هؤلاء الأطفال مع رهبة ذلك المكان ...كيف تجتمع البراءة مع الموت..إنها مقابر باب الوزير ...كنا في طريقنا لدفن والدته في جنازة صغيرة ليس بها غيري وأبو الوفا ورجلان آخران، عرفت بعدها أنهما زوجا أختيه ...لا أحد



سواهم...تبًّا لتلك الحياة! تراهم يظهرون لك كل الاهتمام والانحناء في حياتك وحين تموت يعطونك ظهورهم، ويقذفون بك في حفرة صغيرة وينصرفون... سُنَّة الحياة الموت...سُنَّة الحياة النسيان...سُنَّتُها الغدر ...

لم تكن مدافن باب الوزير جبانات بالمعنى المتعارف عليه ..بل كانت أقرب إلى حيٍّ سكنيٍّ عشوائيٍّ...هناك سيدة رأيتها بأم عيني جالسة تغسل ملابسها بطشت مياه نحاسى غير مكترثة بالمارين حولها، وذلك الرجل الذي يقود عربة يجرها حمار بائس وعليها بعض الأثاث القديم المتهالك ويمشى خلفه بعض النسوة يصفقن ويطلقن الزغاريد تلك النغمة الخاصة بالمصريات من أفواههن فرحات وكأن المقابر أصبحت مكانًا للفرح والحزن مجتمعين في آن واحد..الحياة والموت ..مر بجانبنا رجل يجر عربة خشبية بها بعض الروبابيكيا القديمة مناديًا بأعلى صوته

- بيكيااااا..روبابيكيا. أي حاجة قديمة للبيع، بيكيااااااااااااا.

كان أبو الوفا صامتًا طوال الطريق، وأختاه تبكيان بصوتيهما المكتومين ...وصلنا أخيرًا إلى مثواها الأخير...مقبرة صغيرة حُفرت استعدادًا لاستضافتها هذه الليلة وسط أحضانها القاسية..وقف الجميع والصمت يخيم عليهم ودُفنت والدته وأُهيل عليها التراب ...

انهارت الأختان وصرختا بأعلى صوتيهما:

- ياهوووووى، ياماااا، يامااااااااااا، رايحة فين يا ماااااااااا.



نظر إليهما أبو الوفا حينها بحدة لم أرها من قبل ...صرخ فيهما بقوة متناهية:

- اخرسوا ...مش عايز أسمع نفس، ولا صوات، اللي مش هتسكت هدفنها معاها حية.

صمتت الأختان قهرًا..وخيم الصمت على المكان مرة أخرى لا يخترقه سوى تلك الزغاريد المتطايرة عن بعد من تلك النساء الناقلات لأثاث إحداهن ..

شرع المقرئ في دعائه المعتاد:

- (يا أيتُها النَّفْسُ الْمُطمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي)

اللهم اغفر لها...اللهم اغفر لها.. اللهم تجاوز عن خطاياها ..اللهم اغفر لها ..اللهم ثبتها عند السؤال..اللهم اجعل قبرها روضة من الجنة..وليس حفرة من حفر النار..اللهم اغفر لها.. ادعوا لها فإنها الآن تُسأل.

كانت الدموع تصرخ في عيني أبي الوفا لكنه كان قويًّا للغاية..صلبًا ..اقتربت منه وربت على كتفيه ..

أصعب إحساس حين يتركك الأحبة ويرحلون ...يتركونك عاريًا تبحث عن قطعة قماش تتستر بها فلا تجد ...تكتشف حينها أنهم اختفوا للأبد...اختفى الحضن الذي طالما احتواك حين ضاقت بك الدنيا ..سُنَّةُ الحياة ...الموت...سُنَّةُ الحياة ..الألم.



أبو الوفا إسماعيل مندور

(قبل ذلك ب ٦٠ يومًا)

كان أبو الوفا هو العائل الوحيد لأسرته المكونة من أختيه سناء وسعاد ووالدته ..كان زوج سعاد طيبًا يحب والدته على عكس زوج سناء المدعو فتحي الملواني..أبو كرش ..كما كان يناديه أبو الوفا دائمًا ...كان رجلًا سَمِجًا متواكلًا على زوجته والأموال التي تأخذها من أبي الوفا باستمرار..ولكن سناء صبرت عليه مرارًا وتكرارًا حفاظًا على بيتها وأولادها الأربعة الذي لم يتجاوز أكبرهم الست سنوات ...

تعوَّدَ أبو الوفا هو ووالدته زيارة أختيه كل جمعة بتقسيم نفسيهما على الاثنتين بالتتابع حرصًا على العدل بينهما ..

جلس أبو الوفا في صالة شقة سناء الصغيرة بسيطة الأثاث بحارة الدرب الأحمر ..جلس على الطبلية متناولًا الغداء بجوار فتحي الملواني وأولاده ..كانت سناء تجلب الأطباق الممتلئة بالأرز والفراخ من



الداخل وتضعها أمامهم بينما الملواني منهمك في الأكل بشراهة متناهية يكاد بطنه أن ينفجر أمامه ...

رَحَّبت سناء بأبي الوفا كعادتها:

- ملهاش حق أمي كانت جت اتغدت هنا الخير كتير والحمد لله.

بدأ أبو الوفا في تناول طعامه مبتسمًا لها:

- احنا هنعيده يا سناء..انتي أسبوع وسعاد أسبوع.

خبط فتحي الملواني أحد أبنائه بيده الصماء خاطفًا طبقه الممتلئ بالفراخ من أمامه:

- قوم ياض كفاياك أكل، هيطلعلك كرش يا ابن المفجوعة.

بكى الطفل بصوته العالي مستنجدا بأمه.

- ما تسيب الواد يا كل يا فتحي.

- أنا خايف عليه يا سناء..الأكل الكتير وحش ع الصحة.

نظر إليه أبو الوفا شذرًا حاملًا كمًّا كبيرًا من الضيق تجاهه:

- ماتقول لنفسك يا ابو كرش متين.

ضحكوا جميعًا ماعدا الملواني ..

نظر أبو الوفا تجاه سناء...طفح الكيل...لطالما اشتكت سناء لأخيها من الملواني وبخله ولطالما كان يطلب منها تحمله ..حدثها بلهجة آمرة متنهدًا:



- سناء...خدي العيال وخشوا كملوا أكل جوه.

نهضت سناء ومعها بعض الأطباق ودخل معها أطفالها:

- يالا يا عيال.

- هيييييييييه.

نظر أبو الوفا للملواني المرتبك ..ابتلع الملواني ريقه وتظاهر بالضيق

- مش أصول برضه دي يا أبو الوفا تهزئني كده قدام العيال.

وفي أقل من ثانية كان طبق الشوربة الساخنة ينسكب فوق رأس الملواني ...صرخ من سخونتها بينما أبو الوفا لم يعطه فرصة أكبر للصراخ، وأمسكه بحدة من فانلته الداخلية المتسخة، واقترب منه مهددًا:

- اسمع يا ملواني يا ابو كرش انت.. اختى وعيالها متلمسش شعرة منهم .. ولو سمعت تاني انك مديت ايدك عليهم.. هدفنك بلبوص.

- يا أبو الوفا انت فاهم الموضوع غلط ده انا...

قاطعه أبو الوفا بحدة:

- انت مش مكسوف على دمك .. ده انا بصرف على بيتك يا ابو كرش كمان .. مضيقها عليهم!

ابتسم الملواني بسماجة مُقبِّلًا يد أبي الوفا بانكسارٍ:



- خلاص يا ابو نسب سماح.. كانت ساعة شيطان وراحت لحالها.

كان هناك صوت لصراخ وعويل من سيدات بساحة الحارة تتعالى فجأة ...تركه أبو الوفا

ناظرًا تجاه مصدر الصوت متسائلًا:

- إيه ده فيه إيه؟

تجمع عدد كبير من ساكني الحارة بساحتها الواسعة التي يطل عليها منزل سناء ..تصرخ النساء خائفات من شيء ما...كان هناك شخص ذو ملامح إجرامية بحتة يُدعى متولي .. مشهورًا بالبلطجة في تلك الحارة، وكان يتجنبه الجميع اتقاء شَرِّه...

وقف متولي مخمورًا شاهرا مطواة في يده، ممسكا إحدى الفتيات من شعرها بيده صارخًا

في الجميع:

- هاخدها واخرج واللي هيتعرضلي هشقه نصين.

كانت تلك الفتاة هي يسرا سيد توفيق..فتاة رائعة جمال، مغلفة بالفقر والقهر طوال حياتها..

صرخت والدتها البالغة من العمر ستين عامًا بكل ما لديها من قوة:

- الحقوني يا ناس، البت هتروح مني.

كانت نساء الحارة تشاركنها العويل والصراخ ...



صرخت يسرا تستنجد بأي أحد:

- الحقيني يا ماااااا..الحقوني يا ناس.

جذبها متولي من شعرها بقسوة وهمس بأذنيها مخمورًا:

- متخافيش يا يسرا يا حبيبتي

- محدش هيقدر يا خدك مني.

صرخ فيمن حوله مهددًا من يحاول الاقتراب بمطواه:

- إوعوا بقولكم ..هاخدها واخرج.

خرج أبو الوفا حينها من المنزل، وشَقَّ ذلك الزحام بصعوبة...اقترب أكثر وأكثر...وقعت عيناه على ذلك الملاك الباكي بين يدي متولي..سكنت الأصوات وخَفُتَ العويل من حوله، وساد الصمت..ما هذه المخلوقة الساحرة..سحرته من النظرة الأولى ..همس معجبًا بها:

- يا قوة الله.

نظر لمن بجواره يسأله:

- هو فيه إيه؟

جاوبه ببرود تام ..يبدو أنه كان مخمورًا هو الآخر:

- الواد متولي عاوز يتجوزها بالعافية وهي وأهلها رافضين.

- هي اسمها إيه؟

- يسرا

- وهو اسمه ايه؟

- متولي.

- وانت اسمك إيه؟

- عب مجيد.

- إيه؟

- عب مجيييييييد.

صرخت يسرا مجددًا:

- حرام عليك سيبني بقه.

- استحملي يا حبيبت قلبي ...دلوقتي يوسعولنا طريق.

كانت يسرا تسكن في الدور الثالث في ذلك البيت القديم المتوسط لتلك الساحة ...لا يفصله عن الساحة سوى ذلك السور الكبير المحيط للبيت من الخارج ...لا أحد يسكن ذلك الدور سواها ووالدتها ...وكان جيرانها ذلك الشابين ..أحمد سمير بالدور الأول الساكن بمفرده وتوفيق ذلك المدرس العازب بالدور الثاني..استطاع توفيق أن يميل بقلب يسرا وتعلق بعضهما ببعض لسنوات دون أن يعلم أحد بذلك...كان حبًّا أفلاطونيًّا بكل المقاييس...ثلاث سنوات من الحب العفيف، أقصى طموحاتهما أن يتلمس أحدهما يدي الآخر ..



خرج توفيق بمنتهى العصبية من ذلك البيت وخرج وراءه أحمد سمير محاولًا تهدئته،

صرخ توفيق في متولي بكل قوة:

- ماتلم نفسك يا متولي الكلب انت وكفايه فضايح.

- محدش له دعوه بيا..هاخودها يعني هاخودها .. بحبها يا ناس...بحبهاااااااااااااااااااااااااا.

زاد ذلك الاعتراف من عصبية توفيق:

- انا اللي هاخد روحك يا ابن الكلب .. ايييييه انت فاكر الحارة مفيهاش رجاله ولا إيه؟

كان أبو الوفا يتابع ذلك ..اقترب من متولي حينها بابتسامة الواثق:

- بقولك إيه يا برنس ...سيبها يالا واقصر الشر.

نظر إليه متولي مستهزئًا:

- وانت مين بقه يا روح امك؟

ضحك أبو الوفا مقتربًا أكثر:

- روح امي؟

عاد متولي ممسكًا بيسرا خطوات إلى الخلف:

- اللي هيقرب مني هشقه.

- مش عيب على شحط زيك تخطف واحدة مش عايزاك.



كان توفيق وسمير وأبو الوفا يقتربون منه أكثر وأكثر..وهو يعود للخلف ممسكًا بها

- ابعدوا ..ابعدوا بقولكم.. هموتهاااااااااااااااااااااااااااا.

رفع المطواة حينها على رقبتها مهددا لهم..كانت يسرا أسرع منه...ضربته بقوة في بطنه وتبعتها بضربة في ذراعه فوقعت المطواة من يديه، وأفلتت منه لترتمي بأحضان والدتها

أمسك بمطواه سريعًا بعد فوات الأوان.

- بحبك يا يسرا بحبك. محدش يقول لمتولي الجن لا

بصقت يسرا ناحيته عن بعد:

- هو الجواز بالعافيه يا خمورجي يا بن الكلب يا وسخ.

وقف توفيق بالقرب منه غير مبالٍ بمطوته ...

- يالا يالا من هنا.

سارع متولي بالهجوم على توفيق راغبًا بطعنه بينها في أقل من ثانية كان أبو الوفا بينهما ممسكًا يد متولي بحركة خاطفة منقذًا لحياته فوقعت المطواة من يده وأدارها أبو الوفا خلفه قهرًا مقيدًا له:

- مش قولتلك لم الدور!

بصق توفيق في وجهه وصفعه بقوة ...

صرخ متولي معترضًا بشدة...



- لالالالالالالالالالالالالا

انقلب الصراخ والعويل الى زغاريد تزين ألسن نساء الحارة ...سادت حاله من الفرح بهزيمة ذلك البلطجي الذي ابتعد بعدما أفلته أبو الوفا من يده وهو يصرخ:

- مش هسكت..والمصحف ما سايبكم..مش هسيبك يا توفيق، يا حاااااااااااااارة وسخة

انفض الجمع وعاد كل الى بيته ...جلس توفيق وأحمد سمير في ضيافة أبي الوفا على أحد المقاهي القريبة بالحارة..ضحكوا بهيستريا متذكرين شكل متولي وهو يترنح هاربًا منهم.

- والله كان هاين عليا أدب المطواه

اللي فرحان بيها دي في بطنه

وأطلعله مصارينه أكتفه بيها.

قالها توفيق مستهزئًا به.

تبعه أبو الوفا بثقة الناصح

- لا ...لازم تعرف ازاي تتحكم في نفسك ساعة العراك..عشان متضيعش نفسك في واحد

زي ده.

- أنا متشكر أوي ليك يا أستاذ أبو الوفا.



قالها توفيق فتعجب أبو الوفا ضاحكًا:

- أستاذ؟

أجابه سمير:

- معلش بقه أصله مدرس تاريخ والمهنة بتحكم.

انبهر أبو الوفا حينها:

- مدرس تاريخ يااااااااه..زمان اما كنت عيل صغير

لما كان حد بيسألني نفسك تطلع إيه أما تكبر

أقوله مدرس تاريخ.

- اشمعنى؟

تساءل الاثنان متعجبين.

- كان فيه واحد جارنا زمان في بيتنا القديم

كان مدرس تاريخ كانت ليه طله وهله مرعبة

الناس كانت كلها بتحبه وتحترمه وتحس كده

إنه رئيس جمهورية

الله يرحمه بقه مات تحت أنقاض البيت بعد ما وقع

- أمال انت بتشتغل إيه؟

سأله سمير:



- سمسار...أصلى مكملتش تعليمي.

تبعه توفيق متنهدًا:

- أحسن...انت فاكرها أمله!

- ازاي ده التاريخ ده أهم حاجة.

كان أبو الوفا صادقًا تمامًا في جملته تلك...

تنهد توفيق ناظرًا لكمِّ الشباب الجالسين على المقهى.

- وقف كده اى شاب من اللي ماشيين أو اللي قاعدين

دول واسألهم هو إيه اللي حصل في العدوان الثلاثي

بلاش..اسألهم ٢٥ إبريل ده عيد إيه

وابقى قابلنى لو حد قالك حاجة

تاريخ مين يا ابه ...تصدق بالله.

- لا إله إلا الله

- أنا مش لاقي اكل وانا بطولى أهو ويادوب

القرشين اللي بيجولى من التوكتوك اللي بشتغل

عليه هم اللي بيكملوا الشهر

- توكتوك؟

- وياريته بتاعى ..ده انا شغال عليه.



كان توفيق مثله مثل الكثيرين من هؤلاء الشباب المهموم بسراب التعليم العالي ..مرتبه لا يتجاوز الخمسمائة جنيه وكونه بمدرسة إعدادية لا يعطي دروسًا خصوصية ..يعاني مُحاولًا التغلب على أمواج الحياة القاسية دون جدوى.

حاول أبو الوفا تغيير مجرى الحديث مازحًا معهما:

- لا حول ولا قوة إلا بالله ...

شوف يا بني الرجالة تشرب إيه، متخافش يا توفيق ..على حسابي.

ضحكوا جميعًا ...كانت جلسة مُطوَّلة استمرت لما بعد أذان العشاء..كان توفيق شاردًا معظم الوقت، تارة يضحك ويشترك معهم وتارة يصمت تمامًا...سأله أبو الوفا بخبث عن حياته العاطفية...حكى له توفيق بسلامة نية عن يسرا وحبه لها ...كان دائمًا يحب أن يقص حكايته معها ..يشعر بالسعادة حين يفعل ذلك.

- يسرا دي من أجمل البنات اللي ممكن تقابلهم

في حياتك..عينيها...شعرها..ضحكتها

كل حاجة فيها تخليك متمسمر مكانك

لو لفيت الدنيا كلها عمرك ما هتلاقي بنت زيها

عاملة زي حتة الألماظ المدفونة تحت التراب

ييجى واحد زباله زي متولي يتجوزها

ده حتى ميرضيش ربنا.



سأله أبو الوفا حينها باهتمام شديد لغرض في نفسه:

– طب ما تتجوزها انت يا توفيق.

تنهد توفيق دون إجابة وامتلأت عيناه بالهمِّ الشديد.

أجاب سمير بدلًا منه:

– يتجوزها إيه يا جدع...هو انت مكنتش قاعد معانا من الصبح ولا إيه...الراجل عمال يقولك مش لاقي ياكل وبيشتغل على توكتوك

وبيكمل الشهر فراداني بالعافية تقوله اتجوزها!

– أه لمؤاخذه...شوف يا بني الناس تشرب إيه.

قالها مبتسمًا فرحًا محاولًا أن يداري فرحته عنهما...كان أبو الوفا يفكر بجدية في أن يتزوج بيسرا ...تلك الفتاة التي أسرت قلبه منذ أن رآها ..أول فتاة تسلب تفكيره منذ أربعين عامًا..لم تقوَ أخرى أن تفعلها هكذا...بالعكس كان أبو الوفا يتعجب كثيرًا حينما يرى اثنين ونظرات الحب تملأ عيونهما ...متسائلا: لماذا لا يشعر هو بتلك الأحاسيس؟ لم يكترث أن توفيق يحبها..ليست مشكلة أن يحب الكثيرين فتاة واحدة، ولكن المشكلة من الذي يحظى بحبها واهتمامها...وهنا كانت المفارقة التي اكتشفها في اليوم التالي ...

استيقظ أبو الوفا مبكرًا وذهب يراقبها عن بعد مستمتعًا بأحاسيسه تلك البكر..وبأقل تمييز اكتشف أنها هي الأخرى تحب توفيق...يبدو واضحًا في نظرات أعينهم المتبادلة حين قابلته على شاطئ النيل ..وقف



عن بعد يتابع لمسات أيديهما، وكأن سكينًا يغرزه أحدهم بقوة في قلبه ليقتل ذلك الإحساس في مهده...وكأنه كتب عليه أن يعيش بقلب ميت طوال عمره...كتبت عليه الوحدة...

عادت يسرا إلى الحارة كعادتها في توكتوك توفيق ..أنزلها قبل دخوله الحارة حتى لا يراهما أحد..دخلت يسرا شاردة فيما ستؤول لها قصتها مع توفيق...ثلاث سنوات من الحب ولا شيء جديد...إلى متى سيظلان هكذا؟ فقر وألم وحرمان ومرض..كانت أمها تعاني مرض السرطان وباعتا كل شيء بالمنزل لتقدما قربانًا لهذا المرض اللعين الذي ينهش جسد أمها يومًا بعد يوم دون فائدة..اقتربت يسرا من منزلها لتفاجأ بمتولي واقفا أمامه ومعه مجموعة من البلطجية ويبدو أنه كان في انتظارها.

حاولت الجري حين رأته، ولكنه كان أسرع منها فأمسكها:

- مش قولتلك هرجع تاني يا حبيبت قلبي

يالا بينا بقه عشان أنا مجهز كل حاجة

وهنتجوز الليلة دي.

صرخت يسرا بأعلى صوتها خائفة

- امه..الحقوني يا نااااااااااس، أمه...اممممممممممه.

تجمع الناس كعادتهم مرة أخرى حولهم للمشاهدة..مارست النساء عادتهن بالعويل والصُّراخ...



كان متولي ينظر حوله منتظرًا ظهوره...ظهور توفيق:

- أمال فين حيلتها اللي ضربني بالقلم؟

كان ذلك لحظة وصول توفيق بالتوكتوك..الذي هبط منه سريعًا بقمة غضبه ...

- أنا اهو يا روح امك، شكلك مش هتجيبها لبر يا متولي.

تشبث متولي بيسرا مستهزئًا بتوفيق

- أنا جيت بس عشان افتح بطنك

واوزع مصارينك ع الحارة يعملوا

بيها منبار..

ضحك مجموعة البلطجية مع متولي ...ازداد غضب توفيق فهجم ناحية متولي ..إلا أن رجاله أمسكوه وقيدوه قصرًا..خرجت في نفس اللحظة والدة يسرا تصرخ من البيت:

- بنتتتتتتتتتتتي!

كان أبو الوفا واقفًا عن بعد مشعلًا سيجارته يدخنها في لا مبالاة وعيناه ممتلئتان بالتشفي

لعل متولي يمنحه فرصة جديدة متخلصًا من توفيق ليحوز قلب يسرا يومًا ما...

اقترب متولي والشر يتطاير من عينيه من توفيق ممسكًا يسرا بيده



وباليد الأخرى يستعد لطعن توفيق ببطنه..اقتربت والدة يسرا منها معتقدة أنه سيطعن ابنتها فتلقي نفسها في المنتصف بينهما...تلقت والدة يسرا الطعنة بدلًا من توفيق وسط صرخات وعويل نساء الحارة الممزوجة مع صرخات يسرا المخضبة بدماء أمها المتدفقة بين يديها ...هرب متولي مرة أخرى وسط رجاله محترفي البلطجة...

امتلأت حينها عينا أبي الوفا بالدموع ...لم يكن ذلك لحزنه على والدة يسرا...آلم قلبه تلك المشاعر المستحدثة .. الغدر ..الكره...الانتقام ..لم يكن كذلك يومًا ما على الرغم من كثرة المصائب والأهوال التي قابلها بحياته، لكنه لم يغدر بأحد يومًا ما ...لم ينتقم ..حتى وإن كره أحدهم ..كان يتركه وشأنه..هكذا قال أبو الوفا لأمير وهو يحكي له عن حبه المؤود ليسرا ...طالبًا منه ألا يفصح لأحد ..

- وكأن السكينة اتغرزت في قلبها طلعت على قلبي

ياريتنى أقدر اعملها حاجة..يا ريتنى أرجعلها امها

تاني زى مانا نفسي أمي ترجعلي لكن فات الأوان

اللي بيروح مبيرجعش ...الموت هو الحاجة

الوحيدة اللي محدش بيقدر يقف قصاده

أو يعاديه ..بنسلمله غصب واكنه ماسك علينا زله

..أدرك أمير حينها أنه ما زال غارقًا بحبها ...كانت عيناه تعترفان بأكثر من ذلك ..اقترب حينها من أبي الوفا ومسح تلك الدمعة الهاربة



من عينيه الحادتين مشفقًا عليه ...مشفقًا على ذلك العاشق الجريح..ربت أمير حينها على كتفيه ...احتضنه ..

احتضن تلك التركيبة الغريبة التي اجتمعت في شخص واحد...الحب والقسوة...الضعف والقوة..الشهامة والغدر..كلها في رجل واحد...إنه..أبو الوفا إسماعيل مندور.





جَريمةُ بابِ الوزير

(اليوم العاشر) (الساعة الواحدة ظهرًا).

كانت الدقائق تمر ببطء شديد ...جلست بجواره والـصمت يخـيم على رؤوسنا على قبر والدته على الرغم من أصوات الأطفـال اللاعبـين بالقرب منا ...عيناه تنطقان بشيء واحد فقط ...الرفض..أحيانًـا كثـيرة لا نصدق واقعنا المرير..لا نقبله..نستقبله برفضٍ شديدٍ ..لكننا لا نقوى على أي فعل ..فقط نبكي ..

قفزت الدموع من عيني أبي الوفا بغزارة لعلها تطفئ نار حزنه عـلى فراق والدته التي واراها الثرى منـذ أقـل مـن سـاعة وتركهـا الجميـع منصرفين منشغلين بأنفاسهم التي ما زالت تُثْبِتُ أنهم على قيد الحياة ..

تركتُه يبكي..لم أتدخل..كنتُ أعـرفُ ذلـك الإحـساس..أحفظـه ظهرًا عن قلب..طالما عانيت منه ..تنهدت شاردًا ناظرًا للأفق بعيدًا:

- الدنيا دي عجيبة أوي يا أخي



الموت قدامنا ريحته فايحة في كل مكان

ومع ذلك تلاقينا بنجري نبني قصور من رمل

ونكنز فيها فلوس وبنتعمد نسيانه ولا أكنه موجود

والأعجب..لما حد بيموت بنتفاجئ وكأنها أول مرة

تحصل قدامنا وكأن الموت طول الوقت

واقف شايفك بيطلعلك لسانه وبيقولك عيش

افرح ..حب ...اتجوز ..انبسط

انت ميت...ميت

أاااااااه الموت..الموت يا صديقي...

حقيقة ديما بنتعامل معاها على أنها وهم

نظر إلي أبو الوفا مندهشًا ...

سألته:

- إيه...بتبصلي كده ليه؟

- أصلى مش فاهم من كلامك حاجة.

ابتسمت له ونظرت إلى الأفق مرة أخرى

- وهي دي المشكلة ...اننا مش فاهمين

عارف لو نفهم ..حاجات كتير أوي هتتغير.



نظر إلي أبو الوفا مبتسمًا وعيناه ممتلئتان بالدموع:

- انت لسه فيك نفس الخصلة بتاعة زمان

بادلته الابتسامة:

- الحياة علمتني كتير يا صديقي، والقراية كانت تسليتي الوحيدة طول

ال١٥ سنه اللي فاتوا. ثم انت ناسي إني كنت حافظ كل مسرحيات

شكسبير من واحنا في أولى ثانوي يعني مثقف من صغري.

- ماشي يا عم المثقف.

بدأت أشعر أنني نجحت في استدراج أبي الوفا ليخرج من دائرة حزنه الصامت...كانت ابتسامته العرجاء توحي بذلك ...كنت أمتلك نظرية خاصة بالموت توحي بالتفاؤل المزيف...قرأتُها في أحد الكتب واعتنقتها لأخفف بها على من يتعرض للوعة موت حبيب..نظرت لأبي الوفا:

- طب هقولك على حاجة وتجاوبني

بصراحه ..إيه اللي ممكن يحصل

لو تكاثر الدبان بدون موت؟

لم أنتظر إجابته وتابعت سرد نظريتي ..

- الأرض هتتملي دبان لحد ما تعمل طبقة دبان تغلف الكرة الأرضية في أقل من سنة.



كانت نظرات الدهشة والحيرة تقفز من عيني أبي الوفا ...

- مش فاهم هه ...طب تفتكر لو البني آدم

بيعيش مخلد من غير موت

ملايين...مليارات...بلايين البلايين

على مدار آلاف السنين ومحدش بيموت

تفتكر هيحصل إيه؟

مش عارف.

أكيد الناس هترفع إيديها للسماء وتدعي ربنا إنه يخلصهم من الحياة، كان العقلاء في كل بلد اجتمعوا وقرروا إعدام عدد منهم بشكل دوري وعلى كل

أسرة إنها تقدم عدد من أفرادها للإعدام، وهيكون كمان فيه صراع على كده

هيتخانقوا على اللي يموت الأول. ولا يكن يكون الاختيار بالقرعة ويعملوا

فرح للى يطلع في القرعه ويعملوله فرح عشان هيتعدم.

ربتُّ على يده ناهضًا مادًّا يدي له ...

- يا بني الموت نعمة



قوم قوم يا صاحبي ..كلنا ميتون

بكره هنحصلها كلنا..قوم يا صاحبي

قوم انت لازم ترتاح

أوصلك بيتك ...إلا هو انت ساكن فين؟

أمسك أبو الوفا يدي ونهض معي مبتسمًا وكأنني نجحت في مهمتي ..نجحت في إدخال الابتسامة على وجهه ..أقنعته بنظرية جوفاء أنا شخصيًّا لا أقتنع بها، ولكنها خادعة لأي أحد مهما تكن درجه ثقافته ... أما أنا فمهما تَقُل لي عن الموت فأنا أعتبره خرابًا شاملًا ...دمارًا لكل ما هو جميل في حياتنا ..الموت ألم لا ينتهي ...

مررنا بجوار ذلك الرجل المنادي على الروبابيكيا بكل حيوية وسط الأموات ..

أجابني أبو الوفا بعدما سألته مرة أخرى عن مكان سكنه:

– انا ساكن هنا يا أمير

توقفتُ ناظرًا حولي متعجبًا:

– هنا فين؟

– هنا في ترب باب الوزير.

– في الترب؟

– متستغربش أوي كده



انت عمرك ما سألتني أنا ساكن فين

- ولو كنت سألتك؟

- يمكن وقتها مكنتش قولتلك

لكن دلوقتي خلاص معادتش فارقه

- معقول يا أبو الوفا ساكن وسط الموت كده طول الوقت؟

ابتسم أبو الوفا مربتًا على كتفي لنستكمل طريقنا وسط المقابر

- انت هترجع في كلامك؟ مانت لسه قايل الموت نعمه مش كده؟

- نعمه كنهاية مش كحياه كأخره مش دنيا.

- لا بيتهيألك هنا برضه دنيا بس دنيا

تانيه وبرضه طبقات فيها الفقير وفيها

الغني، بص...

كنا قد وصلنا أمام إحدى المقابر الفاخرة ..يبدو ذلك واضحًا من مدخلها وبوابتها وحارس الأمن الواقف أمامها بزيه المنمق ....أشار أبو الوفا ناحية تلك المقبرة:

- دى تربة رجل أعمال معروف أو كان معروف، شايف الشجر والرخام الأبيض، شايف النظافه والحراسه اللي على المقبرة أكنه قصر مش تربه، دي سعرها ممكن يعدي ال٢ مليون جنيه الفقرا بقه بيتدفنوا في حفر كده زي امي متر في مترين يا دوب ويتردم عليهم انا مش



لوحدى ع فكره ...في كتير زيى، هيئة المجتعات العمرانيه بتعمل مزاد علني كل سنة عن ترب جديدة وأحواش

أقل تربه ب ١٥ ألف جنيه، والحوش من ١٠٠ ألف وطالع، شباب كتير بيدخل المزاد وبيقدم ويا سعده ياهناه اللي يرسى عليه المزاد وياخد الحوش أو التربه ويظبطها ويأجرها أو يبيعها تاني وهكذا.

- البقيه في حياتك يا أبو الوفا.

قالها أحد الرجال المارين بالقرب منا على عربته التي يجرها حمار أجرب ...بينما آثرت أنا الصمت ...انتهت نظرياتي المزيفة..الواقع أبشع مما يتخيله أحد ...

- حياتك الباقية يا أبو صابرين..أهو وصلنا.

دخلنا أحد المقابر ذات الأبواب متوسطة الحال..حوش صغير حول إحدى المقابر في أقصى اليمين ومحاطة بسور عالٍ وهناك غرفة كبيرة إلى حد ما بمنتصف ذلك الحوش...دخلنا..أضاء أبو الوفا مصباحها الوحيد المتدلي من أعلى ..نظرتُ حولي ..لا تختلف الغرفة كثيرًا عن تلك المقابر المغلقة على أمواتها ...حوائطها متشققة...بعض الحصر المتهالك على الأرض...كنبة عتيقة في المنتصف وسرير نحاسي قديم على الجانب الأيسر..تلفاز صغير على منضدة خشبية توشك على الوقوع بما عليها..وابور وبعض الحلل النحاسية...حياة بائسة..أو بمعنى آخر حياة الموت..تنهد أبو الوفا بعدما أجلسني على تلك الكنبة اليتيمة.



- من يوم أبويا ما مات تحت بيتنا القديم وأنا شيلت مسئولية أمي واخواتي البنات لحد ما سترتهم

الحمد لله واهو دلوقتي كل واحدة عندها أورطة عيال.

- أه أنا فاكر حكاية البيت ده كنا أيامها

في أولى إعدادي وانت قعدت فترة

متجيش المدرسة ولما جيت مرضتش

تقول فيه إيه إلا بعد فترة قولتلنا انت

بيتكوا وقع وابوك مات.

- أهو من ساعتها والدنيا ملطشة معايا.

كنتُ أرغب في احتضانه..ربتُّ على كتفه والشفقة تكاد تقفز من عيني.

- يااااه ده انت تعبت أوي يا أبو الوفا.

- ومين مرتاح؟

حاول أبو الوفا مضايفتي ...تحرَّكَ مُشعلًا بابوره الصدئ..ملأ براد الشاي الصغير المكسو بالسواد بمياه من قُلَّة من الفخار كانت بجواره..

- شايك مظبوط مش كده؟

- أه مظبوط.

وضع الشاي والسكر بكوبين صغيرين ..نهضت وتجولت في الغرفة ناظرًا إلى المقبرة في الخارج ..نظرتُ لأبي الوفا مُتسائلًا:



- إنما انا برضه مش فاهم انت بتشتغل إيه؟

اقترب مني أبو الوفا ووقف بجواري:

- سمسار تُرب.

- سمسار ترب؟

ردَّدْتُها متعجبًا.

- سمسار موت ..باكل عيشي من ورا

الميتين ..لمؤاخذه يا صاحبي

انا عارف إنك قرفان وعاوز تمشي

وتلاقيك بتقول في نفسك أنا مش عاوز أعرفه تاني.

كانت عيناه لا تنضبان من دموعه ..إنها المرة الأولى التي أراه فيه هكذا...تعودت منه صلابته وقوته وحدته ولكنه كان ضعيفًا تلك المرة ...احتضنته وبكى...شعرت بدموعه تنساب على كتفي ..

- متقولش كده يا أبو الوفا.

- محدش بيختار ظروفه يا صاحبي

غصب عني ..غصب عني والله.

نظرت بعينيه مبتسمًا محاولًا إخراجه من تلك الحالة:

- طب بس ...بس بقه كفايا عياط



يلا ...يلا لم حاجتك وتعالى معايا

- على فين؟

- على البيت ..اقعد في الشقة اللي

تعجبك الدور الأول والتاني فاضيين

لحد ما ابيع البيت ونعمل مشروع انا

وانت سوا وانسى العيشة دي بقه

كنت صادقًا في عرضي للغاية...أحيانًا نحتاج لمن شاركونا الماضي أن يمدوا أيديهم لنا لينقذونا من مستقبل مُعتم..وأبو الوفا يحتاجني ولن أتأخر عليه ...رفض في البداية بعزة نفسٍ:

- لا يا صاحبي مش عاوز أتقل عليك.

- يا بني تتقل إيه يلا بلاش عبط.

- أسف يا أمير مش هقدر ...كرامتي

متسمحليش اقعد في حته مش دافع تمنها

- طب يا سيدي بلاش ..تعالى اقعد

معايا انت عارف البيت فاضي

وانا بطولي في الشقة، أهو نقعد مع بعض

وادفع معايا يا سيدي في مصاريف الأكل



يلا يا أبو الوفا ...يلا يا صاحبي.

ارتمى حينها أبو الوفا بأحضاني باكيًا ..كان يشعر بنهاية معاناته طول الاربعين عامًا الماضية..لكن القدر لم يمهلنا لتلك اللحظات الصادقة ..كانا يقفان خلفنا شاهرين سلاحيهما الكاتمين للصوت..إنهما عبد المقصود وعبد الغني ذلك الأبلهان المصاحبان لمرتضى الدهشان أعلى البناية المواجهة للمقهى في اليوم الأول لمأساتي ..

لفتا انتباهنا إليهما:

- تصدق قطعتوا قلبي ..مش كده يا عبد الغني؟

- صح يا عبد المقصود

نظرنا ناحيتهما..رأيت المسدسين في يديهما..انتابني الخوف من وجهيهما الإجراميين.

سألت أبا الوفا:

- مين دول يا أبو الوفا؟

يبدو أنه يعرفهما ...نظر إليهما بشرٍ يتطاير من عينيه.

- عاوز إيه ياض انت وهو؟

رد أحدهما متسائلًا:

- إحنا عايزين إيه يا عبد الغني؟

- إنت أدري يا عبد المقصود.

كان البله واضحا عليهما، ولكنه بله ممزوج بالإجرام ..اقترب أحدهما منا شاهرًا سلاحه بوجهينا:

- فين الفلوس يا أبو الوفا؟

أجابه أبو الوفا مستنكرًا:

- فلوس إيه؟

اقترب بمسدسه على رأس أبي الوفا مهددًا:

- اسمع..الدمنهوري بيه بنفسه مدينا

أوامر نجيب الفلوس بأي تمن حتى لو التمن روحك

استمر أبو الوفا في إنكاره:

- طب وانا ذنبي إيه ده كلام كبار مع بعض

شَدَّ أجزاء مسدسه مزيدًا من تهديده صارخًا..

- فين الفلووووووووووووووس؟

لم أتمالك نفسي..قد تخرج رصاصته وتنهي حياة صديقي في أي لحظة..هجمت عليه مسكًا يده مبعدًا إياها في صراع شديد معه...كان الآخر يقف بعيدًا مُصوِّبًا مسدسه ناحيتنا..أطلق رصاصة صوبنا لكنها جاءت بالأعلى فوقنا ..توقفت حينها خائفًا من الآخر ...

أمسك عبد المقصود مسدسه بقوة ناظرًا ناحيتي بشرٍّ أبله.

- ماشي ..هوريك يا عم رامبو.



ونظر إلي زميله

- خلى بالك يا عبد الغني كان ممكن تيجي فيا.

- متقلقش يا عبد المقصود واخد بالي.

نظر ناحيتي مرة أخرى واقترب شاهرًا مسدسه إلى رأسي تلك المرة مهددًا أبا الوفا.

- الظاهر مفيش فايدة ..طب إيه رأيك

ناخد روح ضيفك اللي بتعمله شاي

مش تعزم علينا يا أخي فين كرم

الضيافة؟

شايك إيه يا عبد الغني؟

- زيادة يا عبد المقصود

- تعالى صوبلنا كوبايتين.

تحرك عبد الغني بمنتهى السذاجة وقام بصب المياه من البراد إلى كوبي الشاي، وأعطى إحداهما عبد المقصود ..ارتشف منه أولى رشفاته ناظرًا إلى أبي الوفا:

- تسلم إيدك يا أبو الوفا.

ابتسم له أبو الوفا ساخرًا:

- عيب ده انتوا ضيوفي.



ترك كوب الشاي من يده بعدما ارتشف منه عدة رشفات وعاود لتهديدنا مرة أخرى ..كنت أخاف من تكرار محاولتي مرة أخرى والعجيب أن أبو الوفا كان محافظًا على هدوئه...

- هاه قلت إيه..نبدأ نخلص ولا هتخلصنا انت؟

ابتسم أبو الوفا لهما:

- هخلصكم أنا.

- عين العقل...ها فين الفلوس؟

قالها عبد المقصود بعدما نظر إلى عبد الغني وكأن أحدهما يهنئ الآخر على ذلك الانتصار السريع...

أجابهما أبو الوفا:

- موجودة.

- أهو ده الكلام المظبوط ...فين بقه؟

كان أبو الوفا ينظر إلي ...يريد أن يخبرني بشيء ما ..لم أتمكن حينها أن أفهمه ..خرجنا من تلك الغرفة تحت تهديدهما..كان باب الحوش مغلقًا من الخارج..يبدو أنهما قاما بإغلاقه حتى لا يزعجهما أحد...وقف أبو الوفا أمام تلك المقبرة الوحيدة بذلك الحوش ناظرًا لهما بعدما فتح ذلك القفل الموضوع على باب المقبرة الصغير وفتح الباب ليبدو سلم يقود لأسفل المقبرة ..

- الفلوس كلها في العين اللي على يمين السلم.



رد عبد المقصود بعدما نظر متعجبًا إلى زميله.

- انت عبيط ياض؟ حد يحط فلوس جوه تربه؟

أجابه أبو الوفا بثقة متناهية:

- ده أأمن مكان يا عبد المقصود يا خويا

الكفن أصله ملوش جيوب انت عارف

وبعدين أنا عمري ما شوفت ميتين

حرامية صح يا صاحبي؟

قالها أبو الوفا ناظرًا ناحيتي ...بدأت أفهمه ...أراد أبو الوفا أن أجاريه فيما يفعل دون حتى أن أفهم ما يرنو له في النهاية.

- أه طبعًا.

- تبقى حكاية لو فيه ميتين حرامية.

جاريته مستهزئًا:

- دي تبقى نكته صحيح.

- ويسرقوا بقه جماجم بعض.

- لا وكل واحد أما يموت يخلي باله بقه من جمجمته.

- ومحدش يبقى عارف جمجمته فين.

- شوف كده كمان الجمجمة دي شبه دي.



كنتُ أقصدُ حينها عبد المقصود وعبد الغني مشيرًا إلى رأسيهما..كنا نحاول أن نشغل بالهما بحديثنا الساخر...لغرض ما بنفس أبي الوفا..

رد أبو الوفا ضاحكًا

- أه صحيح هيحصل لغبطه فيهم، ابقى اكتب اسمك على جمجمتك يا عبد المقصود.

كانا بالفعل في حالة ارتباك واضح، ناظرين لبعضهما البعض ..قطع عبد المقصود ارتباكهما

- بلاش خوته انت وهو ..خلاصته.

انزل هات الفلوس

قالها آمرًا أبي الوفا، نظر إلي أبو الوفا مُبتسمًا مُعترضًا:

- لا أنا لحد هنا وكاتيش.

انت عاوز تعرف مكان الفلوس

وانا قولتلك ...عاوزها انزل هاتها

- وحياة امك ...مانت نزلت وحطيتها

- خلاص أديك عرفت المكان اتكل ع الله

وشوف الدمنهوري بيه هيقول إيه

لما يعرف إنك خفت تنزل.

سارع عبد المقصود بالرد مدافعًا عن نفسه:



- أنا مبخافش يا أبو الوفا وانت عارف.

نظر أبو الوفا ناحية عبد الغني.

- يبقى عبد الغني هو اللي خايف.

- أنا مبخافش يا أبو الوفا وانت عارف

لم أعرف حينها ما قيمة تلك النقود موضوع خلافهما، ولكن الـذي أعرفه جيدًا أن هذين الأهطلين من أغبى مَن قابلت في حياتي ...نظـرت ناحيتهما مستهزئًا:

- طيب عن إذنكم أنا لازم أمشي.

استوقفني أحدهما:

- استنى يا جدع انت ..انت اللي هتنزل.

وقعت كلمته كالطعنة النافذة بجوار قلبي المرتجف...أنا أخاف من الأماكن المظلمة ..فما بالكم بمقبرة ..اعترضت بشدة:

- أنا؟ لا على جثتي.

- مش عايزين غلبة يا جدع انت

انزل هات الفلوس

- لالالالالا مقدرش أنزل تربه انا

- بقولك انزل

صرخت بشدة معترضًا:

- لالالالالالالالالا.



هجم أبو الوفا حينها مغافلًا عبد المقصود وأمسكه من ظهره والتف به شالًّا حركته تمامًا..وبمنتهى الغباء أطلق عبد الغني الرصاص في اتجاهه فأصاب زميله في صدره فوقع صريعًا.

- يخربيتك يا عبد الغني يا حمار.

كانت تلك آخر كلمات عبد المقصود في حياته الهطلاء...سيطرت الدهشة على عبد الغني جاحظًا عينيه ..وقع المسدس من يد عبد المقصود بجوار قدمي ...وقبل أن يفكر عبد الغني في إطلاق رصاصته الثانية ناحية أبي الوفا ... التقطت المسدس دون تفكير وأطلقت رصاصتين استقرتا بصدر عبد الغني فسقط هو الآخر شاتمًا لنا.

- يا ولاد الهرمة!

نظرت إلى المسدس بيدي غير مصدق ما قمت به..قتلت أحدهما..شُلَّ لساني ...خيم الصمت فوق رأسي ...لم أدرِ كم ظللت هكذا أنظر إليهما...اقترب مني أبو الوفا مربتًا على كتفي..وكأنه يشكرني على إنقاذ حياته لتوي...ولكني لم أشعر به...كل ما كنت أفكر فيه هو كيف سأخرج من تلك المصيبة غير المتوقعة..تلك المصيبة التي أوقعني فيها أبو الوفا...حتى وإن كانت دون قصد ..لكنه المسؤول عنها بالكامل...

مسؤول عن الجريمة ..حتى وإن كنت اشتركت أنا فيها ...كنت أدافع عنه ..وعني ...امتلأت عيناي بتساؤلاتي القاتلة ...نظرت ناحية أبي الوفا، واقتربت منه منتظرًا التفسير..أو بمعنى آخر منتظر الإنقاذ من تلك الجريمة وسط تلك المقابر...جريمة مقابر الموت ...جريمة باب الوزير.



أول الخيط

(اليوم العاشر) (الساعة ٣ عصرًا)

وقفت سيارات الأمن المركزي بوضع الاستعداد أمام مديرية أمـن القـاهرة في انتظـار خـروج الحملـة الأمنيـة ...كانـت سـيارة الـشرطة البوكس أمام باب المديرية الأمامي مباشرة...

خرج النقيب محمود إمام بزيه المدني من باب المديرية ..أدى الجميع له التحية ...وقف بجوار البوكس في انتظار شـخص مـا ...كـان ذلـك الشخص هو القناص الجريح...المقـدم حـسام شـوكت ..النـاجى مـن انقـلاب سـيارة الـشرطة أثنـاء مطاردتـه لأبي الوفـا ..تعـرض لـبعض الكدمات والجروح السطحية التي ما زالت تـترك آثارهـا عـلى وجهـه، ولكن الجرح الأعظم والأعمق له هو تمكن أبي الوفا من الهروب منه ... هرب من بين مخالبه الحادة ..والأقسى من ذلك أنه لم يعرف هويته ...



خرج حسام شوكت بزيه المدني من بـاب المديريـة سريعًـا وجلـس بالكرسي الأمامي بالبوكس وبجواره محمـود إمـام ...انطلـق البـوكس وخلفه سيارات الأمن المركزي..

جاء صوت اللواء شاكر مدير الأمن عبر اللاسلكي في يد حسام...

- يا حسام.

- أيوه يا سيادة اللواء...

الكيلو ٥٢ طريق الفيوم

- بلغني أول باول يا حسام

- حاضر سعادتك

كان ذلك هو مكـان تلـك الـضبطية الجنائيـة..الكيلـو ٥٢ طريـق الفيوم ...

نظر حسام إلى محمود بضيق:

- سيادة مدير الأمن والوزير مهتمين أوي بالضبطيه دي.

تعجب محمود متسائلًا:

- معقول يا فندم بالسهولة دي؟

- سهولة إيه يا محمود...الدمنهوري ده مدوخنا بقاله

٥ سنين، مش عارفين نثبت عليه أي حاجة

مع إنه يعتبر من أخطر موزعي المخدرات في البلد.



- أنا أقصد اني مش مصدق الإخباريه تيجي بالسهوله دي.

- هي فعلًا غريبة ..تليفون من مجهول بيبلغ عن ميعاد التسليم

والمكان لا وإيه الدمنهوري بنفسه هو اللي هيستلم

طول الفترة اللي فاتت كانت عملياته بعيدة عن عنينا

تمامًا وفي وسط القاهرة في أماكن متخطرش على بالك.

- زي سوق الغوريه كده.

- لا سوق الغورية ده احنا كنا قربنا منه جدًّا.

لكن للأسف الراجل بتاعه مات في المواجهات

والتاجر التاني اللي سلمه البضاعة هرب مني ابن الهرمه

كان يقصد أبا الوفا ..ذلك الشخص الغامض ذو التركيبة المختلطة...

تنهد محمود:

- أيوه وقتها معرفناش نثبت حاجة على الدمنهوري.

وكل اللي طلعنا بيه كام كيلو هيروين في كيسه سودا.

نظر حسام من شباك السيارة متنهدًا بضيق شديد..جرحه ذلك الرجل الذي تمكَّن من الهروب منه لأول مرة في تاريخه البوليسي...فمنذ أن كان ملازمًا أول حديث التخرج في كلية الشرطة لم يقوَ أحد على الفرار منه مطلقًا ...تنهد كالنسر الجريح متوعدًا الدمنهوري ذلك المجرم الجديد صاحب هجوم اليوم بألا يعطيه أي فرصة للهروب...



كان سيد الدمنهوري من أكبر تجار الفاكهة بالقاهرة ...أو هكذا كان الستار المخفي خلفه تجارته للمخدرات...خط الزمان طوال خمس وستين عامًا آثاره على وجهه الحاد الممتلئ بالتجاعيد، فأعطاه أكبر من سنه الحقيقية ...وكأنه قد تخطَّى المئة عام..وقف الدمنهوري كالصقر وسط تلك المنطقة الجبلية الخفية الغارقة وسط جبالها الرملية القريبة من طريق الفيوم الصحراوي عند الكيلو ٥٢ ...كان يبعد عن الطريق بحوالي ٣ كيلومترات داخل الصحراء...وقف وبجواره بعض البودي جاردات ضخام الجثة حاملين أسلحتهم النارية بوضع الاستعداد بينما على مدى البصر انتشرت مجموعة من العرباوية يؤمِّنون الجبل والطريق بأسلحتهم النارية أيضًا استعدادًا للتسليم ..كانت هناك سيارتان أحدهما السيارة الخاصة بالدمنهوري والأخرى الخاصة بحُرَّاسِه، ومعهما أحد الجمال الحاملة لذلك الرجل العرباوي الدارس للمنطقة جيدًا دليلهم في الدخول والخروج من تلك المنطقة...

كانت الدقائق تمر متثاقلة وكأن هناك مَنْ يعطلها ..نظر الدمنهوري حوله بقلق متوترًا

هبط مرتضى الدهشان من سيارته واتجه ناحيته وبادله نفس القلق والتوتر.

- أنا مش مطمن يا خال.

نظر الدمنهوري إلى ابن أخته الوحيدة متوترًا:

- إحنا مضطرين ..خسارتنا العملية اللي فاتت كانت أكبر مما تتخيل.

- ولاد الكلب لبسونا الخسارة كلها

الأصول بتقول البضاعة اللي يمسكها

البوليس تتقسم خسارتها بالنص

قالها مرتضى هامسًا له.

- الحساب بعدين يا مرتضى نخلص من عملية النهارده ويا احنا يا هما

قطع حديثهما تلك السيارة الجيب الكبيرة القادمة عن بعد تُثير عاصفة من الأتربة حولها...

كانا ينظران ناحيتها في شغف وقلق ممتزجين..

وقفت السيارة أمامهما وقفز منها عرباوية بأسلحتهم فاتحين الباب الخلفي ليهبط منه رجل في السبعين من عمره بملابس عرباوية مميزة ..

كان حسام شوكت يتابع الموقف من أعلى الجبل هو ورجاله ..كانوا محاصرين لهم دون أن يدري أحد أو يلاحظهم بمساعدة أحد العرباوية ...

وفي دقيقة واحدة تم تبديل الصناديق ..صندوق واحد محمل بأكياس بها مادة بيضاء مقابل ٤ صناديق محملة بالنقود ...

فتح الدمنهوري أحد تلك الأكياس وذاق ما بداخلها ..ثم أشار لرجاله لتسليم ذلك العرباوي العجوز صناديق الأموال في سيارته



..كان الدمنهوري خبيرًا بتلك المادة البيضاء...خبيرًا بمخدر الهيروين ويعرف جيدا لإذا كان مخلوطًا أم لا... أدرك من الوهلة الأولى أنه مخلوط، وربما قبل أن يقرر التسليم بأيام، ولكنه مضطر أن ينقذ ما يمكن إنقاذه هذه المرة، إنه في حاجة إلى تعويض خسارته..

ابتسم له العروباوى العجوز:

–ع البركه يا بشوات، سلامنا لأهل القاهرة، دليلنا هيرجعكوا كيف ما جابكم، السلام أمانة.

لم يمهلهم القناص أكثر من ذلك ..انقض عليهم بأنيابه وبدأت مرحلة تبادل إطلاق النار بين قواته وهؤلاء الرجال الخارجين عن القانون...في غمضة عين استطاع مرتضى الدهشان أن يجر خاله الدمنهوري ناحية سيارته تحت أعين ونظر حسام شوكت...أدرك حسام حينها أنهما يوشكان على الهرب..هل سيتحمل القناص جرح آخر من هروبهما ...اخترق حسام الصفوف وسط وابلٍ من الرصاص المتبادل ...حاول محمود إمام أن يحميه، ولكنه ابتعد أكثر من اللازم ..لم يكترث حسام حينها، إنه يخاطر بحياته، ولكنه لم يرَ أمامه سوى الدمنهوري وهو يحاول الهرب

صرخ الدمنهوري في مرتضى المنطلق بالسيارة سريعًا:

–انت راااااااااايح فين؟

هنتوه لوحدنا في الصحرا.

–هنهرب يا خال هنهررررررب.



جرى وراءهما حسام بأقصى ما لديه من قوة ...كانت القوات تقترب من السيطرة على هؤلاء العرباوية ..الرمال كثيفة بكل مكان ..غرزت إطارات سيارة الدمنهوري بالرمال سريعًا..وصل لهما حسام والابتسامة تعلو وجهه شاهرًا سلاحه الناري بوجهيهما فاتحًا باب السيارة ...

-إيه؟ هتمشي كده يا باشا من غير ما نضايفك؟

ملأت الحسرة وجه الدمنهوري..قُبض عليه متلبسًا بشحنة كبيرة من الهيروين ..سيحكم عليه بالإعدام لا محالة..ليس لها مخرج أبدًا..لام نفسه مرات ومرات على محاولاته أن يخرج عن الإطار المرسوم له في منظومة تجارة الهيروين...كان يحاول أن يزيد من تجارته بعيدًا عن تلك القيود المفروضة عليه..والآن انتهى كل شيء..انتهت كل محاولاته ...وبغبائه الشديد أضاع نفسه...أضاع ابن أخته مرتضى الدهشان..بغبائه سلَّم لهم ..أول الخيط.





البيت الملعون

(اليوم العاشر)

ظل الوضع كما هو..الجثتان على الأرض غارقتان بدمائهما بعد أن فارقا الحياة...أبو الوفا جالس على الأرض بجوار المقبرة يبكي منهارًا...وأنا أكاد أنفجر من الغيظ والعصبية بعدما عرفت ما اعترف به أبو الوفا لي ..صرخت بعصبية شديدة:

- مخدرات؟

غالب أبو الوفا دموعه وبكاءه:

- والمصحف دي كانت المرة الوحيدة واتدبست فيها ومقدرتش أرفض.

صرخت فيه ماسكًا إياه من ياقة قميصه بحدة متناهية:

- ليه يا أبو الوفا؟



- الفلوس ...ضعفت..كان طالعلي من ورا التوصيلة دي ٣٠ ألف جنيه ..أسلمهم البضاعة واستلم الفلوس أسلمها لرجاله المعلم نبوي.

كنت كالمجنون أكاد أصفعه من عصبيتي وغيظي:

- ومبسوط دلوقتي بالفلوس ...مبسوط بالتلاتين ألف

عملت بيهم إيه بقه..جيبت بيهم علاج لامك

الله يرحمها...ولا اشتريت بيها تربه تندفن فيها

ها...مترد..ذنبي إيه أنا تدبسني في مصيبة

زي دي.

انهار أبو الوفا باكيًا ..

- ملحقتش اعمل بيهم حاجة.

نظر ناحيتي بعينين مملؤتين بالخوف والفزع:

- أنا عارف انهم مش هيسيبوني

الصغيرين اللي زيي تمنهم رخيص

بس انا ماليش ذنب ...أنا مجرد

موصلاتي ..موصلاتي وبس

هيمسكوا فيا أنا ويسيبوا المعلم نبوي

واللي وراه ...مش كده



مش كده يا أمير؟

لم أجد إجابة لسؤاله ..اكتفيت بالصمت.

- بس ورحمة أمي ...ورحمة أمي ما هشتغل موصلاتي تاني ولو على

رقبتي.. بص احنا نمشي من هنا

نمشي من هنا ونقعد عندك في البيت

مش انت كنت لسه بتقولي كده

وإذا كان على الجثتين

دول أنا هخفيهم خالص محدش

هيشم بيهم خبر

وحتى لو اتكشفوا

هقول إن أنا اللي قتلتهم وأنا بدافع عن

روحي

وهفديك زي ما فديتني.

ساد الصمت بيننا كثيرًا...كان أبو الوفا ينتظر إجاباتي على كلامه..راغبًا في معرفة: هل تغير موقفي منه أم لا؟ كنتُ أفكر في ذلك حقًا...نظر إليَّ وعيناه تستدران عطفي متسائلًا:

- هتبلغ عني يا صاحبي؟



حاول أبو الوفا إقناعي بأنه نادم على فعلته تلك، وأنا ملتزم الصمت..أخرج أمامي النقود من مكانها بعدما دفن هاتين الجثتين بالمقبرة وأغلق عليهما الباب..٣٠ ألف جنيه أحرقها أمامي على نار بابوره القديم الصدئ...صدقته وأشفقت عليه...أدركت حينها أنه صادق في توبته..لعلها الظروف هي من أجبرته على ذلك ...أجبرته على التعامل مع رجل من محترفي تجارة الهيروين مثل المعلم نبوي كما حكى لي ...ذلك الرجل الذي اتُّهم أبو الوفا في قتله فيما بعد..ولكنه أقسم لي أنه لم يفعلها ..لم يقتله ..وأنا أصدقه ..لأنني أنا أيضا لم أقتل سيد الشرنوبي..ولأنني أدرك جيدًا من فعلها ...

اصطحبتُ أبو الوفا معي إلى منزلي..دخلت إلى حمامي وانهمرت المياه على رأسي تحاول أن تغسل دماءهما الباقية داخلي ...

حينها..لم يكن أمامي سوى خيار واحد..النسيان...أحاول نسيان كل ما جرى ذلك اليوم الدامي..اليوم العاشر..كمحاولاتي تلك لنسيان كل ما جرى لي في ذلك البيت الملعون..حاولت نسيان كل شيء ...ركزت اهتمامي في شيء واحد فقط...البيت..البيت الذي فشل الشرنوبي في بيعه طوال الخمسة أعوام السابقة...منزل ب ١٥ مليون جنيه على الأقل ولا يباع...على الرغم من موقعه المغري لأي مُشترٍ...لم يعد هناك مكان للفشل..لن أستسلم لذلك الشبح المطارد لي منذ سفري في كل بلد ذهبت إليه..في كل لحظة نجاح لم تكتمل...في كل شيء أحببته ولم أستطع الحفاظ عليه..إنه شبح الفشل...أعتقد أنه يلازمني منذ ولادتي...ناسجًا خيوطه حولي بكل قسوة...ولكن آن الأوان أن



تتفكك تلك الخيوط من حولي ..آن الأوان أن تختفي للأبد...قد أنجح، وقد أفشل، ولكن من المؤكد أنها ستكون الفرصة الأخيرة.

ارتديت ملابسي وخرجت مع أبي الوفا إلى المعلم سيد الشرنوبي ذلك السمسار المسؤول عن منطقة المنيل بأكملها البالغ من العمر ستين عامًا .. محله الصغير بالقرب من البيت ..يجلس فيه دائما مع شيشته التي لا يتركها مطلقًا..كان ينفث دخان شيشته في وجهينا ..اتكأ الشرنوبي إلى الخلف بمجرد سؤالي إياه عن سبب فشله في بيع البيت طوال تلك الفترة الماضية...سحب نفسًا كبيرًا من شيشته وأخرجه في وجوهنا:

- بصراحة يا بني البيت ده بالذات حكايته حكاية.

- إزاي يا معلم؟

سأله أبو الوفا.

- أنا لمؤاخذه في الحته دي بقالي ٤٠ سنة، يعني اللي بيدخل ويخرج لازمن يكون

عندي علم بيه ..أمال إيه شغلتي كده خصوصًا اللي عاوز يبيع شقه، هنا اللي عاوز يشتري شقه هناك، يأجر محل...يشتري عماره ياخد أرض ويبني عليها

قاطعته بضيقٍ:

- اختصر يا معلم.

تابع الشرنوبي حديثه ناظرًا إلي:



- البيت ده بالخصوص كل ماجيبله

مشتري واخده يتفرج عليه

بيكون مبسوط أوي بمكانه والموقع

مغري بصراحة لأي حد

بالك مرة جه واحد ..راجل أعمال

كده عاوز يهد ويطلع بعماره ١٥ دور

ومرة تانية جه واحد عاوز يعملها

لمؤاخذه معرض موبيليا ٣ أدوار

كان عاوز يهد الحيطان ويعملها

إزاز داير ما يدور

بلاش مرة جيبتلها واحد دكتور تحاليل

وكان عاوز يعملها معمل تحاليل على

أعلى مستوى.

- طب وليه ما مكلمتنيش أجيلك ونخلص

البيعه؟

سألته مُستنكرًا.

كان أبو الوفا معي على نفس الخط..نظر للشرنوبي مربتًا على رجلـه اليسرى:



- ماتصحصح يا معلم شرنوبى

دي فيها لقمة حلوة ليك

جاوبنا الشرنوبي باهتمامٍ شديدٍ:

- أنا لمؤاخذه أخدم أستاذ أمير بعنيا

ده ابن حتتي لكن ما باليد حيله

- إزاي يا معلم؟

سألته متعجبًا:

- شوف يا أمير يا بني ..البيت ده

فيه حاجة والعياذ بالله مش مظبوطه

الزباين واحد ورا التاني بيروحوا

ميرجعوش، ولما كنت بسأل واطقس

عليهم بعد فترة ألاقيهم ماتوا موتات

والعياذ بالله تقطع القلب.

ساد الصمت بيننا للحظات...وكأنني كنت أنتظر تلك الإجابة...نظر إلي أبو الوفا ثم سأله:

- بيموتوا ازاي يعني؟

- بيموتوا محروقين والعياذ بالله.



- محروقين!

تأكدت شكوكي التي حاولت تكذيبها طوال الخمس سنوات الأخيرة ...

استكمل الشرنوبي حديثه الذي أعلمه مقدمًا:

- والناس يا بني قالت لبعضيها

وشويه شويه الكل مبقاش له سيره

غير كده وانقطعت الرجل على المكان

خالص وبقى المشتري أول ما يعرف

إن البيعة ع البيت ده ياخد ديله في

سنانه ويا فكيك.

ضحك أبو الوفا مُستهزئًا:

- بس الكلام ده خرافات يا معلم

مش عيب راجل كبير وكُمَّل زيك يصدق

الكلام والخرافات دي؟!

صمت الشرنوبي لحظات آخذًا نفسًا عميقًا من شيشته، ثم اقترب من أبي الوفا بجديةٍ شديدةٍ

- انت اسمك ايه؟



- أبو الوفا يا معلم.

- شوف يا أبو الوفا ...احنا عايشين

على باب الله وسط خلق الله، خلق الله دول كتير منهم اللي شايفينهم

زيي وزيك وزي الأستاذ أمير كده ومنهم

اللي مش شايفينهم زي الجن والشياطين

والعياذ بالله. دول يأبو الوفا يا بني عايشين وسطينا

ومعانا وجايز يكونوا سامعين كلامنا

دلوقتي ربنا يحمينا منهم يا رب، لأن غضبهم وحش وشديد.

كانت تلك هي الحقيقة المجردة من أي زيف...كنتُ أعلمُها دفينة بين أعماق صدري ولم أقوَ حتى على توقعها ..كنت أعلمُ أنه بيت ملعون...ما حدث في ذلك البيت يفوق الخيال...لا يعلمه إلا من عايشه وشاهده بعينيه ..حوائط ذلك البيت متشبعة برائحة نجاسته ..الجميع كانوا قد نسوا أنه من سلالة بني آدم مثلهم ...كانوا يعاملونه على أنه فرد من تلك الكائنات المخيفة الغائبة عن أعينهم..إنه من الجان..يرونه ويرونهم...يخافونه ويرتعدون منه...إنه كاظم نصر..والدي اللعين...صاحب مأساتي حتى بعد موته...لم أحسبه يومًا من الجان فقط، ولكنني كنت أراه شيطانًا...أبشع شيطان يمكن أن تراه بحياتك...ملعون ..حتى حينما مات...تعجب الجميع متسائلين:



- إزاي واحد منهم مات؟ هي الشياطين بتموت؟

أتذكر تلك اللحظة جيدًا ...كنتُ أرى ذلك السؤال في أعين الجميع حينما حملوا جثمانه ليدفنوه بعيدًا ...لم أرغب في الذهاب إلى مدفنه..ولا أعلمُ حتى أين هو...كنتُ أكرهُهُ بشدةٍ...كل ما أتذكره أنني أوصيت الشرنوبي ببيع البيت، وتبادلنا أرقام هواتفنا وسافرتُ مجددًا ..لم أتخيل أن تلك اللعنة ستبقى حتى بعد موته..

جلستُ ضعيف الحيلة في صالة البيت أنظر إلى حوائطه لا أدري ماذا أفعل، كان أبو الوفا ينظر إليَّ متعجبًا:

- إيه يا صاحبي انت هتصدق كلام الراجل المخبول ده؟

قفزت دموعي غصبًا ناظرًا إلى أبو الوفا:

- مش مخبول يا أبو الوفا..مش مخبول.

نظر أبو الوفا حوله بخوف:

- يعنى ايه؟ البيت ده مسكون؟

ازدادت الدموع بعيني ..تذكرت آخر مرة شاهدت فيها والدتي الحبيبة...آخر مرة للحنان والدفء في حياتي...نظرت ناحية الباب لأراني أفتحه وأنا بسن العشرين ...دخلت حينها عائدًا من كليتي أبحث عنها بعيني يمينًا ويسارًا...كنتُ أشعرُ بانقباضٍ ما بقلبي لا أعلم مصدره...خرج حينها كاظم نصر من غرفته ووقف أمامي ناظرًا إليَّ بحدته المعتادة..كنت أكرهُ عينيه، وأكرهُ أن أنظر بهما..لاحظت مياهًا



على الأرض ناحية الحمام..دققتُ النظر فوجدت بواقي ملابس محترقة...ذُهِلْتُ ..إنها ملابس أمي..رفعت عيني ناحية باب الحمام وأنا أتخيل ما حدث بالكامل وكأنني كنت معهما ...خرجت أمي من الحمام تصرخ:

- كفايه...كفاااااااااااااااااااااااااااااايه.

صرخت حاملة جركن الجاز تسكبه على ملابسها ورأسها، كان كاظم ينظر إليها غير مكترثٍ بما تصرخ به...فقد تعوَّد شكواها منذ زمن.

أشعلت عودًا من الثقاب، وأشتعلت النار بنفسها أمام عينيه...كنتُ أرى ذلك أمامي كما حدث..كان مشهدًا يُعذبني في كوابيسي المتكررة...من أبشع ما تخيلت...التهمتها النيران سريعًا...جريت حينها إلى المشرحة ورأيتها كنظرة أخيرة لأودعها..كانت محترقة تمامًا..لم أنسَ ذلك مطلقًا..كان وجهها الحنون محترقًا ...نجح كاظم في حرق كل شيء في حياتنا حتى عشنا في الجحيم ...انهرت بالبكاء وأنا أحكي لأبي الوفا عن تلك الدقائق المريرة في حياتي ...حاول جاهدًا دون جدوى أن يهدئني..

- صلي ع النبي يا أمير. لا إله إلا الله...ادعيلها بالرحمه والمغفرة.

- أنا السبب..مخدتهاش ومشيت سيبتها تتعذب.



- ده قدر يا صاحبي ومحدش بيعرف يغير قـدره، ادعيلهـا بالرحمـه وفكر في مشكلتك

دلوقتي اللي لازملها حل.

- مفيش فايدة يا أبو الوفا ...مفيش فايدة.

نهض أبو الوفا يمشي أمامي ذهابًا وإيابًـا مفكـرًا في حـل لـورطتي تلك..نظر ناحيتي بعد طول تفكير وكأنه وجد حلًّا:

- شوف يا صاحبي..كل خرابه وليها عفريت

وكل شيخ وله طريقه.

سألته مستفسرًا أحاول التغلب على دموعي:

- مش فاهم؟

ابتسم لي مُربتًا على كتفي:

- حلك عندي.

نظرتُ له مُتعجبًا...أبهذه السهولة وجد حـلًّا لتلـك المـصيبة التـي اعانيها منذ صغري...تـساؤلات عديـدة تـدور في رأسي تكـاد تفجـره ..نظرتُ إليه آملًا أن يكون حقًّا لديه الحل ...هل القدر وضع أمامى أبا الوفا بعد كل هذه السنوات ليساعدني حقًّا في تلك المصيبة؟ وهل هنـاك حلٌّ من الأساس؟ تبًّا لهؤلاء الجان ..كنت أشعر بأنفاسهم حـولي بكـل مكان ...وكأن أحدهم وقف ينظر إليَّ ساخرًا مما أنـا فيـه...وأصـدقاؤه الجان جالسون خلفه يغـالبون ضـحكاتهم عـلى حـالي ..تَبًّـا لهـم...تَبًّـا لذلك..البيت الملعون.



صرخات مذبوحة

(اليوم الثامن والعشرون)

انتهت الجلسة الثالثة من السيكودرما بعدما أمر دكتور أشرف مهران بذلك كعادته

- كفاية لحد كده النهارده.

مرت عشرة أيام وأنا بذلك المكان الأشبه بقبر ضيق يضمني كل ليلة لاهثًا في البحث عن نفسي ...أنهكتني تلك الشحنات اللعينة ..أنهكتني تلك الكهرباء التي عششت برأسي...كنتُ أصرخ في كل مرة...مرات ومرات ولا أحد يبالي...لا أحد يستمع..لا أرى سوى نظرة شفقة في تلك العينين الساحرتين ...عيني دكتورة علا ...لم أستطع تفسير تلك الرسائل المشفرة المُرسلة من عينيها ..كنت فقط أشعر بالدفء حين أنظر إليهما في لحظات ضعفي وصراخي..

تعجبت كثيرًا من تلك الحدة الكامنة في عيني دكتور أشرف..كنتُ أتساءل: كيف يتسنَّى لإنسان أن يحمل كل هذا الكم من القسوة داخله؟!



لم يكن دكتور أشرف سعيدًا بحياته العائلية ..وقد يكون هذا هو السبب وراء تلك التجاعيد الظاهرة على وجهه على الرغم من انه ابن خمس وثلاثين عامًا..

تزوج أشرف بابنة رجل الأعمال المعروف فهمي دويدار في حفل أسطوري تحاكى عنه كل المنتمين لذلك الوسط الراقي..كانت ميرهان فتاة مدللة فقد تعودت دائمًا على ذلك من والدها كونها ابنته الوحيدة ..وعلى الرغم من علاقة الصداقة والشراكة التي جمعت بين والد دكتور أشرف الدكتور سعيد مهران ووالد ميرهان لم تمنع الخلافات الدائمة بينهما ...لطالما تركت ميرهان له الفيلا وعادت تبكي إلى والدها ولطالما تصالحا عنوة ...

لم ينجبا، وكلاهما يعاني العُقم ..تصارحا بذلك قبل الزواج ...إنها إرادة الله أن يتعذبا في كل شيء وكأن الله يعاقبهما على تلك الحياة الرغدة التي ولدوا فيها....

أثَّرت تلك الحياة الجافة في أشرف للغاية ..حاول كثيرًا التقرب من علا من حين لآخر، ولكنها كانت توقفه دائمًا ..أحبها مع مرور الوقت...جذبتُه براءتُها وجمالها الأخاذ ..كان يعلم أن هناك مَنْ يُطارِدُها...هناك من يحاول تكدير براءتِها ...إنه دكتور هشام فريد ..

أنهى أشرف عمله ذلك اليوم، وترك المستشفى واستقلَّ سيارته وعيناه ممتلئتان بالشَّرِّ...خرج إلى الطريق الصحراوي على غير عادته ..واتجه إلى الإسكندرية ...وفي الكيلو ٤٠ كان هناك مخزن قديم مهجور...توقَّفَ بسيارته هناك..المخزن يبعد عن الطريق بحوالي نصف



كيلو داخل الصحراء..كانت هناك سيارتان أخريان ...دخل إلى المخزن بعدما نظر حوله خائفًا من أن يتتبعه أحد..

كان هشام فريد بالداخل مربوطًا موثوقة يداه وسط مجموعة من الرجال شاهري أسلحتهم...ويبدو أنه قيد الاختطاف..اقترب منه أشرف والشَّرُّ يملأ عينيه، بينما ابتسم هشام ساخرًا حين رآه:

- إزاي مخادتش بالي، أول مرة في حياتي أطلع مغفل.

اقترب منه أشرف أكثر وأكثر وسط هؤلاء الرجال ضخام الجثة:

- شوف يا هشام...لو سمعت بس إنك فكرت مجرد تفكير إنك تضايق دكتورة علا تاني

مش هقولك هعمل إيه؟

كان تهديدًا واضحًا وصريحًا ...قابله هشام بسخرية حادَّة ضاحكًا:

- إيه؟ انت بقه الحب الجديد؟

أمسكه حينها أشرف من شعره بحدةٍ وهمس بأذنيه:

- أنا مش عاوز أكرر كلامي مرتين، علا بالنسبة ليك خط أحمر لو عديته

يبقى انت اللي حكمت على نفسك.

أحبَّها بشدة ولم يفصح لها عمَّا بداخله..لكنه سيحرق كل من يقترب منها...مستعدٌّ أن يُلقي بنفسه إلى التهلكة لأجلها ...صرخات



مكبوتة بداخله تنادي بعشقها لكنه لا يقوى حتى على سماعها ..كان أشرف يحاول التغلب على ذلك الشعور الطاغي بحبها ولم يستطع ..ومن يقاوم ذلك الجمال الأخاذ والسحر الخاطف؟

دكتورة علا فاروق ..تلك الفتاة الرقيقة التي عانت في طفولتها وشبابها القريب الفقر والحرمان..حتى والدتها تركتها وتزوجت متجاهلة معاناتها واحتياجها الشديد...صارعت الحياة ونجحت في الحصول على بكالريوس الطب وعُيِّنت في شركة للمستلزمات الطبية..سكرتيرة..مجرد سكرتيرة ..حتى شهادتها الجامعية ألقي بها في القمامة لأجل لقمة العيش..لكن الحظ فتح لها أبوابه حين أُعجِب بها دكتور نادر السلحدار صاحب الشركة ..وعلى الرغم من فارق السن الكبير بينهما لم تتردد لحظة في عرضه الزواج به..وتغير كل شيء بعدها في حياتها...حياة مريحة وأموال لا تُعدُّ ولا تُحصى، وعلاقات متشعبة مَكَّنتها من الحصول على الماجستير في سرعة عجيبة دون مجهود!

وورثت أموالًا طائلة بعد وفاته بحادث سيارة..بنفس الليلة التي صدر أمر من النيابة بالقبض عليه في قضية كبيرة للقروض هزت الرأي العام حينها، ونجت بالأموال بأعجوبة لأنها اكتشفت أنه باع لها معظم ممتلكاته بعقود مسجلة بالشهر العقاري منذ أكثر من سنة من تلك المصيبة التي أصابته، فلم يستطع البنك الحجز عليها..وطُويت صفحته معها على الرغم من الشكوك الجنائية حول موته، ولكن ملف القضية أُقفل حينها لعدم وجود أي أدلة تدين أي أحد.

وعاشت بعدها لابنها فقط ..إياد هو كل حياتها ..حتى والدتها التي عاودت مرة أخرى بعد أن أصبحت من ذوي الأملاك السؤال



عنها والتودُّد إليها ...كانت تحاول تزويجها مرة أخرى، ولكنها لم تنسَ ما فعلته بالماضي ..لم تنسَ تركها لها في وحدتها ومعاناتها تُغالِبُ أهوالَ الحياة.

انفجرت علا في إحدى المرات في والدتها التي تغير فيها كل شيء حتى اسمها الجديد...باكينام

كانت تتركُ إيادًا أحيانًا لديها ...ومع إصرارها المتواصل لتزويجها ...خرجت علا عن صمتها

- ارحميني بقه ...ارحميني

مش كل يوم والتاني جايبالي عريس

أنا مش هتجوز ...مش هتجوز.

- يا علا أنا عاوزه مصلحتك.

اقتربت منها ناظرة بعينيها مستهزئة:

- مصلحتي..والله؟

ومصلحتي كانت فين لما سيبتيني وروحتي اتجوزتي

أونكل أحمد؟!

مصلحتي كانت فين لما حكم عليكى إني معيش معاكوا

ورمتينى في شقه أوضه وصاله زي الكلب اللي مالوش

صاحب؟!



كانت كلمات قاسية ولكنها حقيقة ..لأول مرة تواجهها علا بهذه القسوة..امتلأت عينا باكينام بالدموع وحاولت التبرير لكن علا قاطعتها بحدة:

- انا أقولك مصلحتك في إيه؟

مش هاين عليكي الفلوس الكتير اللي

ورثتها عن جوزي اللي ربنا بعتهولى عشان

ينتشلنى من القرف اللي كنت فيه بسببك.

أنا غلطانة...غلطانة إني رجعت تاني أسأل

عليكي واجيلك.

غلطانة إني قولت إياد يعرف إن له جدة

ويحبها وتحبه، بس الظاهر إنك متعرفيش

تحبي حد..بتحبي الفلوس بس

عاوزه تكوشي عليها انتي وجوزك.

انصرفت حينها بكل عصبية ومعها إياد ...صرخات عديدة تتنازع بداخلها لا تقوى حتى على البوح بإحداها إلى أحد...لم تعد تثق بأي إنسان ...حتى والدتها المزيفة ..

❊ ❊ ❊



جلس حسام شوكت بمكتبه متفحصًا أوراق وخيوط تلك القضية العجيبة...بات ليلته بالمكتب باحثًا عن حَلٍّ لذلك اللغز المحير...متسائلًا: كيف يتسنى لهؤلاء الخمسة تنظيم مثل هذه الجريمة المتقنة في آن واحد بخمس أماكن متفرقة بنفس الأسلوب؟ طعنات نافذة في الصدر ويدعون نفس الادعاء...ملك الجان هو المسؤول عن الجريمة..منتهى الحيرة.

دق الباب ليدخل محمود إمام مبتسمًا:

- صباح الخير يا حسام بيه.

- صباح الخير يا محمود.

- سعادتك جاي بدري النهارده.

- أنا مروحتش من أصله.

قالها حسام متنهدًا مهمومًا بالقضية.

- معقول؟ أنا كنت متوقع أجازه كبيرة بعد قضية الدمنهوري.

- إحنا ملناش أجازات يا محمود

هي المجرمين يتاخد أجازه عشان إحنا ناخدها.

لاحظ محمود ملف القضية مفتوحًا أمام حسام ...جذب نظره صور هؤلاء الخمسة بجوار جثث قتلاهم المأخوذة بتحريات القضية...

- انا اتطلعت على ملف القضية دي يا فندم



وشايف إنها جريمة مكتملة الأركان

والخمسة مختلين عقليًّا.

كان حسان يفكر في شيء آخر...يشعر بأن هناك لغزًا ما ...حاسته البوليسية التي لا تُخطئ تنبئه بذلك ..نظر ناحية محمود:

- لا ..متخودش الأمور بالسطحية دي.

- يا فندم متاخدش في بالك الكلام الفارغ اللي قالوه في التحقيق.

- لا يا محمود خالص الموضوع مش حكاية

بيت مسكون وجن وعفاريت وكلام فارغ زي ده.

- أمال حكاية إيه؟

تنهد حسام مفكرًا زائغ العينين:

- مش عارف لسه؟ لكن اللي انا متأكد منه

ان الموضوع ده وراه قضية كبيرة أوي

خمس أشخاص ..اتقتلوا بنفس الطريقة

سكين نافذ في الصدر ..والخمسة

ميعرفوش بعض من خمسه تانيين

يعرفوا بعض كويس

والخمسة بيدعوا إن الجن هو اللي نفذ



الجرايم دي وانهم كانوا قاعدين مع المجني

عليهم وراحوا في إغماءه

طويله ولما فاقوا منها لقوا المجني

عليهم مقتولين جنبهم

وبيدعوا إن كل ده حصل عشان

واحد فيهم رفض ينفذ طلبات ملك الجن

قال إيه بيته مسكون بالعفاريت والجن.

ضحك محمود ساخرًا:

- والله يا فندم رايحه منهم، ده كلام يدخل

العقل؟!

- يا محمود افهم ...أنا عارف ان ده كلام

مخابيل ...أنا بدور في اللي ورا الكلام

ده.

- أنا مش فاهم أي حاجة.

- أول ما هفهم هقولك ..المهم دلوقتي

استعجلي تقرير المستشفى عن الحالة



النفسية للخمسة وكمان شوفلى الطبيب

الشرعي مبعتش تقريره ليه لحد دلوقتي

- حاضر يا فندم.

تركه محمود وحيدًا بمكتبه فريسة لحيرته طوال اليوم وخرج...كان حسام مثالًا نادرًا لضابط الشرطة الباحث عن الحقيقة الكامنة ...فقط الحقيقة المجردة، ولا يقنعه غيرها مطلقًا مهما يحاول الغير من تزييف متقن ..إحساسه يقوده لقضية كبيرة مختفية وراء هؤلاء الخمسة، شعر القناص بأنهم مجرد كومبارس في جريمة كبيرة يتخفي مرتكبها الحقيقي خلف هؤلاء..وتبدء بشائرها بعد ساعات..اتصال هاتفي ببلاغ من أحد السائقين على الطريق الصحراوي في صباح اليوم التالي .. بوجود جثة لرجل مذبوح في سيارته ..كان ذلك الرجل هو هشام فريد الشناوي..ذلك الدكتور العاشق المطارد لعلا والمُهدَّد من أشرف..وُجِدَ مذبوحا داخل سيارته ..صندوق من الألغاز يحتاج لمغامر مثله ليفك شفراتها...صرخات تحتاج لمن يستمع لها ...ولكنها هذه المرة ..صرخات مذبوحة.



طوفان الدم

(اليوم التاسع والعشرون)

وقفت سيارة الشرطة عند الكيلو ٢٠ على الطريق الصحراوي المتجه إلى الإسكندرية حول تلك السيارة المخضبة بدماء هشام فريد بعدما عثر عليه مذبوحًا بأولى ساعات ذلك النهار الجديد ..انتشر رجال المعمل الجنائي يرفعون البصمات والمصور الخاص بالشرطة يلتقط تلك الصور الاعتيادية للقتيل ومكان الحادث..وقف محمود إمام متفحصًا داخل السيارة، باحثًا عن أي شيء يساعدهم في كشف غموض تلك الجريمة، حينما وصل القناص بسيارته هابطًا منها ناظرًا للمكان بأكمله ..اقترب منه محمود ساردًا عليه ما توصلوا إليه مبدئيًّا:

- سواق ميكروباص بلغ الساعة ٦ الصبح إنه شاف

واحد مدبوح جوه عربيه ..ومفيش حد شاف إيه اللي حصل.

نظر إليه حسام بعينين يغلفهما السواد...من الواضح أنه لم ينم لفترة طويلة...



- لقيتم حاجة؟

أعطاه محمود رخصة قياده القتيل ...نظر إليها حسام ليقرأها:

- هشام فريد الشناوي، طبيب نفسي.

- كاسيت العربيه مسروق والفوانيس والكاوتش.

نظر حسام الى هشام المذبوح على كرسيه ..هل هي قضية قتل بغرض السرقة أم أن هناك غرضًا آخر خفيًّا؟ ولماذا من قام بقتله لم يسرق السيارة بأكملها طالما ذبحه؟

من المؤكد أن القاتل يريد أن يرسل له رسالة..أنه قتله بغرض السرقة ...ابتسم حسام ناظرًا لمحمود..

- كمِّل تحرياتك يا حضرة الظابط وانقل الجثة للمشرحة.

* * *

كعادتها أسرعت إلى والدها فهمي سميح في الصباح الباكر بمكتبه الفخم الذي يدير منه كل مجموعته الاقتصادية من مصانع ومشاريع تجارية كبيرة ...ذهبت ميرهان والدموع تغرق عينيها مما فعله زوجها الدكتور أشرف معها كالمعتاد...قطعت على والدها استجمامه اليومي ...كان محبًّا للاستماع إلى موسيقى هادئة كل صباح، وشرب سيجاره الفخم وقهوته كتيمة يومية لا يفارقها أبدًا، ولا يقوى أحد على اقتحام تلك اللحظات بمبتدأ يومه حتى يطلب هو بنفسه من السكرتيرة الخاصة به بدء العمل ...ولكنها ابنته الوحيدة..استقبلها بصدر رحب



كالمعتاد...واستمع إليها وهي تغالب دموعها حتى انتهت ...كانت تشكو من ذلك الجفاف والقسوة في معامله أشرف لها، وكأنها امرأة غريبة عنه لا تربطهما أي صلة.

ربت فهمي على كتفي ابنته مُحاولًا التخفيف عنها مبتسمًا:

- مش جايز تكوني غلطانه؟

- بابي مش ممكن يكون أشرف اتغير كده لوحده!

قالتها بحدةٍ وعصبيةٍ.

- يمكن يكون متضايق عشان الخلفه يا بنتي.

- وهي حاجة جديدة مهو من يوم ما

اتجوزنا واحنا عارفين إن لا انا ولا هو

بنخلف وكنا واضحين، اشمعنى يتضايق

منها دلوقتي؟

- أبدا حس باحتياجه للأبوه.

- يعني وهو انا اللي مش حاسة بحرماني

من الأمومة ...

ابتسم لها وكأنه وجد الحل لمشكلاتهم:

- طب إيه رأيك ما تتبنوا طفل أو طفله



وتربوه معاكم وتتحل المشكلة دي.

- قولتله كده أكتر من مرة وهو رافض.

- ليه رافض؟

- بابي مش الخلفة اللي مغيره أشرف، أنا بقالي كتير بكدب نفسي

أشرف بقى غريب مش مفهوم ، نظراته أحيانًا بتخوفني ..

أحيانًا ألاقيه بيضحك وفجأة وشه يقلب

أحيانًا ألاقيه بيتكلم معايا كويس

وفجأة مش طايقني ومش مستحمل مني

كلمه ...أأنا خلاص مبقيتش مستحمله

العيشه دي هو مش عارف انا بنت مين؟!

لم تدرك ميرهان أن سبب تغيره هكذا هو حبه لعلا تلك الفتاة الملائكية التي غرق في بحور عشقها رافضًا أن يمد أحدهم يده إليه لينقذه منها..كان يقضي ساعات الليل كلها خارج البيت في بيت إحدى الراقصات مخمورًا محاولًا نسيانها ولكنه لا يستطيع...كان والده سعيد مهران يعلم بتلك المشاعر بعدما ذهب له أشرف واعترف له بحبه لها طالبًا منه الزواج بها، لكنه عنفه بشدة وهدده بحرمانه من كل شيء، ومن الحياة الرغدة المستمتع بها، وأجبره على إخفاء ذلك، واستكمال حياته مع ميرهان بشكل طبيعي...كان سعيد مهران حريصًا أيضًا على علاقته بفهمي سميحأاو هكذا كان يبدو..



حاول فهمي أن ينهي الأزمة كالعادة:

- خلاص يا ميرهان أنا هكلمه.

- لا أنا عاوزة أطلق.

قالتها بعصبية شديدة.

نظر إليها بشيء من الحدة:

- ميرهان ...مش عاوز أسمعك بتقولي

الكلمه دي تاني.

انهارت باكية:

- طلقني منه يا بابي ... طلقني.

- اسمعي يا ميرهان ...انتي تروحي

دلوقتي وتستني جوزك ...وتتكلميى

معاه ...ومش عايز اسمع تاني

عن الأوهام اللي في دماغك دي

- مش أوهام يا بابي مش أوهام

انفجر فيها بعصبية شديدة:

- يوووووووووه...مش معقول

تهديلنا كل حاجة بتهورك ده.



حاول فهمي أن يتماسك واقترب منها ناظرًا في عينيها مربتًا على كتفيها:

- بصي يا حبيبتي ...انتي عارفه

باباكي يادوب لسه واقف على

رجليه تاني في السوق وعارفه إن

اللي ساعدني ارجع تاني زي زمان هو

د سعيد مهران أبو أشرف...وإزاي الراجل

اتدخل بكل علاقاته عشان ينقذني من

قضية القروض اللي كنت هروح فيها

مش معقول ابدا يا حبيبتي نرودله

الجميل ده بانك تبقى كده مع أشرف

يلا استهدي بالله وروحي اتكلمي

مع جوزك وشوفي ايه اللي مضايقه

وصلحيه ..هاه يا حبيبة بابي.

لم تكن تلك هي المرة الأولى التي يحدثها بذلك ...حدث مرارًا وتكرارًا وفي كل مرة تذهب ولا تلبث أن تعود بمشكلة جديدة وشكوى أخرى بينها وبين أشرف، وكل ما يهم فهمي هو ابتعاد تلك الأزمات بينهما عن علاقته القوية بسعيد مهران والد أشرف.



لم تمر ساعتان على نقل جثمان هشام الى المشرحة حتى جاءت التحريات التفصيلية عنه أمام حسام شوكت...قرأها بدقة متناهية عدة مرات مقررًا من أين يبدأ...مستشفى العباسية للأمراض النفسية والعصبية ...مكان عمله السابق...وعلى الفور انتقل الى هناك وبداخله شَكٌّ بارتباط تلك الجريمة بالجرائم الخماسية الأخرى، ولكنه لن يصرح بذلك لأحد حتى يتأكد ..كان أشرف يترجل معه بحديقة المستشفى يحكي له كل ما يعرفه عن هشام فريد ..

- هشام كان صديق وزميل معانا هنا في المستشفى

لحد ٨ شهور فاتوا.

- معلش يا دكتور أشرف ياريت تقولي

الموضوع بتفاصيل أكتر.

- هشام دكتور نفسية وعصبية شاطر

ومن ساعة ما جه المستشفى هنا

قدر يثبت في فترة قليله كفاءته وانه

دكتور يُعتمد عليه ..حياته كانت

تقليديه جدًّا الصبح هنا وبالليل في

عيادته لا بيخرج ولا له صحاب

ياما اتحايلت عليه نسهر سوا كان



بيرفض كان بيفضل بقضي وقته

مع مراته وولاده.

ساد الصمت بينهما للحظات ...كان حسام منصتًا للغاية ..نظر لأشرف

- كمِّل أنا سامعك.

تنهد أشرف وكأنه يؤلمه تذكر ذلك:

- لحد ما حصلت مشكلة أبوه الدكتور

فريد الشناوي، أكيد سمعت عنه.

- قضية القروض اللي كانت من سنة

تقريبًا.

كان الملف الخاص بالتحريات عن هشام به المعلومات المبدئية كافة عنه وعن والده...ذلك المنتحر في السجن بعد القبض عليه في تلك القضية..

استكمل أشرف حديثه بدقة يحسد عليها:

- أيوه ..د فريد أخد حكم ٢٠ سنة

واتحجز على كل ممتلكاته مستحملش

ومات فيها ...ومن بعدها هشام

بقه واحد تاني



بقى غريب..سرحان طول الوقت

يتعصب بدون سبب..يضرب مراته

وولاده عمال على بطال ..هجر

عيادته تقريبًا قفلها ...وقتها قولنا

يمكن ضياع فلوس أبوه وموته بالطريقة دي هي السبب وحاولنا نطلعه

من اللي هو فيه لكن حالته ساءت أكتر

ودخل في مرض نفسي.

- إزاي؟

- لاحظنا عليه انه بيكلم ناس مش

موجودين حواليه، ولما كنا بنسأله كان

بيقول إن هو بس اللي بيشوفهم ويكلمهم

ويكلموه وإن مش من حقنا إننا نشوفهم

زيه ده طبعًا عندنا في الطب النفسي

عرض مرضى اسمه هلاوس

وضلالات بصرية بيبقى بداية

لحالة الشيزوفرينيا.



- الفصام؟

- أيـوه .. ده حتـى اتحجـز هنـا في المستـشفى حـوالي شـهر تحـت ملاحظتنا.

- كمريض؟

سأله حسام باهتمام شديد.

- أيوه ...وكان بدء يبقى هادي ويتحسن

لحد ما حالته ساءت فجأة تاني.

- ليه؟

- مكنش فيه أي أسباب واضحة

الهلاوس رجعت تاني وزاد عليها

صراخه اللي بدون سبب

ده غير إن فيه فكرة سيطرت عليه تمامًا.

- فكرة إيه؟

ابتسم أشرف مستهزئًا:

- إنه مرتبط بالدكتورة علا وإنها ضحكت عليـه وسـابته بعـد مـا عشمته بالجواز.

تابع أشرف حديثه بجدية:



- دكتورة علا زميلة لينا هنا من حوالي

سنتين والحقيقة الكل يشهدلها بالسيرة

الطيبه والأخلاق ... اتدهورت حالته اكتر واكتر...لحد ما جينا يوم لقيناه هرب

- هرب؟

- الكلام ده كان من ٦ شهور تقريبًا.

واختفي تمامًا بعدها لا مراته تعرف

عنه حاجة ولا أي حد من اللي كان

ممكن يلجألهم حتى قرايبه من بعيد

لحد امبارح كلمني وقالى إنه

عاوز يشوفني ...روحتله

جري كان في مكان مهجور وغريب

وكان حواليه ناس شكلها غريب

زي ما يكونوا بلطجية وكان على وشه

آثار ضرب ..

نظر إليه حسام بحيره متسائلًا:

- فين المكان ده؟



- هنجر في الكيلو ٤٠ على الصحرواي وانت رايح على الاسكندرية.

كنت أتابعهما من شباك غرفتي وعيناي غارقتان في التفكير...

أحاول أن أتمالك نفسي لأفكر جيدًا...مرت عشرة أيام على وجودي هنا وقاربت المدة على الانتهاء..من الصعب أن أختار بين الموت والموت...كلاهما هلاك..إما أن أموت أنا وأنتهي ...وإما أن يموت غيري...من المؤكد أنني لست عزرائيل ولا أريد يومًا بتولي منصبه..إنا إنسان راغب في العيش بسلام وأمان..مجرد إنسان يبحث لنفسه عن مكان وسط ملايين البشر ..لا بد أن يكون هناك حل...حل يحميني ويحمي غيري دون خسائر..دائرة مفرغة أفكر خلالها...كيف أحميهم ولا أحد يصدقني ولن يصدق أحد إلا حين يموت ...لحظة خروج روحه فقط ..حينها سيصدقني...لو كانت الأموات تتحدث لأخبرتهم عن صدقي..لكنى لن أنتظر حتى أصبح واحدًا منهم...من الأموات ..أنا ومن بعدي الطوفان...برقت تلك الفكرة في عيني...قررت الهروب تلك الليلة بأي وسيلة ...عليَّ الانتظار حتى يحل السكون أثناء الليل وأحاول..لعلي أنجح في الهروب من هنا...من الأفضل أن أعيش هاربًا على أن أموت صادقًا.

لم ينتظر حسام أكثر من ذلك..اصطحب أشرف في قوة مع الشرطة وذهبوا لذلك المكان المهجور..إنه مخزن قديم متهالك ...دخل معهم أشرف يقص عليهم كل ما حدث بالأمس...

بواقٍ لحبال سميكة مقطوعة على الأرض ولا شيء آخر...بعض الكراسي المتهالكة وبواقي خشب...

نظر أشرف لحسام ليستكمل قصته:

- كان في حالة غريبة ..كأنه

مجرم أو زعيم عصابه

مطلبش مني غير طلب واحد بس

دكتورة علا ...أتوسطله عندها عشان

يرجعوا لبعض.. كان لسه مسيطر

عليه نفس الهلاوس

كنت حاد جدًّا معاه ..وقولتله

يبعد عن دكتورة علا وان احسنله

يرجع المستشفى تاني ويتعالج

وسيبته ومشيت

مكنتش عارف إن دي آخر مرة هشوفه

فيها.

نظر إليه حسام بشكٍّ كبير:

- وليه مبلغتش؟

- أبلغ عن إيه؟ مريض ومش عاوز

يتعالج لا هو مجرم ولا هارب من



حكم عليه.

- اه بس انت بتقول ان الوضع كان مريب

قدامك

- متخيلتش أبدًا إن الوضع يوصل للدرجه دي.

كان كلامًا مقنعًا لأي أحد إلا حسام .. الشك في كل شيء وذلك كان سببًا في تميُّزه..عادةُ بعض المجرمين الذكاء ...وهو اعتاد ذلك منذ تخرجه ...الشَّكُّ يوصل إلى الحقيقة الكامنة...استكمل حسام تحرياته واستجواباته الاعتيادية لكل المحيطين للطبيب المذبوح..

حاول محمود إمام فرض نظرياته العقيمة المعتادة أمام حسام أثناء جلوسهما في مكتبه بعد انتهاء تحرياته ذلك اليوم:

- يا فندم متفكرش اكتر من اللازم

واضح جدًّا إنها قضية قتل بغرض

السرقه...شويه حراميه طلعوا عليه

سرقوا كاسيت العربيه والكاوتش

والفوانيس قاومهم دبحوه، أدي كل

الحكاية.

نظر إليه حسام بعينيه مفكرًا:

- ولما هم دبحوه ليه مسرقوش العربية كلها



ورموه في الشارع. لا ...اللي عمل كده عاوز يقولنا

انه اتقتل عشان السرقه عاوز يرميلنا

حل واضح للقضية عشان نبعد عن الحل الحقيقي.

- اللي هو إيه؟

سأله محمود.

- كمان هشام مكانش بني آدم عادي

واختفى فترة كبيرة محدش كان عارف مكانه ...

فتح محمود ملفًّا بيده وأخرج منه ورقتين ناول حسام إياهما:

- مراته كانت عاملة محضر باختفائه

من ٥ شهور تقريبًا وإدارة المستشفى

كمان عملت محضر بهروبه

دي صور منهم.

نهض حسام من مكانه مفكرًا وكأنه لا يستمع لمحمود ولا يراه مطلقًا

- ده غير المقابلة العجيبة في الهنجر

المهجور اللي مالوش صحاب ع



الطريق الصحراوي.

أصر محمود على ما يفرضه ونظر لحسام مبتسمًا:

- حسام باشا انت عارف أنا بحترم ذكاءك

جدًّا وبحب طريقتك في الشغل وديمًا

بتعلم منك لكن اسمحلي سعادتك

القضية مش محتاجه كل ده ..

واحد واتقتل بغرض السرقة

احنا بقه دورنا كداخلية ندور على القاتل

ده ونسلمه للنيابة ومهمتنا تخلص.

لم يكف القناص عن التفكير...هناك شيء ما خفي..هناك شيء ما وراء أشرف وقصته...شيء مريب لا يفهمه...عليه بالتأكد ...حتما سيصل الى الحقيقة يومًا ما.

استقل حسام سيارته خارجًا من مكتبه، والتفكير ينهكه بشدة..لاحظ سيارة كبيرة سوداء اللون تتابعه عن بعد..كان بها شخص في الأربعين من عمره جامد الوجه، حاد العينين، يُدعى الدهار أو هكذا ينادونه...تأكد حسام من ذلك لأول مرة ..لم يتتبعه أحد فيما سبق ...هو من يتتبع الآخرين والمجرمين جاء عليه يوم يتتبعه أحدهم..توقف فجأة والتف بسيارته فتوقف الدهار وحاول الهروب إلى الخلف ..التف حسام بسيارته خلفه وبدأت بينهما مطاردة عنيفة بالسيارتين..يبدو أن



حسام يعشق المطاردات غير مبالٍ بعواقبها التـي مـن الممكـن أن تكـون وخيمة كما حدث له آخر مـرة مـع أبي الوفـا..حـاول الـدهار الهـروب بأقصى سرعة بينما حـافظ حـسام عـلى تتبعـه لـه واقـترب منه بالفعـل ...الطريق ازدحم فجأة ...كان على الدهار التوقـف فـورًا..خـرج مـن سيارته وبدأ بالجري...جرى خلفه حسام بـسرعة عاليـة..كـل مـا يـدو برأسه من هذا الشخص ومـن وراءه..دخـل الـدهار إحـدى الأسـواق المزدحمة بالناس والبائعين واختفى وسط الزحام...وقف حـسام نـاظرًا حوله فلم يجده...وكأنه كان عليه أن يوصل له رسالة محـددة..احـترس فأنت مراقب..ليس هناك تفسير آخر لدى حسام لذلك...

عاد حسام لسيارة الدهار وفتشها جيدًا ...سيارة بدون أرقام، ومن المؤكد أنها مسروقة، فلن يضيع الوقت للبحث وراءها..استقل سـيارته وتوجه إليها...إنها الخطـوة الأولى للتأكـد مـن تلـك القـضية..دكتـورة علا..ذهب إليها في فيلتها بالتجمع الخامس ..تعجبت علا حين رأته في تلك الساعة المتأخرة، فقد اقتربت الساعة من العاشرة مساء...اعتذر لها حسام وطلب منها التحدث بصفة غير رسمية معهـا...جلـسا بحديقـة الفيلا ...حكى لها ما قاله دكتور أشرف متابعًا عينيها طامعًا في أي تأكيد لشكوكه ...لكنها خيبت آماله:

- كل الكلام اللي قالهولك دكتور أشرف مظبوط.

قالتها بمنتهى الثقة.

- يعني مفيش أي حاجة تقدري تضيفيهالي



أو أي حاجة متعلقه بدكتور هشام.

أجابته علا مؤكدة:

- العلاقة بينا متخطتش علاقة زماله

وكلنا كنا مقدرين الظروف اللي مر بيها

حتى بعد ما اختفى كان عندنا أمل

إنه يرجع زي ما كان لبيته ومراته وشغله.

نهض حسام معتذرًا:

- ع العموم أنا متأسف مرة تانيه على الزيارة الليليه دى

- لا أبدًا يا حسام بيه، أنا تحت أمرك.

ناولها كارته الخاص مبتسمًا:

- دى كل تليفوناتى أرجوكى أي حاجة

تفتكريها ..أي حاجة تتصلى بيا فورًا.

- إن شاء الله.

- بعد إذنك.

- مع السلامة.

كاد أن ينصرف ...توقف واستدار لها ...سألها:

- معلش سؤال كمان.



- اتفضل.

- الخمسة اللي اتحولوا من كام يوم...

- ايوه جرايم القتل.

- أه ..أخبارهم إيه؟

- لسه مفيش أي تقرير ظهر لحالاتهم.

- ولا حتى تشخيص مبدئي.

- لا انا مش بسألك على التقرير أنا بسألك

عن رأيك انتي.

حاول حسام أن يعرف انطباعها عن تلك القضية..كان هناك سؤال داخله يبحث له عن إجابة..

- بخصوص إيه بالظبط؟

سألته.

- أيه رأيك في موضوع الجن اللي بيدعوا إنه السبب في كل اللي بيحصلهم؟

- بشكل شخصي ولا بشكل طبي؟

قالتها مبتسمة.

- أعرف الاتنين بعد إذنك



- بشكل طبي هيكونوا مصابين بهلاوس

عاملالهم حاله من الفصام المؤقت

ده ان كانوا عيانين أصلًا ومش بيدعوا

كده عشان يهربوا من المسئوليه

- وبشكل شخصي؟

- أنا دراسة الدكتوراه بتاعتي عن علاقة

الجن بالمرض النفسي ...

أنا شايفه إن الجن له علاقة سواء مباشرة

أو غير مباشرة لأي مرض نفسي

بيصيب الإنسان وبرضه ده لو كان فعلًا

مريض مش بيدعي المرض

ابتسم حسام ساخرًا:

- وجهة نظر غريبه تخليني من غير زعل

أشك في قواكي العقلية.

أجابته بجدية شديدة:

- عادي أنا متعودة على رد الفعل ده

أغلب اساتذتي بيعتبروا أن ده كلام

غير علمي وغير مبرهن والحقيقة

إن اللي محدش واخد باله منه

إن عالم الجن أصلًا عالم خفي ويستحيل

يكون فيه دليل علمي عليهم

زيهم كده زى الإيمان بربنا والملايكه

والأنبيا مشفنهمش.

كان حسام حصل على إجابته بالفعل عن ذلك السؤال الخفي برأسه ...ابتسم لها منصرفًا

- تصبحي على خير يا دكتورة.

- وانت من أهله.

عاد حسام إلى سيارته واتصل بمحمود طالبًا منه تقريرًا شامِلًا عن دكتور أشرف ودكتورة علا وسط تعجب محمود من ذلك متسائلًا:

- ليه يا فندم؟

- من غير ليه ..اعمل اللي بقولك عليه.

- أوامرك يا فندم.

اقترب حسام من شيء ما..ربط بعض الخيوط البعيدة للغاية ببعضها بذكاء..ستكشف الأيام القادمة عن صحة توقعه.

❋ ❋ ❋



كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل...كل شيء ساكن والأقفال مغلقة على أبواب المرضى خاصة من لهم ملفات جنائية مثلنا...وقفت عند النافذة مستعدا لتلك اللحظة..لحظة الهروب ...لا أدري ماذا سأفعل..علي الوصول لتلك الماسورة القريبة من نافذة غرفة يسرا التي تبعد عني بنافذتين متتاليتين..على تسلق النافذتين والوصول لها لاستخدمها في الهبوط للدور الأرضي..نظرت ناحية غرفة الأمن فلم أجد أحدًا هناك..يبدو أنه نائم أو شيء أشبه بذلك، المهم أنه غير موجود أمامي..علي القفز والخروج بغمضة عين بأسرع ما يمكن..

كان السكون في المستشفى يخيم على الدور الثاني خصيصًا..إنه الدور المخصص للمرضى الجنائيين..وتناوب ممرضو المستشفى على متابعه المرضى ليلًا بشكل رتيب يكاد يكون منعدمًا حتى الأطباء في تلك الساعات المتأخرة من الليل يمكثون في منازلهم ولا يحضرون إلا في مواسم التفتيش أو الحالات المرضية ألحرجه، وكل ما يربطهم بذلك اتصال هاتفي مترقب من سلوى تلك الممرضة فاتنة الجمال المشرفة على النوبة الليلية ..كانت سلوى في أوائل الثلاثينيات من عمرها وغير متزوجة، مما جعلها مطمعًا لكل العاملين بالمستشفى، وهي كانت تحب ذلك بشدة وتشاغل الجميع حتى بملابسها الطبية الضيقة عليها ...كانت سلوى في نفس عمر يسرا وتشبهها كثيرًا، ولكم تمنيت يسرا حين رأتها أن تعيش مكانها ..كانت تراها وردة متفتحة يتسارع الجميع على اشتمام رحيقها...بينما تغرق هي في أحزانها ومصائبها الواحدة تلو الأخرى حتى انتظارها لحكم الإعدام على تلك الجريمة التي لم ترتكبها...



تسلقتُ النافذة بالكاد منهك القوى...قد حانت اللحظة المناسبة..تحاملت على نفسي ..إنها الفرصة الأخيرة..تشبثت بالجدران الخارجية متجهًا إلى النافذة المجاورة ..قلبي يضطرب بشدة...خائف من ظهور الأمن في أي لحظة خلفي...لكن لا عودة ..عليَّ بالاستمرار...كانت تلك الغرفة المجاورة لنافذتها هي غرفة أبي الوفا..كانت الستائر مغلقة وإضاءتها أيضًا يبدو أنه نائم..قلبي يؤلمني بأنني سأتركه هنا هو أصدقاءه، ولكن الطوفان شديد، وإما أن أغرق معهم وإما أن أنجو بنفسي...

نجحت في تسلق تلك النافذة واقتربت الماسورة ..بقيت نافذة أخرى...إنها لغرفة يسرا ..تلك الفتاة سيئة الحظ..أفلتت قدمي ...تماسكت بقوة..كدت أن أقع..تسارعت ضربات قلبي ...لا أريد أن أموت أو تتكسر ضلوعي ..تشبثت بجدار تلك النافذة..كانت مفتوحة والإضاءة تخرج منها ...لم أصدق عيني حين رأيت ما بالداخل..هل هذا كابوس جديد أتعرض له الآن؟ رأيت بأم عيني يسرا معلقة بحبل سميك متدلٍّ من أعلى منتصف غرفتها مشنوقة...كان شعرها الكثيف يغطي وجهها ولكني رأيته ..لم أصدق أنها انتحرت...هناك من فعل ذلك بها...إنهم هنا..من المؤكد أنهم هنا...إنهم يرونني...سيقتلونني مثلها...من الممكن أنها كانت تفكر في الهروب مثلي فعاقبوها بذلك..عدتُ إلى غرفتي سريعًا وأنا أرتجف مرعوبًا..العرق يتصبب من رأسي والرجفة تعتصرني بقوة..عيناي على الباب، أتوقع دخولهم في أي لحظة...لم تكن يسرا هي الوحيدة المعلقة برقبتها في هذه الليلة



الدامية..كان توفيق حبيبها العاشق، وكذلك أحمد سمير صديقه معلقين برقبتيهما في نفس الحبل بغرفة كل منهما...من المستحيل أنهم اتفقوا على الانتحار في نفس اللحظة..ارتعشت وارتعشت وارتعشت...كاد قلبي أن يتوقف...تملكني الرعب والخوف منتظرًا مصيري في ذلك الطوفان المتجبر...طوفان الدم.



الاشْتِباهُ الحائر

(اليوم الثلاثون)

صباح جديد مليء بالغموض .. ثلاثة منا راحوا بغمضة عـين دون ادني ذنب، وما زال الجميع لا يـصدقنا ويـصموننا بـالمختلين عقليًّـا... وقفت سيارة الإسعاف لنقل الجثث الثلاث إلى المشرحة ...انتشر رجال المعمل الجنائي في كل غرفة على حدة يرفعون البصمات ويؤدون عملهـم الاعتيـادي في تلـك الجـرائم، حتـى وإن كانـت الـشبهة الأولى هـي الانتحار..كان حسام شوكت في أسوأ حالاته واقفًا وسط غرفـة توفيـق رحمه الله وحوله رجال الشرطة منشغلين بعملهم، ووقف أمامـه بعـض العاملين بالمستشفى يبررون له ما حـدث كعـادتهم، محـاولين إبعـاد أي شُبهةٍ جنائيـةٍ عـنهم، بيـنما مكـث دكتـور أشرف ودكتـورة عـلا بأحـد الأركان يتابعان ما يحدث ...

نظر حسام بغيظ شديد لهؤلاء المدلين بشهاداتهم ..



تنهد متولي كبير الممرضين وهو يرتجف أمام القناص:

- ياباشا دي مش أول مرة واحد مجنون يسهينا وينتحر

إحنا أه قافلين عليهم وواخدين بالنا منهم انما مش هنعرف

يعني يا باشا نمنع قدر ربنا.

نظر حسام لإحدى الممرضات وكأنه يسألها فأجابته قبل أن ينطق بشيء:

- يا باشا الأقفال على الباب سليمة ومفيش أي كسر في أي حته

يعنى منتحرين بالثلث وأنا مكنتش موجودة في النبطشيه دي

وأول ما جيت استلم الشيفت بتاعي كانت الساعة ٩

دورت على سلوى عشان استلم منها ملقتهاش

دخلت الأوضه دي والعياذ بالله

لقيته متعلق برقبته في الحبل وخلصان.

تحرك حسام ناحية أشرف ناظرًا له بحدة شديدة ملتزمًا الصمت ..كاد أن ينفجر من التفكير ..ما حدث تلك الليلة لم يكن في حسبانه بالمرة، وزاد من ألغاز تلك القضية، ولكنها تؤكد له شيئًا واحدًا ..هناك صلة بشكل ما بين حل تلك الألغاز ودكتور أشرف مدير ذلك المستشفى ...

كانت الابتسامة الواثقة على وجه أشرف الناظر لحسام:



- يا حسام بيه سيادتك تاعب نفسك زيادة عن اللزوم

الموضوع واضح جدًّا

وثبت نظرات الشك من عيني حسام

- فعلًا واضح.

تابع أشرف حديثه متجاهلًا تلك النظرات:

- وارد جدا مريض مصاب بحالة

هوس ووسواس قهري يُقدِم على

الانتحار والتلاته كانوا بيعانوا من كده

صحيح تشخيصنا لحالتهم لسه

مخلصش بس بيكون فيه تشخيص

مبدئي غير إنها مش أول مرة تحصل.

هاجمه القناص بشدة وبعصبية شديدة

- أه بس أول مرة يبقى التلات متهمين

في جرايم قتل ..أول مرة تلاته

ينتحروا في نفس الليلة وفي ٣ أوض

منفصله ...وبنفس الطريقة..

- أكيد كانوا متفقين.



كانت إجاباته محيرة بل مستفزة ...حاول القناص أن يتمالك أعصابه كاظمًا غضبه بابتسامة صفراء:

- متفقين؟ متفقين ينتحروا؟! لأ جديدة ...

تابع أشرف حديثه بجدية:

- دي بتبقى وسيلة للهروب من الواقع

وإحساس دفين إن بالانتحار تنتهي

مشاكلهم وأكيد التلاتة كانوا حاسين

إنهم رايحين للإعدام بسبب جرايمهم

فنفذوا هم الحكم بإيديهم كنوع من الهروب

- انا احترت معاك ...منين مجانين

وهوس ووسواس قهري ومنين

فاهمين إن جرايمهم هتوديهم للإعدام

هو فيه مجنون بيتعدم؟

- ده موضوع نسبي ده غير...

قاطعه حسام بحدةٍ شديدةٍ ..لم يعد يحتمل أكثر من ذلك..

- جابوا الحبال دي منين يا دكتور؟

أجابه أشرف بنفس الابتسامة الواثقة



- إهمال يا حسام بيه..إهمال وتقصير

وأنا هعرف أحاسب المهمل كويس أوي.

اقترب منه حسام هامسًا له بحدةٍ:

- بس دي مش أول مرة.

- الإهمال طبع في المصريين

كام مرة خصمت من المرتب

وكام مرة إديت جزاءات وأحيانًا

كانت بتوصل للرفد.

قاطعه حسام مرة أخرى بعصبية:

- وكام مرة أرواح بني آدمين راحت؟!

سادت لحظات من الصمت بين الجميع ..رغب أشرف في إنهاء الحديث بلباقة:

- أقول إيه الطبع يغلب التطبع.

انفجر حينها حسام في الجميع:

- إهمال إيه؟ دول متهمين في جرايم قتل

..المفروض عليهم حراسة طول

الوقت ...مطلوب منكم تقرير عن

حالاتهم مش شهادة وفاتهم

محمود..

كان محمود إمام واقفًا يتابع ما يحدث بالقُرب من باب تلك الغرفة..نادى عليه حسام فهرول ناحيته ...

- أيوه يا حسام بيه.

- اسمع يا سيادة النقيب

أنا عاوز كل اللي كانوا

موجودين امبارح في النبطشيه

كلهم ..واللي روح منهم

ابعت هاته ...خصوصًا الممرضة

اللي كانت في الشيفت دي اللي اسمها

سلوى

تسمحلنا نستخدم مكتبك يا أشرف بيه؟

قالها ناظرًا لأشرف.

- اعتبره مكتبك يا سيادة المقدم.

ثلاث ساعات من التحقيق المتواصل بمكتب الدكتور أشرف...سأل حسام شوكت عن كل شيء...لعله يجد غايته المفقودة..والنتيجة معدومة تقريبًا ولكنها تزيد من شكوكه..لم يجد أي



إجابة لتلك المرضة المختفية منذ البارحة، وأجزم أن لها علاقة ما بذلك الحادث...حادث الانتحار الجماعي.

انصرف القناص ومن معه وعادت الأمور بالمستشفى كما كانت وكأن شيئًا لم يكن.

❊ ❊ ❊

جلست دكتورة علا الرقيقة على منضدة الاجتماعات الصغيرة بمكتب الدكتور أشرف بحضور أربعة من أطباء المستشفى عارضةً وجهة نظرها المقتنعة بها تمامًا ترى ذلك في عينيها بوضوح...بينما أنصتوا لها جميعًا:

- الاعتقاد بأن الجن

ورا الأمراض النفسية للإنسان اعتقاد

قديم ...القبائل البدائية في التاريخ

كانت بتنسب أي مصيبة من أوبئة

وكوارث وقحط ومجاعات للأرواح

الشريره والجن وكان للكهنه طقوس

معينه بيطردوا بيها الأرواح دي

صلوات وأخره وأدعيه للآلهه



وفي كتب الهندوس المقدسه فيه شرح

مفصل للطقوس دي

وفي المسيحية كمان كتاب العهد الجديد

بيحكي عن عيسى عليه السلام وطقوسه

في طرد الأرواح الشريره من أبدان

المرضى.

حتى في القرآن الكريم ذكر الجن في

أكتر من آيه وفيه سورة كامله باسمهم

سورة الجن ..يعني مستحيل ننكر

ده لأنها حقيقة مثبته عبر التاريخ

دكتور أشرف انت سامعني؟

كان أشرف هائمًا بعينيها الساحرتين ..

- هاه ..أيوه ...

انتى بتتفرجي على أفلام أجنبى كتير

يا دكتورة ..مش كده يا دكاتره؟!

حاولت علا إثبات وجهة نظرها والدفاع عنها..

- يا دكتور إحنا مصدقناش التلاته



واللي حكوه لحد ما ماتوا مشنوقين

تعالى نجرب نصدقهم مش هنخسر حاجة

نهض أشرف من على كرسيه...تقمَّص تلك الشخصية المكروهة من الجميع...ارتدى قناع ذلك المدير جعجاع الصوت دون أي سبب...

- نصدق إيه يا علا ؟نصدق إيه؟

مخابيل بتقول إن ملك الجن

قال إيه طلب منهم يقتلوا

ولما رفضوا ورطهم في جرايم ملهومش

ذنب فيها ..جرى إيه يا علا

إعقلي كلامك ..

صدق الأربعة الآخرون على كلامه بنوع من النفاق المدروس جيدًا، وبأصوات متلاحقة:

- انا مع دكتور أشرف جدًّا.

- وانا كمان.

- كلام دكتور أشرف هو السليم.

- طب ننسق جلسات ليهم مع أي معالج روحاني موثوق فيه.

قالتها علا بيأسٍ واضحٍ.

- اسمعي يا دكتورة، أنا مش عاوز كلام

تاني في الموضوع ده ...

وانصحك تغيري موضوع رسالة

الدكتوراه دي

ده اللي ناقص نبطل شغل إحنا بقه ونقلبها زار

خرجت علا من مكتب أشرف وهي مقتنعة أنه لا فائدة في إقناعهم بموضوع رسالتها..عليها باستكمال مشوارها العلمي بمفردها دون أي مساعدة من أحد...كانت تعلم أنه من الصعب تصديق ذلك ..الجان والمرض النفسي ...كثيرون سخروا منها حين علموا بموضوع رسالتها بمجرد قراءة عنوانها...ولكنها ستكمل الطريق دون هوادة...

❊ ❊ ❊

تنهد حسام بعد ذلك اليوم الشاق بمكتبه بالمديرية ناظرًا لمحمود هامسًا له بعد طول تفكير

- فيه حاجة غلط.

- والله يا حسام بيه أنا شايف سعادتك تريح

نفسك ٣ مجانين وانتحروا ..وارد جدًّا.

إصر محمود إمام على سطحيته في تحليل القضايا والجرائم..كان ذلك رأي القناص به دائمًا حتى وإن لم يصرح به لأحد...نظر إليه مستنكرًا:



- انتحروا...إنت متأكد؟

- سيادتك تقصد اتقتلوا...معقول؟

طب ليه؟ ولمصلحة مين؟

نهض حينها حسام من على مكتبه يفكر في كل شيء ...محاولًا فَـكَّ خيوط ذلك اللغز المشتبكة بصعوبة بالغة...

- تقدر تفسرلي إزاي التلاته انتحروا

في نفس الوقت...وبنفس الطريقة

الشنق... ومنين جالهم الحبال

الحبال اللي من نفس النوع وكأنه

حبل واحد طويل اتقسم على ٣

والممرضة سلوى اللي اختفت

وأهلها ميعرفوش عنها حاجة من ساعتها.

- معنديش تفسير سعادتك غير

الإهمال زي ماقالك د أشرف مدير

المستشفى، واختفاء الممرضة ده أكيد

صدفة وهتظهر بكره ولا بعده

- الموضوع أكبر من الإهمال.



طرقاتٌ متتالية على باب مكتبه يدخل على أثرها أمين الشرطة الخاص بمكتب القناص مستأذِنًا...

سأله القناص:

- فيه حاجة يا مرسى؟

- تقرير الطبيب الشرعي يا فندم.

- طب اتفضل انت.

سلمه خطابًا مغلقًا وخرج..ذلك الخطاب المنتظر ليساعده في فك خيوط اللغز القديم..جرائم القتل الخماسية..كان ينتظره بفارغ الصبر...فتحه سريعًا وقرأ ما في داخله، وبرقت عيناه من المفاجأة

- معقول؟

احتوى التقرير على مفاجأة غير متوقعة له..مفاجأة تبرئ كل هؤلاء الجناة المتهمين الخمسة..تعيده إلى الصفر مرة أخرى ليبدأ من جديد بالبحث عن المرتكب الحقيقي للجرائم..

بُهِتَ محمود إمام غير مصدقٍ ما جاء بذلك التقرير:

- التقرير واضح وبيأكد كل شكوكي

المتهمين الخمسة كانوا تحت تأثير

منوم اللومينال أثناء الخمس جرايم

- يعنى إيه ...القضية باظت



وهنبدأ من الصفر وندور على جاني

تاني مجهول بالنسبه لنا

ومين ده اللي هيقتل خمسه في أماكن

مختلفة ويتهمها في خمسه تانيين

ويخدرهم من غير ما يحسوا؟

- مش كده وبس مين كمان اللي قتل التلاته

ليلة امبارح لأن مستحيل ينتحروا

وهم عارفين إنهم براءة مقتلوش حد

واشمعنى التلاته دول بالذات؟

نظر محمود لحسام بخوف شديد:

- أنا بدأت أصدق كلامهم عن الجن.

تنهد القناص مفكرًا من جديد بعجلة شديدة بكل شيء..توالت كل مشاهد تلك الجرائم واحدة تلو الأخرى أمام عينيه..تذكَّرَ كل تفاصيلها جيدًا...

- الحكاية تبان من بعيد غامضة ومحيره

لكن كل ما تقرب منها هتبان ملامحها

أكتر واكتر ..ويبقى ناقص تمد



إيدك تشد القناع عشان تكشف كل

الحقيقة وإحنا هنقرب ...لحد ما تبان ملامحها.

قالها حسام بكل ثقة..يعلم جيدًا أن لكل مجرم سقطة مهما يبلغ ذكاؤه منتهاه ...وحتمًا يومًا سيصل له ...أدرك القناص حينها أنه أمام مجرم غير عاديٍّ متخفي كالخفاش..يختار فريسته بدقه وينقض عليها دون أن يلمحه أحد ...ينفذ من جميع الأبواب والحوائط...لا شيء يمنعه عنهم...مجرم خارق الذكاء...وضع منومه للخمسة متهمين بآن واحد، ونفذ جرائمه بكل براعة..لم يترك خلفه أي دليل...منتهى الذكاء...جريمة...قاتل بجوار كل قتيل...سلاح جريمة..إنها جريمة مكتملة الأركان...لكن سقطته التي لم يدركها هي ما جاءت بتقرير الطبيب الشرعي لتوه..الجُناة ليسوا جناة...كانوا مخدرين...هناك جانٍ أخر ...سيبذل حسام جهدًا جبَّارًا ليصل إليه..لكنه أهل لذلك...

نظر محمود للقناص بعينين تائهتين:

– اسمحلي يا فندم أنا مش فاهم أي حاجة.

تنبَّه حسام حينها لشيء ما مشترك قد يصل به لحل ذلك اللغز..

– لو ركزت شويه هتلاقي قضية هشام فريد الشناوي فيها حاجات مشتركه مع القضية

دي

– إزاي؟



- هو جاتله هلاوس وبقى بيكلم ناس مش

متشافه وهم كمان بيدعوا بوجود جن

ورطهم في الجرايم

هو دخل مستشفى العباسية يتعالج فيها

وهم كمان

هو اتقتل وتلاته منهم اتقتلوا

صحيح الظروف مختلفة لكن فيه عوامل

مشتركه

الدكتور أشرف ..

قالها وكأنه يخبره بحل ذلك اللغز

- فين التقرير اللي طلبته منك عن أشرف وعلا؟

- جاري تجهيزه يا فندم.

- بعد موت توفيق ويسرا وسمير

مبقاش قدامنا غير أبو الوفا وأمير

- بس كلام سيادتك كده معناه إنهم براءة

ومعلهمش أي مسؤليه جنائيه

- بكره هفكرك أن تقرير المستشفى



هيقول إن قواهم العقليه سليمه

- طيب يبقى هنعمل بيهم إيه؟

- وقتها لازم يكونوا تحت عنينا باستمرار ومن بعيد ..

أنا متأكد إن حل لغز القضية دي هيبدأ من عندهم

وفي نفس الوقت عاوز اعرف كل حاجة

عن المجني عليهم شغلهم حياتهم عائلاتهم

هواياتهم كانوا بيقعدوا فين كل حاجة يا محمود كل حاجة.

- حاضر يا فندم.

انصرف محمود تاركًا القناص وسط ألغازه المختلفة كالعادة.. تساؤلات عديدة تتراءى أمام عينيه...مخطئ من يعتقد أن الحقيقة المجردة سهل الوصول إليها...بالعكس هناك العديد من الحقائق المزيفة تقابلك بطريقك ...وأنت وذكاؤك..الكثيرون يخدعون قابلين بتفسيراتهم المزيفة ..خارقو الذكاء فقط ينجحون، والقناص واحد منهم..كل ما يحتاج إليه هو التركيز الشديد بعدما التقط خيطًا جديدًا في تلك الجرائم المشتركة..ذلك التشابه بينهم وبين دكتور هشام الشناوي المقتول ذبحًا ...فقط عليه بنفس عميق وسلك مسار جديد في حل ألغازه المتشعبة..عليه ..باستثمار ذلك الاكتشاف..استثمار ذلك.. الاشتباه الحائر.



يا مالكًا قلبي

(اليوم الثلاثون)

...كنتُ بغرفتي طوال اليوم...أرتجف من الخوف...أشعر بهم حولي طوال الوقت...التفت يمينًا ويسارًا والعرق يتصبب من رأسي .. أتوقع موتي بأي لحظة...من هذا الذي يقاوم أشخاصًا غير مرئيين..إنهم يرونك ولا تراهم ..يظهرون لك فقط حين يبغون ذلك ...وبالشكل الملائم لأهوائهم...قد يقتربون منك في شكل قطة سوداء عيناها حادتان ترعبانك...أو في جسد كلب أسود نباحه يجعلك تجري أمامه طوال عمرك إن استطعت ذلك..أو حتى في شكل إنسان ..عليك بالتأكد دائما مما يحدثونك أو يظهرون بالقرب منك...قد يخترقونك..لا تثق بأحد حتى أقرب الناس إليك..قد يتجسدون في أحدهم...رأسي ينفجر من التفكير والرعب في آن واحد...أشعر بحرارة أنفاسهم حولي، وكأنهم ينظرون بعيني مستهزئين...وكأن أحدهم رفع لتوه سكينًا ضخمًا لا يقوى مئة رجل على حمله ليطعني به..إنه قدري الأسود...لا أحد يملك إيقافه أبدًا غيرهم...



التفتُ ناحية باب تلك الغرفة الكئيبة ...هناك من يفتحه ببطء شديد...علقت عيني عليه كاتمًا أنفاسي ...أكاد أستمع إلى صوت ضربات قلبي يضج بأذني..قدمان رقيقتان وطئتا غرفتي لأرفع رأسي إلى صاحبتهما ليصيبني الذهول..كانت هي ...بنفس ملامحها الرقيقة التي لا تُنسى...لم أنسها قط طوال عمري ...لم أحب غيرها ...إنها منى السماك حبيبتي الهاربة من ماضيَّ السحيق...اقتربت مني بنفس ابتسامتها التي لم أنسَها طوال الخمسة عشر عامًا الماضية..همست في أذني كما كانت تفعل دائمًا:

- إيه..موحشتكش؟

نهضت مقتربًا منها...أحاول أن أتأكد أنها هي بالفعل ...الشك هو أول ما يطرق ببالي تلك الأيام....وكأنه لعنة التفت حول عنقي لن يتركني إلا وأنا جثة هامدة...

سألتها ناظرًا بعينيها التي طالما أبحرتُ فيهما:

- انتي دخلتي هنا ازاي؟

لم أتلقَّ منها أي إجابة ...نظرت حولها محافظة على ابتسامتها الساحرة..دست يدها بحقيبة صغيرة كانت بحوزتها وأخرجت جهازًا صغيرًا ...تلمسته بأصابعها الرقيقة ..استمعت حينها إلى أغنيتنا المفضلة ...لطالما غنيتها لها، ولطالما انسالت دموعها فرحًا بحبي وشوقي الدائم..كانت تحبها بصوتي أكثر من صوت عبد الحليم حافظ..إنها أغنية يا مالكًا قلبي...ما زلت أحفظها عن ظهر قلب...انهمرت الدموع من عيني ..اقتربت مني وهمست بأذني مرة أخرى..



- عمري ما بطلت اسمعها.

تركتني واتجهت ناحية النافذة..تنهدت ناظره للخارج شاردة، وكأنها تتذكر شيئًا ما يؤلم قلبها.

- كل اللي حوالينا كانوا بيحسدونا

كلهم كانوا بيقولوا إننا نموذج مثالي لأي اتنين بيحبوا بعض.

اقتربت منها بعصبية ...لا اريد أن أتذكر ذلك الآن...اقتربت منها وأنا أعلم أنني مهما تفعل فلن أمحوها من ذاكرتي وقلبي.

- انتي جايه ليه؟

التفتت لي ناظرة بعيني وابتسامتها تزين وجهها البريء:

- مش مصدقه..معقول انت تقتل؟

مش ممكن أبدًا تكون انت الشخص

اللي الجرايد كاتبه عنه ...مش ممكن

كان عبد الحليم ينشد أغنيته المفضلة حولنا...ابتسمت لها ساخرًا:

- عجيبة ...مع إني نفس الشخص

اللي انتي سيبتيه

ولا نسيتى إنك دبحتينى زمان

تلاشت ابتسامتها على الفور...امتلأت عيناها بالدموع واقتربت مني:



- أمير..مكنش بإيدي...

غصب عني مقدرتش أقاوم

لم أتمالك دموعي التي انهمرت حين تذكرت تلك اللحظة القاسية...لحظة فراقها ...وكأن هناك من يمد يده لينتزع قلبي ويلقيه تحت قدمه ليدعسه أسفلها...أقسى إحساس يشعر به المرء أن يفترق عمن يحب دون سابق إنذار..هاجمتها بعصبية وبقسوة زائفة مغلفة بحبي وعشقي لها:

- لكن تقدري بس تاخدي روحي وتعيشيني

كأني ميت بالحيا.

تقدري بس تعذبي غيرك وانتي مرتاحه

- ومين قالك انى كنت مرتاحه.

قفزت الابتسامة إلى وجهها مرة أخرى وكأنها تعاني الجنون ...

- كنت بدور عليك.

اقتربت مني وهمست في أذني:

- بدور على لمستك

ضحكتك

حنانك.

سحر عجيب يأسرني حين ينفذ صوتها الرقيق إلى أذني..وكأنه مفتاح الجنة...هل عايشت من قبل امرأة تشعرك بالجنة... عيناها...صوت أنفاسها...لفتاتها...عبيرها الأخاذ...لا أعتقد أن الجنة



أكثر من قربى إليها...ومنذ فقدتها وأنا في الجحيم ..لم تقوَ أي امرأة أخرى على شغل مكانتها بقلبي ...نظرت بعينيها الساحرتين ..غرقت يداي بين يديها الحانيتين...انهمرت دموعي بعضها يلهث وراء بعض.

همست بصوت حزين من فراقها:

- عمري ما نسيتك.

ربتت على يدي بحنان شديد

- إوعدني إنك هتخرج من هنا.

- لازم أوافق.

- وافق.

- مش قادر.

كنت أعلم أنني أعجز عن تنفيذ ما طلبه مني ملك الجان...لست عزرائيل ولن أكون...وكذلك أعجزُ عن الرفض..حتى الهروب لا أقوى على فعله..لا أدري ماذا أفعل ..

همست بأذني:

- هستناك.

كنتُ حينها كالثور الهائج أتحرك في كل أنحاء الغرفة..لا أدري هل لفشلي في تنفيذ تلك المطالب الدامية للجان؟ أم حقًّا لفراقها السحيق؟

- انتي كدابة..كدابة



كدبتي عليا زمان وقولتيلي

هعيش عمري كله معاك ..كدبتي عليا وسيبتيني

في أول محطة قابلتك

أمسكت حينها ذلك الجهاز الباعث للموسيقى..تغيرت الأغنية إلى موسيقى هادئة..كنت أحبها أيضًا..إنها موسيقى لبيتهوفن ...لطالما حلمنا أن نرقص عليها بعد زواجنا..غرقت بابتسامتها وانهارت كل قواي ...اقتربت مني ومدت يدها لي...لقد آن الأوان لنحقق حلمنا المشترك...رقصنا معًا على تلك الموسيقى الرائعة..رقصنا وأعيننا تتعانق قبل أجسادنا..إنها الجنة تعود مرة أخرى..علي نسيان كل شيء الآن...عليَّ فقط الارتماء في أحضانها الدافئة..نظرت بعينيها الخلابتين مبتسمًا:

- عارفة ...بحبك قد إيه؟

- عارفة.

- تعبت.

- الحياة صعبةه مش كده؟

- صعبة من غيرك.

- بس حلوة.

- أبدًا.

- محدش يعرف حلاوتها إلا اللي اتحرم منها.



كانت كلماتنا قاسية..مَنْ يراقبنا عن بعد يرانا كالطير المذبوح يتراقص على آلامه وذكرياته المفزعة...

نظرت لها معانقًا لها بعيني

- أنا اتحرمت منك

- بس لسه عايش.

- عايش ميت.

أفلتت من أحضاني كعادتها..نظرت إلي بعينين تشتم فيهما رائحة الموت:

- غلطان الموت له شكل تاني

انت لسه مجربتهوش.

كنت أعلمُ ذلك جيدًا..ضعفي المعتاد منعني من تجربة ذلك الموت اللعين ...على الرغم من محاولاتي العديدة للانتحار لعلي أنهي مأساتي ..التفت حولي باحثًا عنها ...وجدتها ممدة على سريري..وجدتها كحالتها تلك التي تركتني عليها..شاحبة كالموتى ...بل إنها كانت منهم بالفعل ...لطالما بكيتُ على رحيلها المفاجئ في بداية حياتنا معًا ...كنتُ أنوي الزواج بها والابتعاد أنا وأمي بعيدًا معها...لكنها نقضت وعودها لي وماتت..نهش السرطان ذلك المرض اللعين جسدها واختطف روحها في ثلاثة شهور...رحلت منى ورحل معها كل شيء ...رحلت معها الجنة ...نظرتُ إلى جثتها الممدة على سريري واقتربتُ منها باكيًا:

- كان لازم تاخديني معاكي...مكانش لازم تسيبيني



لوحدي ...مش كده..انطقي

منى

ناديت عليها مرارًا وتكرارًا لعلها تجيبني..

- منى..منى..منى

شفتي بقه إنك كدابه

سيبتيني لوحدي

كنتُ أعلمُ أنها مجرد سراب ...الميت لا يعود مجددًا ...علي بالتعود على تلك الهلاوس من الآن ..وكأن تلك الجلسات اللعينة نفضت كل الأنقاض بداخلي ...ما زلت أشعر بأنفاسهم حولي..عاود الرعب مرة أخرى إلى قلبي..عدتُ إلى الجحيم ..نظرتُ إليها وأنا أحاول التشبث بها حتى وإن كانت جثة هامدة..ابتسمت لها غير مبالٍ بهؤلاء المخفيين حولي..احتضنتها وأنا أغني لها أغنيتنا المشتركة ..أغني وأنا أُغالب خوفي ودموعي المنهمرة متذكرًا ما حدث لي ليس فقط في أيامي البائسة تلك منذ أن عدتُ من رحلتي الطويلة بل عذابي القديم بفراقها...

أغني .. (يا مالكًا قلبي).



فَلسفةُ طاغِيةٍ

(اليوم الحادي عشر)

اصطحبني أبو الوفا إلى ذلك الملهى الليلي مساء اليوم التالي لمقابلتى اليائسة بسيد الشرنوبي..كان يومًا عصيبًا قضيته بين حوائط ذلك البيت الملعون أندب حالي وأتشبث بذلك الأمل البعيد الذي ألقاه لي أبو الوفا الليلة الماضية...كانت الأنوار تتلاعب طوال الوقت ...إحدى الراقصات بملابسها الفاضحة تتمايل بخلاعة شديدة ..موسيقى راقصة صاخبة...مطرب شعبي يغني بحماس شديد ...كؤوس من الخمر تراها بأيدي الجميع هنا...حالة من السكر والمجون حولنا بمجرد دخولنا إلى ذلك الملهى الليلي..وقفت وسط كل ذلك غير مصدق متسائلًا كيف سيجد أبو الوفا حَلًّا لمصيبتي بذلك المكان الماجن..اقترب مني أبو الوفا ضاحكًا:

- جرى إيه يا عم أمير هو انا موديك أوضة الفيران؟!



- أصلي أول مرة ادخل مكان زي ده.

- ياخي انت غريب فعلا ...منين كنت

مسافر بره ومنين عمرك ما دخلت كباريه.

- طب والله عمري ما دخلته.

قلتها مدافعًا عن نفسي ..ضحك أبو الوفا وجذبني من ذراعي لمنضدة قريبة وجلسنا عليها.

- من غير حلفان يا صاحبي مصدقك.

اقعد اقعد وفك نفسك كده ..

- هنقعد؟

- أمال هنتكلم ع الواقف.

اقترب أحد الجرسونات وعلى وجهه ابتسامة بلاستيكية، لاحظتها على وجوه كل العاملين بذلك المكان حتى الراقصة تشعر بأن ابتسامتها بلاستيكية أيضًا تخفي وراءها الكثير من المآسي ..ربما لأني أرى كل شيء أمامي سوداويًّا ...عيون الآخرين مجرد مرآة لما أشعر به داخلي..

- هاتلنا إزازتين ويسكي.

قالها أبو الوفا وكأنه معتادا على ذلك.

همستُ له مستنكرًا:

- ويسكى إيه يا عم؟



نظر أبو الوفا إليَّ بعدما أشار لذلك الجرسون البلاستيكى بالانصراف.

- روح انت ...متخافش هو اللي هيدفع.

- مش قصدى أنا مبشربش.

تنهد أبو الوفا متعجبًا للغاية:

- انت تركيبه غريبه أوي يا صاحبي

لا اتجوزت ولا بتشرب ولا دخلت

كباريهات أمال كنت بتضيع فلوسك على إيه؟

نهض أبو الوفا وتركني جالسًا بمفردي أشاهده يراقص تلك الراقصة الخليعة..أقل ما توصف به أنها عاهرة...أخرج من جيبه ورقه بمئة جنيه ...توقفت الموسيقى للحظات وتوقف معها المطرب عن الغناء..أمسك أبو الوفا الميكرفون من المطرب رافعًا نقوده لأعلى..كانت الراقصة تردد وراءه كلمةً بكلمة بخلاعةٍ ودلالٍ:

- أنا ..

- هو

- أنا

- هو

- وصاحبي



- وصاحبه

كانا يشيران ناحيتي...ابتسمت بحرج ..

- اللي رجع بعد غيبه.

- غيبه

- وهيجيب الخير كله معاه

- معاه

- وسمعني أحلى سلام.

عادت الموسيقى الراقصة مرة أخرى..انتفضت الراقصة بكل جسدها تتمايل بخلاعةٍ بعدما أعطاها أبو الوفا المئة جنيه لاصقًا إياها على جبينها ..حاول أن يجذبني لأرقص معها ..كنتُ محرجًا للغاية فلازمتُ مكاني...اقتربت الراقصة مني وكأنها ترفض ألا يرقص معها أحد...انتهت اللافتة القديمة التي كانت تعني الجلوس بالمشاريب..الآن الجلوس بالرقص ..نهضت معها ورقصتُ ..كان جسدها يهتزُّ أمامي بدلال وإغراء..نظراتُ عينيها تلين الحجر...ولكني كنتُ أرى شيئًا آخر داخلها ..أراها تعتصر من حزن دفين داخلها جعلها وجبة سهلة على مائدة أي رجل كل ليلة..رقصنا على تلك الموسيقى الصاخبة ورقص أبو الوفا بجواري..

التفت أبو الوفا خلفه فجأة وجرى ناحية أحد الأشخاص ..يبدو أنه هو...عباس أبو خطوة..ذلك الرجل العجيب البالغ من العمر



خمسين عامًا ...كان المتعارف لدي ولدى الجميع أن محترفي تحضير الجان لهم هيئتهم الخاصة ..جلباب طويل ولحية غير مهذبة وأبخرة تتصاعد حولهم في أحد البيوت المظلمة يستقبلون فيها زبائنهم من الملبوسين والممسوسين..لا أدري ..هل تغير الزمن في مصر خلال الخمسة عشر عامًا الماضية...أصبحوا يستقبلون زبائنهم بملهًى ليليٍّ..عباس أبو خطوة يشبه رجال الأعمال...يرتدي بدلة بيضاء أنيقة للغاية...لو لم يكن أبو الوفا أكد لي أنه هو الحل الوحيد عن تجربه ما كنت صدقته مطلقًا...اقترب أبو الوفا منه مُرحِّبًا به بصوتٍ عالٍ:

- أهلا أهلا أهلا بصاحب الكرامات.

- إنت فين يا بكاش ...

- شغل والله يا معلم عباس

قصدي يا عباس بيه ..تعالى.

جذبه أبو الوفا من يده ..كنت قد جلست إلى منضدتي مرة أخرى...كان الجرسون قد أحضر لنا زجاجتين من الويسكي وصب أول كأسين لنا ...قدم أبو الوفا بعضنا لبعض.

- عباس بيه اللي كلمتك عنه

أمير صاحبي وحبيبي

- أهلا أهلا شربتوا حاجة؟

- لا معلش أصلي مبشربش



- لا والله ما يحصل صوبله يا أبو الوفا.

- ملوش لزوم.

- والله أبدًا.

- اشرب بقه عشان خاطر الراجل خلي المصلحة تتم.

همس لي أبو الوفا..نظرت إلى الكأس الممتلئة أمامي ..شربتها وأنا أتألم من مذاقها الحارق بحنجرتي..نظر إلي عباس مبتسمًا:

- إنت عارف يا أستاذ أمير لولا انك

جاي من طرف الغالي أنا مكنتش قبلت

أبدًا أعمل الشغلانه دي

- ليه هو حضرتك بطلت؟

- من سنتين ربنا تاب عليا وبعدت عن

سكة الجن والأعمال والسحر والذي منه

وفتحت شركة مقاولات والحمد لله

ربنا فارجها من وسع.

نظرت إلى أبي الوفا متعجبًا وكأني أستنجد به ..ابتسم لي أبو الوفا:

- متخافش مفيش غير عباس بيه هو اللي هيحلها.

شرب عباس أول كأس ويسكي بسرعة غريبة ..يبدو أنه معتاد على ذلك...نظر إلي بجدية شديدة وكأنه سيشرح لي خطة أمنية سرية للغاية:



- شوف يا أستاذ أمير أنا أبو الوفا حكالي

على كل حاجة

ومن غير رغي كتير ..الجلسة هتبقى

عندك في البيت ...

لمؤاخذه إنت عندك كام سنة؟

- ٣٩.

- وإنت يا أبو الوفا؟

- ٣٩ برضه.

- تمام مطلوب شابين كمان في التلاتينات

كده برضه وبنت عذراء.

- سنها كام؟

سأله أبو الوفا.

- مش فارقة المهم تكون عذراء.

- ليه؟

سألته متعجبًا.

- أنا مبحبش الأسئله الكتير ...نفذ اللي

بطلبه من غير نقاش ...



رد بصرامة شديدة...ساد الصمت للحظات ...حاول أبو الوفا تلطيف الجو بيننا:

- أوامرك يا عباس بيه.

أخرج ورقة صغيرة من جيبه ناول أبا الوفا إياها:

- دي ورقة بطلبات هتجيبها يا أبو الوفا وتجهزها.

- حاضر.

- ميعادنا بكره بعد صلاه المغرب على طول يلا سلاموا عليكوا.

- وعليكم السلام، اتفضل يا عباس بيه.

- حساب الناس دي عندي.

قالها للجرسون وانصرف.

- منتحرمش منك يا عباس باشا.

كان رجلًا عجيبًا..نظرت لأبي الوفا مُستنكرًا:

- بقه الراجل ده هيعمل جلسة ويحضر فيها جن برضه؟

- أمال انت فاكر إيه يا صاحبي ...

ده كان أحسن واحد في البلد كلها قبل ما يبطل ..

- وإنت تعرفه منين؟

- من ٣ سنين اتعرفت عليه لما واحد



صاحبي زيك كده قصدنى أفكله عمل

بيخليه يشوف مراته قردة

- وفكه؟

- صاحبي دلوقتي عنده ولدين ربنا يباركله

فيهم ..وعشان تبقى عارف أنا اتفقت

معاه على نص مليون جنيه لما البيت يتباع.

- نص مليون! إنت عبيط يا أبو الوفا؟!

قلتُها بكل عصبية وحدةٍ:

- الله مش هو اللي هيخرج الجن منها!

كنت أفكر بمليون اتجاه..هل سينجح ذلك الرجل العجيب فعلا في ذلك..أم أنني أسير بالطريق الخطأ...أشعر أنني أقف في نفق مظلم أبحثُ عن أي بصيص ضوء حولي يُخرجني منه بسلام..ليس لدي خيار آخر سوى الانتظار..تنهدت ناظرًا لأبي الوفا:

- الله أعلم بقه هتخرج ولا هيقعدوا في أرابيزنا.

- طب اشرب بقه وفك كده ..ده الجو هنا مليان لعاليط.

نهض أبو الوفا مرة أخرى وانهمك في الرقص مع نفس الراقصة ..رفعت كأسًا وراء أخرى..كان طعمها يحمل مرارة غريبة، ومع ذلك كنت أشتهيها...وكأنني أشتهي المرار كالذي أنغمس فيه منذ



صغري...هناك نوعٌ من البشر هكذا..يعشقون المرار...لعبت الخمر برأسي...شعرت برقبتي تنفك من مكانها لتحرر رأسي الراغب في الهرب بعيدًا عني؛ لعله يجد جسدًا آخر وشخصًا آخر أقل مني لعنة ..ضباب كثيف ينتشر حولي ...غشاوة بيضاء تلتف حول عيني ..تَبًّا لهذا الخمر...شربت كأسًا أخرى وتبعتها بأخرى ...أصواتهم تبتعد...وكأنني خرجت من ذلك المكان لمكان آخر بعيد، ولكنه متصل بذلك الملهى بنفق ضخم ينقل أصواتهم إلى ...نظرت لأبي الوفا المنهمك في رقصه حول الراقصة العاهرة ...هناك رجلٌ آخر يُشارِكُه الرقص لا أراه جيدًا...التف ناظرًا إلي بعينين حادتين لم أنسَهما طيلة حياتي...لا يمكن أن يكون هو ..شُلَّ لساني من الصدمة، ونهضتُ واقفًا ..توقفت الأصوات من حولي...توقفت الدنيا بأكملها..توقف الجميع عن الحركة وكأنهم تحولوا إلى أصنام ثابتة...اقتربت منه غير مصدق ما أرى، بينما هو ينظر إليَّ بابتسامته الشريرة الكريهة...إنه كاظم نصر...والدي البغيض..رسول الموت في أي مكان ...ها نحن أصبحنا في متحف الشمع بمجرد رؤيته، وتحوَّلَ كل شيء حي يضج بالحياة إلى جماد يوحي بالموت والسكون ..

اقتربت منه أكثر وأنا أنظر بعينيه لأول مرة بحياتي بحدةٍ واستهزاء:

- إنت؟

- إيه موحشتكش؟!

سألته بحدةٍ والخمر تتلاعب برأسي ...حاولت التماسُك:



- إنت إزاي عايش؟

- اللي إزاي مبيموتش؟

قالها مبتسمًا مستفزًا كل شيء داخلي ...رددت عليه مستنكرًا:

- مش ممكن دول شالوك قدام عنيا

لقبرك ..مش ممكن!

- قولتلك اللي زيى مبيموتش!

نظرت بعينيه هامسًا له وسط هؤلاء الأصنام الثابتة ...

- اللي زيك لازم يموت ألف مرة.

ضحك كاظم نصر بصوته الكريه ...

- لسه مفهمتش؟

- بالعكس أنا فهمت كويس أوي

...لكن مقدرتش أطبق

أو بمعنى تاني البني آدم اللي جوايا مقدرش

- إنت لسه زى مانت ..أهبل

لم أعد أحتمل تلك التُّرهات ..

- إنت عاوز إيه؟

سادت بيننا لحظات من الصمت..تحرك كاظم بين تلك الأصنام ناظرًا إلي:



- زمان وإنت صغير قالولي علمه

قلتلهم لا مش عاوزه لا يتعلم ولا

يعرفها من أصله.

قالولى إزاي ده العلم ده هو الحياة

قولتلهم مفيش غير كاظم واحد بس

لا يمكن يكون فيه حد غيره حتى

لو كان ابنه.

قاطعته متحديًا له

- بيتهيألك إني متعلمتش ..أنا اتعلمت

للأسف اتعلمت كويس أوي كمان.

بادلني نفس التحدي:

- بيتهيألك ...مش عشان قريت كلمتين

في كام كتاب تبقى عرفت واتعلمت!

فيه حاجات كتير لا يمكن تكون

موجودة في أي كتاب.

- ونعمه العلم!

قلتُها له بكرهٍ شديدٍ مستهزئًا.



- أنا عارف إنك بتكرهني ..من صغرك

وانت بتعتبرني أسوأ حاجة في حياتك.

- كويس إنك عارف.

- بس كرهك ليَّا ميمنعش إنك ابني.

- للأسف.

- غصب عني وعنك ابني والابن بيورث أبوه.

طفح كيلي ...لم يكن هناك مكان لذلك الهدوء المصطنع الذي يحدثني به ذلك الكاظم نصر...كان عليَّ أن أُنهي ذلك الحديث ..كان عليَّ أن أخرج من تلك التهيؤات وألا أعود لها مرة أخرى مهما يكن..انفجرت به بعصبية شديدة:

- اسمع انت ميت ..في نظر الناس

والحكومه.. ميت ...والبيت هبيعه

غصب عنك هبيعه ..ده طبعًا بعد

ما أنضفه من الوساخه اللي معششه

فيه بسببك.

أصر كاظم على هدوئه وابتسامته السَّمجة

- اتأخرت...اتأخرت كتير أوي.

- اتأخرت على إيه؟



اقترب مني مُشيرًا ناحية قلبي

- بطل تمشي بقلبك وقت الجد هيسيبك غرقان.

أشار بعدها إلى رأسي:

- خليك مع دماغك ...عمرها ما

هتضحك عليك ولو سألتها دلوقتي

هتقولك أبوك عنده حق.

- مش فاهم قصدك إيه.

- هتفهم بس إوعى يفوت الأوان.

قالها مبتعدًا.

ناديته بصوتٍ عالٍ:

- استنى فهمني إتاخرت على إيه؟

حينها عادت الموسيقى كما كانت..عاد كل شيء لحاله...تعالت الضحكات وقرع الكؤوس عاليًا ...ضوضاء تصم أذني..ابتعد كاظم مختفيًا وسطهم قاذفًا بوجهي آخر كلماته...

- اسمك خلاص اتكتب في الامتحان.

ومفيش حد يقدر يمسحه

حاول تفهم يا أمير...حاول.



- استنى بقولك ...

استنى

إنت روحت فين..استنى

إنت فين ..فييييييييييين؟

كنتُ أصرخ عاليًا باحثًا عنه..صراخي لم يكن غريبًا لرواد ذلك الملهى ...يبدو أنهم تعودوا هؤلاء السكارى الصارخين مثلي..هرع أبو الوفا إلي مُربتًا على كتفي فنظرتُ إليه ..كان مبتسمًا:

- أنا اهو يا صاحبي.

- مش إنت هو ...هو ؟

ما زلت أبحث عنه في وجوه الزبائن والراقصين...سألني أبو الوفا ضاحكًا:

- مين يا عم؟

- أبويا ..أبويا كان هنا دلوقتي.

- هو الويسكى بيجيب أبهات في الأول

بس شويه وهتبقى تمام.

حاول أن يجلسني إلى المنضدة مرة أخرى ...كنت عصبيًّا للغاية

- إوعى يا أبو الوفا ...بقولك كان هنا.

- صلى ع النبي بس ...واهدى



تعالى تعالى وروق.

عـدتُ مـرة أخـرى لتلـك المنـضدة ...رفعـت كؤوسًـا لا أتـذكر عددها...غبتُ تمامًا عن الوعي ...لا أدري كيف عدتُ إلى البيت ذلـك اليوم ..من المؤكد أنني عدتُ محمولا عـلى كتفـي أبي الوفـا...لا أتـذكر سوى شيء واحد فقط..كرهي لكاظم نصر..أحمل له بغضًا يكفي لقتـل آلاف البشر...أكرهه بكل حواسي ..كـان طاغيـة حياتنـا ..أكـره ذلـك الطاغية المدمر لنا جميعًا حتى بعد موته..أبغضُ فلـسفته الحياتيـة المـصر على تطبيقها بعد أن غادر بعيدًا إلى الجحيم..ماذا يعنـي بـأن اسـمي قـد كتب بالاختبار، ولن يقوى أحد على محوه...مؤكد أنه يعني تلك المصيبة التي أعانيها الآن بسببه..تبًّا له...تبًّا لفلسفته اللعينة...فلسفة طاغية.



معركة أزلية

(اليوم الثاني عشر)

جاءت اللحظة الحاسمة...مفترق طرق بين النجاة والغرق..الجنة والنار...إما أن أنجح وإما أن أفشل للأبد دون رجعة...كل شيء كان على ما يرام كما طلب أبو خطوة ...ارتصت الشموع حمراء اللون على أرضية شقتي بالبيت الملعون، ترسل ضوءها ليشقَّ الظلام المحيط بنا.. ..جهز أبو الوفا كل شيء...لن أنسى له طيلة حياتي ما يفعله لأجلي...استطاع في وقت قياسي أن يقنع كلًّا من توفيق وأحمد سمير ويسرا سيد تلك الفتاة الممتلئة عيناها بالحزن على والدتها مثلي..تعجبت حين رأيتهم في الميعاد المحدد بعد صلاة المغرب..ظننت أنه لن يجد مُبتغاه مهما يبحث..مَنْ هذا الذي يُلقي بنفسه وسط الجان والعفاريت بسهولة..ولكن للنقود سحرًا لا يُقاوَمُ...اتفق معهم أبو الوفا على مليون جنيه لكل منهم إذا نجحت جلسة الجان..صارحهم بالأمر كا هو..ووافقته على ذلك حين اتصل بي ليبلغني بالاتفاق...فثمن البيت



تعدى الخمسة عشر مليونًا ...لن يضرني أن أقتطع منه ٣ لمن يساعدونني في انتزاعه من هؤلاء الجان...تعرفت إليهم سريعًا ...الفقر يمزقهم جميعًا ويعتصرهم ..يبدو ذلك واضحًا من الوهلة الأولى التي تنظر إليهم فيها...اعتبرها توفيق الفرصة الأخيرة له وليسرا ليعيشا معًا حياة رغدة ..ليعبر بها من ذلك الفقر المغرق ..لم يكن لي حيلة بأي شيء ...لستُ واثقا بنجاح تلك الجلسة، ولكنها الفرصة الأخيرة لي أنا أيضًا..

جلسنا نحن الخمسة حول ذلك العباس أبي خطوة بمنتصف الصالة، وسط ذلك الجو المرعب من الشموع الحمراء المحيطة بنا..ساد الصمت حولنا والرعب يتلاعب بقلوبنا ..نرتجف ونرتجف ونرتجف، ولكننا نحاول أن نبدو متماسكين...لا تسمع سوى صوت تلك الشموع المحترقة حولنا وصوت ضربات قلوبنا الممتزجة بالحذر..

بدأت الجلسة ...بدأ عباس أبو خطوة يقرأ تعاويذه المرعبة ...صوته يكاد يختطف قلوبنا بعيدًا ...كتمنا أنفاسنا محاولين الإمساك بقلوبنا حتى لا تقفز خارجنا ونموت رُعبًا...صرخ عباس فجأة ..

- أقسمتُ عليك بيوم البعث والنشور

وبحق النور ونور النور ومدبر الأمور

إسرافيل النافخ في الصور

هاجت الجن في القبور وزعقت الشياطين بالحضور



بحق النار والنيران والبرد والوهجان

وكفة الميزان

أقسمتُ عليك بحق هذا الشراب المسحور

وتعاويذ جن النار والنور.

أعلم تلك التعويذة جيدًا...قرأتُها إحدى المرات في أحد الكتب العتيقة بذلك البدروم الملعون أسفل البيت...نصيحتي الوحيدة .. لا تقرأها بمفردك مهما تكن الضغوط..مهما يكن فضولك...مهما تكن الإغراءات...كثير من البشر يعتقدون أن تلك الكتب مجرد مُزحة...يلهون بها أكثر من اللازم...لكنهم يعبثون بنهايتهم وهم لا يعلمون..

حذارِ فهذه الكتب تحتوي على تعاويذ حقيقية..هذه الكتب متشبعة برائحة الموت

ومهما يحدث لا تنظر خلفك ...إنهم يقرؤونها معك..

كنت أشعر بهم حولنا الآن...أشعر بأنفاسهم الملتهبة...

كان أمامنا سائل أحمر أعدَّه أبو الوفا من بعض طلبات عباس أبي خطوة جلبها من العطار...

خمس كؤوس ممتلئة بذلك السائل..أصوات قلوبنا ترتجف أكثر وأكثر...

أشار لنا أبو خطوة ...



- اشربوا يا عباد الله.

امتدت أيدينا إلى الكؤوس مرتجفة..شربناها كلها دون تردد..وكأن عقولنا شُلت ..

استكمل أبو خطوة تعويذته اللعينة ...

- أقسمتُ عليك بحق سكان القبور

وسكان الجسور والخراب والدور

أقسمت عليك بتلك العذراء يسرا

بنت سيدة

أقسمت عليك بحق الشباب

أجبنا بحق هذه الأسماء وطاعتها

لديكم

أجبنا بحق هذه الأسماء وطاعتها لديكم

ابن زوبعه ولويعد والعفاريت الأربعه

اجبنا بحق مجيال ومهقال وعابد النار

أجبنا بحق دتهش وفقطش ودندن وندان

ويقطر وسمعان

أجبنا بحق دتهش وفقطش ودندن وندان



ويقطر وسمعان

تَبًّا لذلك العباس أبي خطوة..تلك الأسماء غاية في الخطورة...أشعرُ بالخوف الشديد من فشل تلك الجلسة حينها سننتهي للأبد..انها أسماء لشياطين ملعونة في كل كتاب قرأته...أعتى شياطين الجان..

- أقسمتُ عليك بكل خدام الجان

أجيبنا يا ملك الجان

أجيبنا يا ملك الجان

أجيبنا يا ملك الجان

أقسمت عليك أن تجيبنا يا ملك الجان

جميعنا في حالة ترقب...كرر أبو خطوة ذلك الطلب بأعلى صوته..الرعب يخيم علينا جميعًا...اهتزَّ كل شيء من حولي...وكأن هناك أحدهم يحاول وضع غشاء أسود حول عيني...تارة أرى وتارة تسودُّ الدنيا أمامي..سقطت يسرا برأسها مغشيًّا عليها على المنضدة، وتبعها توفيق وسمير في آن واحد...جحظت عيناي وشُل لساني لم أقوَ على قول أي شيء..حتى أنني لم أقوَ على النظر إليهم...كنتُ أشعرُ بهم حولي..أشعر بحرارة أجسادهم تطوف بصالة البيت..سقط أبو الوفا هو الآخر...لم أتحمل ذلك وسقطت أنا أيضًا وغِبْتُ عن الوعي..

* * *



لم أدرِ كم مَرَّ من الوقت ونحن على هذا الحال فاقدين للوعي...كل ما كان يدور برأسي قبل إغمائي بلحظات ..كيف سيحضر ملك الجان؟ هل سنراه أمامنا بشكله الحقيقي البشع حتمًا؟ هل سيتلبس أحدنا ويحدثنا من خلاله كوسيط؟ هل سيأتي بمفرده أم وسط موكبه المرعب حتمًا؟

فتحت عيني بالكاد...رائحة حريق تنفذ إلى أنفي وغالبًا هي المسؤولة عن إفاقتي...نظرت حولي...لم أكن حينها بمنزلي...كنت بمكان واسع إضاءته خافتة أشبه بالكهوف...حوائطه من الأحجار البارزة بنية اللون..مشاعل معلقة على الجدران بكل مكان، وغالبًا هي مصدر الإضاءة الوحيد..سيطر الذهول على كل حواسي ...عدد كبير من البشر حولي بتلك الساحة...الجميع يبكي بحرُقةٍ شديدة وكأنهم يكتوون بالنيران..تنسال الدموع تباعًا على وجوههم ..رجال ونساء أعمارهم متفاوتة...تحسست وجهي وجسدي لعله كابوس...هززت رأسي مرارًا وتكرارًا لعلني أفيق...كلا ...ما أراه حقيقة...بكاؤهم يزيد من رجفتي ...اخترقت زحامهم ناظرًا بوجوههم الباكية..هل تلك هي ساحة الانتظار بالجحيم..كان هناك شخص قصير القامة يرتدي السواد ..يقف عن بعد بالقرب من مدخل لطرقة معتمة لا تُري شيئًا داخلها..ممسكا بكشف من ورقة واحدة طويلة للغاية تصل لقدميه شفافة حمراء اللون أيضًا..كان ينادي منها أسماء لبشر..

- محمود السيد عبد الحميد

عجمي نصر الدين شوقي



كانوا يتحركون أمام عيني ناحية ذلك القصير الحاد العينين منهارين من البكاء ...يدخلون تلك الطُّرقة المظلمة ويختفون عن الأنظار واحدًا تلو الآخر...منتهى الرعب والرهبة...نظرت بجواري لأجد أحد الأشخاص المنهمك في البكاء فسألته ولم يجبني إلا ببكائه المتزايد:

- هو احنا فين هنا؟

هاه؟

انتوا ناس...ناس يعني بني آدمين؟

بني آدمين؟

طب بتعيطوا ليه؟

لا والله بتعيطوا ليه؟

هاه؟

حد زعلكم؟

طب اللي بينادوا عليهم دول بيروحوا فين؟

انتوا عفاريت؟

عفاريت انتوا صح؟

تصدق انا مكنتش اعرف إنكم شكلكم زينا عادي



بس إيه الدخان ده كله؟ فيه حريقه

اه لمؤاخذه ده انتم مخلوقين من نار

فاتت عليا دي.

كان مزاحي ممسوخًا ..كنتُ أحاول التغلب على الرُّعبِ الكامن داخلي...التفت حولي فرأيتهم...أبو الوفا ويسرا وتوفيق وسمير على مَقْرُبةٍ مني..جريت نحوهم ..ها قد أصبحنا نحن الخمسة معًا مجددا..استرحت قليلًا لذلك..الآن أصبحنا خمسة من بني آدم وسط هؤلاء ..شعور بالعزوة الزائفة..حقًّا إنهم يشبهوننا تمامًا، وكأنهم بشر، ولكنني أعلم جيدًا أنهم بارعين بالتنكر..لكن لماذا يبكون؟

احتضنني أبو الوفا والتفوا حولي ..سألتهم جميعًا:

- إحنا فين؟

نظر بعضنا لبعض...صرخ توفيق بعصبية:

- مكانش لازم أوافقكم على اللي في دماغكم.

حاول أبو الوفا تهدئته:

- خلاص الوقت فات.

- وقت إيه اللي فات في النيله اللي احنا

فيها دي ..إحنا باييننا تحت الأرض.

قالها ناظرًا حوله مرعوبًا، وشاركتْهُ يسرا بذلك الرعب الواضح على وجوهنا جميعًا:



- ينهار اسود...تحت الأرض!

همس لهم أبو الوفا بعصبية:

- ما تستهدوا بالله يا جدعان هو حد

ضربكم على إيديكوا ما كله كان برضاكم!

كنت أرى الدموع تصرخ بأعينهم ... مرعوبين مثلي ...إنه ذنبي أنا ليس ذنبهم...كان علي أن أتحمل وزري بمفردي..تأسفتُ لهم:

- أنا أسف يا جماعة إني ورطتكم معايا، أسف بجد

نطق حينها ذلك القصير باسمى ليصم به آذاننا...

- أمير كاظم نصر الدين.

كررها مرارًا وتكرارًا ونحن في حالة ذهول...قطعت ذهولي وقررت أن أذهب بمفردي..سأواجه قدري بمفردي مهما يكن...استوقفني توفيق بعصبية:

- استنى رايح فين.

- رايح أفهم إحنا فين.

- رجلينا على رجلك.

- لا هروح لوحدي.

قلتها ناظرًا بعينيه ..ربت على كتفه ..تجاهلت نظرات الشفقة بأعينهم وعلى رأسهم أبو الوفا واتجهت لهناك...أصوات البكاء تكاد



تصم أذني...اقتربت من ذلك قصير القامة...أشار لي بالدخول بتلك الطرقة المظلمة..كنتُ أتحسس جدرانها ..لم أكن أرى شيئًا..بعد قليل انفتح أحد الأبواب أمامي ..بقعة من النور داخله ...ترددتُ بالدخول ...لكنني فعلتُها ودخلتُ ..عليَّ أن أُكْمِلَ المشوار لنهايته..طرقة أسطوانية الشكل ...مشاعل على الجانبين من النيران...أبواب زجاجية على الجانبين ينبعث منها إضاءة حمراء اللون...مزيج عجيب من الأصوات بعضها بكاء وصراخ والبعض الآخر ضحكات خليعة وموسيقى ماجنة ..اخترقتُ طريقي للأمام إلى المجهول...

كانت الأبواب الزجاجية تخفي ما خلفها، ولكن الأصوات تدلك على ما بداخلها..حاولت التوقف عند أحد تلك الأبواب مُحاولًا أن أرى ما خلفه ...شعرت فجأة بأحدهم خلفي...أنفاسه القوية أرعبتني..التفتُ لأجد شخصًا ينظر إليَّ بعينيه الحادتين...إنه الدهار ذلك المُطارَد من القناص حسام شوكت من قبل ...ساد الصمت بيننا لحظات ...أشار إلي أن أتبعه..تبعته صامتًا لا أنطق بكلمة واحدة..مشينا قليلًا حتى فتح أمامنا أحد الأبواب..وقف بالخارج وأشار إلي بالدخول..دخلتُ وانغلق الباب خلفي ..

كانت غرفة كبيرة ممتلئة بالدخان والضباب...نظرتُ حولي أحاول رؤية أي شيء...

بالكاد استطعتُ التمييز..شاشات بعرض حوائط الغرفة بأكملها...عرش كبير ضخم بمنتصف الغرفة يجلس عليه أحد الأشخاص، لا أستطيع تمييز وجهه...الضباب شديد والإضاءة



خافتة...كان عرشه عاليًا يفصله عن أرضية الغرفة عشر درجات للأسفل..تسمَّرْتُ مكاني أنتظر مصيري..يبدو أنها نهاية المطاف..سؤال واحد فقط يخطر ببالي: هل هذا هو ملك الجان؟

نهض ذلك الرجل من مكانه..وطئت قدماه الدرجات إلى أسفل...تظهر ملامحه رويدًا رويدًا...كتمت أنفاسي حيال ذلك..إنه رجل في الستين من عمره..أبيض الشعر تمامًا...تجاعيده توسم وجهه بالعمر السحيق..مرتدٍ بدلة سوداء اللون طويلة ..اقترب مني ناطقًا اسمي مُبتسمًا ابتسامة مرعبة:

- أمير كاظم نصر الدين.

جحظت عيناي بشدة كادت أن تقفز من مكانيهما لتهرول بعيدًا غير قادرتين على تحمُّل ما تريانه ..

اقترب مني أكثر ونظر بعيني:

- أنا الجن ناصور

المتحدث الرسمي لملك الجان

كنت عاوزني في حاجة؟

* * *

حاول أبو الوفا كعادته أن يستكشف ذلك المكان الغريب ..اتَّجه إلى ذلك القصير الواقف بعيدًا بعدما ترك الكشف من يده وجلس صامتًا..تبعه الثلاثة محاولين الفهم ..لعلهم يجدون حَلًّا لما هم فيه..وما



هي إلا لحظات حتى جلس الأربعة حول ذلك القصير الجالس على كرسي من الريش ...العجيب أن ذلك القصير وضع أحدهم أمامه نارجيلة يَشُدُّ منها أنفاسه وكأنه بإحدى المقاهي بوسط البلد، وليس وسط بكاء وعويل يكفي لجنائز قرية بأكملها..

صرخ بعصبية في البكائين:

- ماتنسد يا عم النكدي والنكديه انت وهو وهو وهي

يا ستار أعوذ بالله

حاول أبو الوفا كسر الرهبة بينهم وسأله بعشمٍ واضحٍ:

- إلا دول مين يا ريس؟

أجابه القصير؟

- دول ناس نايمين.

- نايمين؟

سأله توفيق متعجبًا:

- أه نايمين ..زيكوا كده

مانتوا كمان نايمين

بس دول جم كذا مرة وبيبقوا مش عاوزين

عشان كده بيعيطوا لأننا بنجبهم غصب.

- إلا هو احنا فين هنا يا ريس؟



سأله سمير.

- إحنا هنا تحت الأرض السابعة.

- ينهار اسود ومنيل.

لطمت يسرا على وجهها.

نظر إليه توفيق مستفسرًا:

- أنا مش فاهم حاجة.

اتكأ القصير إلى الخلف وكأنه يُلقي محاضرة بإحدى الكليات:

- شوفوا يا بهوات.. شوفي يا أستاذه

الناس لما بتنام أرواحهم بتطلع من

أجسامهم بشكل جزئي يعنى نص نص كده

إحنا بقه بنجيب أرواحهم هنا عافيه

اللي بيبقى على هوانا بنشخلعه ونعيشه

كام ساعه في نعيم يبقى مش عاوز يصحى

ودول بيروحوا حته تانيه قريبه من هنا

واللي عاملنا فيها مستقيم وشريف ومحترم

بييجي هنا زي اللي حواليكم دول.

- وبتجيبوهم ليه؟



سأله توفيق مجددًا:

- أهي شغلتنا كده ..نرخم عليهم

ونقلب أحلامهم كوابيس

بندخلهم أوض ونحطلهم فيها الحاجة اللي

بيخافوا منها بالك الراجل اللي هناك ده...

أشار ناحية أحد الرجال الباكين بحرقة شديدة.

- مدير شركة شريف مبيقبلش لا رشوة

ولا عمره مد إيده على حاجة حرام.

- ونعمه الناس.

قالها توفيق ناظرًا للرجل.

تابع القصير حديثه مستهزئًا:

- بيخاف من الفيران ...

بيترعب منهم

إحنا بقه بندخله أوضه مليانه فيران كل

ليله وأحيانًا كل ليلتين تلاته.

- إشمعنى؟

سأله أبو الوفا مُتعجبًا.



- عشان الناصح بيقاوم النوم وبيفضل

يطبق يومين ورا بعض وبعدين بيتقلب

زي الفرخه الدايخه ونستلقاه إحنا على طول

- الله...طب وليه الأذيه دي؟

همس بها أبو الوفا، ولكنه استمع له:

- أهو شغلتنا كده يا أستاذه

وعينا لقينا أبهاتنا وأجدادنا كده مهمتنا

اننا يا نقرفكوا ونطلع البلا على جتتكوا

يا نظبطكوا ونروقكوا وده متوقف على

ضمير كل واحد فيكوا ..اللي ضميره

ميت يبقى يا سعده يا هناه، واللي ضميره حي

خليه ينفعه، ده مبدأ عندنا من زمان وعمرنا ما هنغيره.

ابتلعوا ريقهم بصعوبة..ماذا يخبأ لهم ذلك المكان الواقع أسفل سابع أرض ..لم يخطر ببال أي منهم ذلك الموقف الرهيب ..نظر بعضهم لبعض والحيرة والخوف بأعينهم...كان ذلك المنتظر تنفيذ حكم بالإعدام، ولكنه ليس شنقًا كالمعتاد..إنه إعدام رُعبًا...

❋ ❋ ❋



كانت الشاشات حولي تضج بمشاهد دامية..وكأنهم يصورون كل لحظاتنا بالأعلى...عاد ناصور وجلس إلى عرشه مرة أخرى، مستمتعًا بمشاهدة نشرة الأخبار بإحدى الشاشات..كنتُ صامتًا لا أقوى على المبادرة بالحديث معه..لم تكن نشرة واحدة بل كانت عدة نشرات استطعت بصعوبةٍ تفسير تلك الأصوات الممتزجة ..

- وإلى لبنان الجيش ينفذ ضربات قاضية إلى المتطرفين بعد مداهمات دامية

- اشتباكات دامية شرق صنعاء أسفرت عن مقتل ٥٥ شخصًا وأكثر من

٤٠٠ جريحًا.

- شجار عائلي بالإسكندرية يتحول إلى

جريمة دامية قُتل فيها كثير من الأبرياء.

وغيرها من الأخبار الممتزجة المشتركة في شيء واحد ..الدموية فقط...كان يضحك بهيستريا وكأنه يشاهد مشهدًا كوميديًا من أحد الأفلام..أمسك الريموت وأغلق الشاشات ماعدا واحدة ...فوجئت بما رأيته فيها..كنتُ انا والأربعة الآخرون بصالة شقتي بالبيت فاقدي الوعي وسط الشموع وعباس أبو خطوة ما زال يقرأ تعاويذه..

نهض ناصور من على عرشه وهبط الدرجات واقترب مني

- منظر بديع مش كده؟



مفيش حاجة بتعملوها بتخفي علينا.

لم أنطق بكلمه واحدة.

وضع يده على كتفي وأدارني تجاهه ونظر بعيني بحدةٍ وقوةٍ لا أنساهما مُطلقًا...

- اتفضل اطلب ...أنا سامعك.

استجمعت قواي محاولًا الدفاع عن حقي بالحياة...

- البيت...

ابتسم حينها.

- مش عارف تبيعه؟

- أيوه حضرتك.

- وهتبيعه إزاي وهو مسكون؟

- مهو حضرتك أنا هنا عشان كده

- شوف يا سيد أمير ..أنا هكون صريح

معاك لأبعد الحدود..بس انت كمان

إوعدني إنك تكون مطيع وذهنك يستقبل اللي هقولهولك.

- اتفضل يا أستاذ نصر

- ناصوووووور وبعدين أستاذ إيه



شايفنى ماسك عصايا وكتاب.

- أسف حضرتك.

- قولي ناصور بس ...عشان نبقى صحاب.

- ولا انت مش عاوز؟

- لا طبعًا ...ناصور، ناصور وبس.

كان يحاول أن يبدو حنونًا ودودًا...

- أنا هسألك سؤال ..في قانون الإيجارات

أو حتى قانون التمليك للوحدات السكنية

ينفع تطلع سكان من بيت هم ساكنينه؟

أجبته بتلقائية

- بس أنا مسكنتش حد.

- أبوك سكنهم.

قالها بمنتهى البرود وكأنه صفعني بشدة.

- نعم؟

- وإنت الوريث الوحيد لأبوك وبالتبعة

تنتقل ليك كل أفعاله وأملاكه

حاولت مجددًا الاستمرار بالدفاع عن حقي



- بس أنا عاوز البيت ومفيش ما يثبت.

قاطعني بحدة متناهية:

- إيه؟

- قصدي إيه اللي يثبت؟

- أهلا ...أهو انتم كده يابني آدمين

متعودين تاكلوا الحقوق ..إيه

هترفع علينا قضية ولا هتطلبلنا البوليس

عجزت عن الرد ...لم أوضع في موقف كهذا من قبل ..

- أنا...

قاطعني مرة أخرى بحدةٍ:

- أنا موكل أنفذلك رغباتك ...دي أوامر ملك الجان.

- يبقى متفقين ومفيش مشكلة وده جميل مش هنساه ليكم أبدًا.

قلتها بفرح شديد.

- إحنا مبنعملش جمايل ...إحنا جن عمليين.

- مش فاهم.

- قبل ما ندي أوامر بإخلاء البيت لازم نتفق الأول.

- نتفق على إيه؟



نظر إليَّ بخبث شديد..أشعر بالغدر منه بأي لحظة..من منكم تعامل مع جان من قبل..إنهم غدارون بالغريزة...

صعد إلى عرشه مرة أخرى..أمسك (ريموت) صغيرًا وضغط عليه...انفتح الباب ودخل الدهار بوجهه الحاد..

أمره ناصور بصرامة

- هاتوا الأربعة التانيين

دقائق معدودة مرت كدهر كامل وكان الأربعة هنا بجواري..نظر بعضنا لبعض والصمت يكاد يخنقنا ويعلقنا من رقابنا بالفراغ...الترقُّب والمصير هما عدوَّانا الحاليَّان..نهش الاثنان بعقولنا وقلوبنا جميعًا...

اتجه ناصور لأحد الحوائط وأخرج منه صندوقًا خشبيًّا صغيرًا ...فتحه وأخرج منه ورقة شفافة ذهبية اللون ملتفة حول بعضها البعض...فتحها وبدأ بالقراءة منها وسط ذهولنا جميعًا:

- خلق الله الجن من مارج من نار وأول

الجان هو أبانا سوميا

كان ذلك قبل خلق آدم بألفي عام

قال له الله تمنَّ ...فقال: أتمنى أن نَرَى

ولا نُرَى وأن نغيب في الثَّرى، وأن يصير كهلنا شابًّا



لبى الله له أمنيته وأسكنه الأرض، له ما يشاء فيها

ولكن أتت أمه من الجن فسدوا في الأرض

وسفكوا الدماء، فأمر الله جنوده من الملائكة

بغزو الأرض وقُتِلَ مَنْ قُتِلَ

وشُرِّدَ مَنْ شُرِّدَ وتلك كانت معركة وجود

كانت عينا ناصور مغرورقتين بالدموع..لا أدري لماذا أشفقتُ عليه هذه اللحظة وسط كل هذا الرعب والترقب ..لعلني لم أحتمل يومًا أحدًا يبكي أمامي مهما يكن...

تابع ناصور حديثه متغلبًا على دموعه مقتربًا منا ناظرًا بأعيننا واحدًا تلو الآخر:

- ملايين السنين وإحنا مشردين

مخنوقين..محرومين من الحياة والمتعة

اتحرَّم علينا نعيش على وش الأرض

اترمينا في بطنها ...أو في مناطق

معزولة خرابات مفيهاش أي مظهر من

مظاهر الحياة، حاولنا فترة

نعيش من خلال وسيط

- إزاي يعني؟



سألته بشغف شديد..كنتُ أعلم بعض ما يقوله ...قرأتُه بأحد الكتب، ولكني اعتبرته وقتها أسطورة ...ولم أصدقها..تابع ناصور حديثه:

- كلاب..قطط...تعابين...كنا بنلبسها

ونحاول نستمتع بطعم الحياة اللي اتحرمنا منها.

- كلاب وقطط؟

قالتها يسرا بخوف ورعب.

همس لها سمير متهكمًا:

- مسمعتيش تعابين ولا عادى تعابين؟

استكمل ناصور متنهدًا:

- اتعذبنا ..شوف إنت بقه لما تبقى

الحاجة قصاد عنيك ومش قادر تمد إيدك

وتاخدها وتستمتع بيها

لحد ما جيتوا انتوا

- إحنا؟

قالها توفيق متعجبًا ناظرًا إلينا.

نظر إليه ناصور:



- البني آدمين ..خلقكوا ربنا وفضلكوا

عننا وإداكم كل حاجة ..بقيتوا أسياد

على الأرض ..الأرض اللي كنا احنا

أسيادها..من غير ما نقصد حسينا إنكم

عدونا الأول ...حقدنا وغلنا عليكم

كان ديمًا بيحركنا ضدكم

مش بس لأنكم خدتم مكانا

لا.. لاننا اتسجنا جواكم

اتحكم علينا نتسجن للأبد

كل بني آدم منكم من ساعة ما بيتولد

بيتسخرله قرين من الجن

بيلازمه في كل مكان لحد ما يموت

وقتها حسينا بنعمة الحياة من تاني

لكن فضل فيه فاصل..فيه حاجز

بينا وبين الحريه.

كان ينظر لنا وكأننا أعداؤه ..أعرف تلك النظرة جيدًا...كان أبي لعنه الله ينظر بها لأمي دائمًا...



نظر ناصور إلى عيني بحدةٍ...

- انتم...محكوم علينا نفضل ملازمينكم

مشاركينكم...قرين وروح

في جسد واحد ..اتنين من ألد الأعداء

عايشين مع بعض مربوطين بحبل وريد

واحد ..منتهى القسوة

ولازم نفضل متداريين عنكم

الروح متقدرش تشوف القرين أو تحس

بيه إلا لحظه الموت

(فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ)

- ربنا يزيد من إيمانك.

همس بها سمير مُتهكِّمًا مرة أخرى.

- لكن برضه بعد موتكم بنرجع مشردين

تحت الأرض من جديد

- إيه حكاية قبل النوم دي يا جدعان!

تابع سمير تهكمه وشاركه توفيق ويسرا بذلك هامسين

- أنا بقول نصحى بقه أحسن الحلم كده بوخ.



- أنا هموت عاوزه أضحك.

صرخت فيهم هامسًا ...أنا فقط العالم بغدرهم مهما يكونوا بلحظات ضعف واضحة لأي أحد:

- اتلم انت وهو خلي الليلة تعدي على خير.

نظرت لناصور لأتأسف له:

- إحنا اسفين يا ناصور بس دي أمور قدريه ملناش يد فيها.

كان عدوانيًّا لأبعد الحدود..عيناه توحيان بأنه سيخرج سكينة ليذبحنا على الفور..

تحدث بعصبية شديدة:

- تقدروا تقولولى إيه اللي إحنا عملناه

انتوا مبتعملهوش دلوقتي؟

قتل وبتقتلوا! سرقه! نصب!

شذوذ! حروب! مجازر! بتحرقوا

البشر وهي حيه .....

دانتوا لعنتكم أضعاف أضعافنا ..

فكرنا كتير ازاي نسترد منكم حقنا

حقنا القديم ..وبدأنا نعمل تجارب



خدت سنين طويله...آلاف السنين

لحد ما وصلنا للحل، تعالوا معايا.

فتح بابًا آخر في تلك الغرفة الواسعة ..أشار إلينا لنتبعه...كانت إحدى الطُّرْقات الأخرى الممتلئة بالصراخ والضحكات الممزوجة بالعهر...ولكن امتزج معهم صوت آخر رخيم كذلك المذيع لمباراة كره قدم ...

- عادل محمد عبد المتعال بيستحمى

مصطفي عبد الحميد صوفي بيلعب كورة

إبراهيم السيد عبد المجيد بيجهز لسهرة

حمرا

فؤاد مدبولي العجمي بيسرق محفظه في

أتوبيس ١٠

نهي إمام الشربيني بتذاكر

سمير إبراهيم كامل بيشرب بيره محلية الصنع

منى توفيق شحاتة بتقتل جوزها

همس لي أبو الوفا مرعوبًا

- يخبر اسود ده احنا على عينك يا تاجر شايفينا وبيسجلولنا كمان

وصلنا لباب زجاجي آخر انفتح أمامنا لينبعث الضوء الأحمر من الداخل...دخلنا تلك الغرفة حمراء الجدران..وكأن إضاءتها تنبعث



أسفل حوائطها ..غرفة واسعة للغاية لا ترى أولها من آخرها...وكأنها مخزن كبير ممتلئة برفوف زجاجية بكل أنحائها بشكل رتيب ومنظم للغاية..كانت تلك الرفوف الكثيرة تحمل حقائب سوداء اللون بنفس الحجم ونفس الشكل...عددًا ضخمًا من الحقائب كل واحدة على رف خاص بها...كانت نظرات الفخر تملأ عيني ناصور حينها..

نظرت له وسألته بتلقائية:

- ده مصنع شنط سيمسونيت؟

انفجر حينها ناصور في هيستريا من الضحك..شاركناه بها وضحكنا جميعًا معه لا ندري لماذا هل لخوفنا منه أم لأن للضحك عدوى تجعلك تضحك غصبًا..

في أقل من ثانية انقلب وجهه مرة أخرى...كادت عيناه تقفزان من مكانها لتصفعنا جميعًا

صمتنا فجأة من الخوف...حدثنا بتهديد واضح وشراسة لا تُحتمل:

- إياكم أن تسخروا ..فهناك من فُقئت عيناه وهناك من جُنَّ عقله، وهناك من انتهى عمره ومات

نحن ملوك الجان ...محققو الرغبات

والشهوات ...محققو الملذات والمجد

في الدنيا ...يخافنا الكثيرون



يرتعبون من مجرد ذكر أسمائنا

باستطاعتنا الإطاحة بحكومات

نحول التراب إلى ذهب والحجارة إلى

جواهر وألماس ..نحن ملوك الجان

إياكم أن تسخروا وإلا سخطناكم في الحال.

خيم الصمت على رؤوسنا..بُهِتْنَا جميعًا داعين أن تنشق الأرض وتخسفنا، ولكن كيف ونحن أسفل الأرض السابعة ..أعتقد أنه ليس هناك أرض إضافية تبلعنا ...

اتجه لأحد الرفوف ونادانا:

- تعالوا ..قربوا ..متخافوش.

اقتربنا عن حذر..كان يشير لنا إلى شيء ما..رأينا اسمًا محفورًا على إحدى الحقائب...بل على كل الحقائب أسماء مختلفة...

- هاه شايفين إيه؟

العجيب أنني قرأتُ اسمي محفورًا على إحداها:

- أمير كاظم نصر الدين خفاجة.

نظرتُ له متعجبًا:

- إيه ده ...ده اسمي؟

ابتسم ناصور كالعائد لتوه من معركة هَزَمَ فيها أعداءه جملة واحدة:



- وكل واحد فيكم له جهاز من دول عليه اسمه.

- جهاز؟

قلناها بآنٍ واحد.

- جهاز الخلاص..دول بلايين البلايين من الأجهزة،

كل بني أدم له جهاز مكتوب عليه اسمه من ساعة ما بيتولد.

- بيعمل إيه الجهاز ده؟

سألته متعجبًا.

- هو ده الحل اللي توصلناله بعد آلاف

السنين ...الحل اللي هيرجعنا أسياد

الأرض من تاني ونبقى استفدنا

من أخطائنا وتجربتنا اللي فاتت.

- الجن ده عليا النعمه متكيف.

همس لى سمير بأذني كاتمًا ضحكته...الأمر لا يدعو للسخرية مطلقًا...أعلم أن الوضع أخطر مما يمكن تصديقه...عاد بنا إلى غرفته الحاوية لعرشه مرة أخرى، وجلس عليه بفرحة وفخر متناهيين ..تابع حديثه المنبئ بالمصائب:

- أعظم اختراع وصله عباقرة الجن

طاقة جباره بتمكن القرين من السيطرة



التامه على جسد الإنسان وتقود روحه إلى الهلاك

- أعوذ بالله.

كنت أشعر بالاختناق وكأنه يلف يديه حول عنقي لألفظ أنفاسي الأخيرة أمام زهوه المتجبر.

- مش بس كده بعد خروج الروح من الجسد

بيقدر القرين تطويع الطاقة المرسلة ليه

من الجهاز ويحرر نفسه في نفس اللحظة

اللي بتخرج فيها الروح ويعيش على

وش الأرض ويتمتع بالحياة من تاني.

- أنا مش فاهم حاجة.

قالها توفيق بعدما نظر إليَّ محاولًا أن يفهم ...

تابع ناصور حديثه محاولًا التوضيح أكثر وأكثر:

- ببساطه الجهاز ده بيطلع طاقة توصل

للقرين تساعده في تحرير نفسه والخروج

من جسم الإنسان ده بعد ما يقضي عليه

ويخرج روحه من جسمه في نفس لحظه تحريره.

نظر بعضنا لبعض مدركين خطورة ذلك إن كان حقيقيًّا ..كنت الوحيد المهيأ لتصديقه من كثرة ما عايشته في ذلك العالم الخفي المليء بالغموض...هبط ناصور ناحيتنا ناظرًا في أعيننا بفخر وعزة متسائلًا



- اختراع عظيم مش كده؟

بس فيه عيب واحد

عشان يتنفذ لازم بنى آدم هو اللي يشغله

الطاقة الكهرومغناطسيه عشان

يتم إرسالها محتاجة طاقة مضادة ليها

في الاتجاة ومساوية في ال..

- لمؤاخذه يعني يا سعادة الباشا الجن

هو فيه حد بيموت نفسه؟ متأخذنيش يعني الاختراع ده تبلوه

وتشربه ميته.

قالها أبو الوفا بجرأة متناهية توقعت بعدها أن يطبق ناصور برقبته ..لكنه أجابه بابتسامة صفراء بكل ثقة:

- لا فيه كتير ..وأولهم السيد كاظم نصر الدين.

- أبويا؟

صدمة جديدة تصفعني على الرغم أنني كنتُ أتوقع ذلك ..كنتُ أشعر برائحته النجسة حولي في ذلك المكان الموبوء...

تابع ناصور حديثه ناظرًا إلي:

- أيوه بدأ معانا في التنفيذ وجه هنا



قبلك كتير ...ومكتوب عليك

تورثه زي ما قولتلك...الابن بيورث أبوه.

نفس الكلمة التي رددها علي ذلك الكاظم نصر حينما غيبني الخمر بالملهى الليلي بالأمس...الابن يرث والده..تبًّا لتلك الكلمة الملعونة..رددتُ عليه بكل عصبيةٍ:

- أورث إيه؟ إنت عايزني أموت بني

آدمين ...عاوزني أقتل ...وعشان إيه

عشان الجن ترجع تسكن الأرض تاني؟

ربت ناصور على كتفي محاولًا طمأنتي:

- متخافش ده مش هيحصل إلا بعد ٤ أو ٥

أجيال الحكاية هتاخد وقت طويل أوي

يعني هتكون انت مت وشبعت موت، كلكم

هتكونوا موتوا وشبعتم موت

لم أفكر كثيرًا لأظهر رفضي...لستُ قاتلًا ولن أكون يومًا ما..آفتي في تلك الحياة هو حبي للآخرين على الرغم من انعزالي بعيدًا عنهم، فكيف يتسنى لي أن أقتلهم ولصالح من ..لصالح هؤلاء؟ استحالة.. صرخت فيه:

- لالالالا ..أنا عاوز أبيع البيت



أه إنما مش على جثث البني آدمين.

صمت الباقون وكأن المباراة بيني وبين الجان فقط ...ولكني رأيت بأعينهم الرفض مثلي..وهذا أمر طبيعي لأي إنسان يعيش على وجه الأرض ..نحن نحب الحياة..خلقنا الله هكذا وسنموت على ذلك..

نظر لنا ناصور بسرعة متناهية وهمس لنا بحدةٍ شديدةٍ:

- مش بمزاجكم ..انتوا دخلتوا اللعبه، وغصب عنكم لازم تكملوا فيها.

كنت ثابتًا رغم خوفي...ثابتًا رغم ضعف حيلتي ...

- نكمل إيه دي جرايم قتل .. قتل.

- قتل ابيض زي الكدبه البيضا كده.

قالها بمنتهى الاستفزاز لي أولًا ولنا جميعًا..تلك هي المرة الأولى التي أستمع فيها لذلك اللفظ العجيب ...قتل أبيض ...وكأنك تقتل أحد الأبراص بنعلك مثلًا..هكذا كان الأمر لديه..اقتربت منه بإصرار عجيب لا أدري كيف تجرأت إلى هذا الحد ...

- لا مش هنمد إيدينا ونقتل مهما كان التمن.

- حتى لو كان التمن ٣٠ مليون جنيه.

قذف بوجهي قنبلة أخرى ..إغراء المال ..قنبلة موقوتة لا يستطيع أحد أن يتجاهلها.

ابتلعت ريقي من الصدمة وسألته مجددًا لعلي قد استمعت بالخطأ:



- كام؟

أجابني بابتسامة المنتصر:

- ١٥ مليون مننا على ١٥ مليون تمن البيت.

- هتجيبوهم منين؟

ضحك ناصور بهيستريا على سؤالي الساذج ...اقترب مني مربتًا على كتفي وناظرًا لنا جميعًا محاولًا التودد مرة أخرى:

- وفوق كل ده ...القرين اللي عند كل

واحد فيكم مش عايزينه اعتبروه هديه

مننا ليكم ..

لحظات من الصمت تمرُّ وكأنها الدهر بأكمله...نظر بعضنا لبعض...ما زال الرفض بأعيننا ..أراه جيدًا..من السهل أن تحول إنسان إلى مجرم محترف طالما احتياجه للمال يقهره ..ولكن هناك نوع من البشر لا يُشترى بالمال...ومن حسن حظي أننا جميعًا من ذلك النوع على ما أظنُّ..نظرت لناصور بتحدٍّ شديدٍ:

- وإن قلنا لا؟

- منا قولتلك مش من حقكم تقولوا لا

مطلوب من كل واحد فيكم تنفيذ ١٠٠ عمليه ...١٠٠ روح مطلوب موتها



١٠٠ قرين مطلوب تحريرهم

وانتم خمسه ...يبقى المجموع ٥٠٠.

كان حكمًا جماعيًّا، ولكنني وكلت بالنطق به ...اتفقنا بإشارة من أعيننا جميعًا ...اقتربت منه بجسارة ووقف الأربعة خلفي يحمون ظهري ...

- اسمع يا سيد ناصور

أنا ميهمنيش إنك جني ولا اننا هنا تحت

الأرض السابعة ولا هيخوفني شكلك الحقيقي

لأني عارف انك متجسدلي في شكل بني آدم

أنا قاري كتير وفاهم عشان بس متفكرش ترعبنا

لأن ببساطة كلها شويه

وهنصحى وانت ملكش سلطان على أي

حد فينا وإلا كنتوا عرفتوا تحرروا

جنكم وبيتي انا هعرف ازاي أخرجكم

منه ...الكلام انتهى لحد كده.

- بيتهيألك



قدامكم ٢٠ يوم ..بالتمام والكمال

هتشوفوا فيهم إحنا نقدر نعمل إيه

هتشوفوا اللي بيقف ضدنا بيحصله إيه

وهرجعلكم تاني ...افتحوا الباب، افتحوا الباب.

خرج تاركًا إيانا نعاني أمواج سخريته ..خرج وانغلق الباب علينا والخوف من القادم المجهول يفترس عقولنا...هل سيتركنا حقًّا نهرب برفضنا لعرضه ..أم سينفذ تهديده في العشرين يومًا القادمة..نظروا جميعًا ناحيتي وكأنهم يسألونني عما سأفعل وعما سيفعلون..وهل سنظل حبساء ها هنا تحت الأرض..نظراتهم تحملني ما آلت إليه أمورهم جميعًا عدا أبي الوفا اقترب مني وربت على كتفي..امتلأت الغرفة بالدخان والبخار ...ازداد بكثافة عالية للغاية..لم أشعر بأي شيء بعد ذلك إلى أن فتحت عيني بالكاد لأجد نفسي بنفس المكان على منضدتي بصالة منزلي بالبيت الملعون...الجميع حولي يفيقون وينظرون لي..عباس أبو خطوة مستمر في تعاويذه اللعينة بصوت خافت...كل ما يدور بخلدي الآن أن الأمر تخطى مشكلتي الشخصية ببيع البيت..تخطى حتى انغماس هؤلاء الأربعة بدون ذنب في مأساتي..الأمر في منتهى الخطورة مُتخطٍّ كل الحدود الممكنة...عائدًا إلى آلاف بل ملايين السنين..إنها معركة...معركة بين الإنس والجان ..معركة وجود...معركة أزلية.



ليلة الخروج

(اليوم الثاني والثلاثون)

إنها الليلة الأخيرة ...مر العشرون يومًا وأنا في عذاب مستمر بتلك الغرفة الشبيهة بالقبر الضيق تتمزق ضلوعي يومًا بعد يوم بين جدرانها...

اقترب الفجر وأنا جالس على سريري ودموعي الحارة تغرقني ... إحساس مميت أن تشعر أنك ضعيف الحيلة..لا تملك في نفسك شيئًا.. مصيرك بيد غيرك ..مأساة...

كانت بجانبي ..حبيبتي العتيقة مني السماك...جلست بجواري طوال تلك الليلة دون أن تنطق بكلمة واحدة..كان وجودها بجواري يهون ما أنا فيه...أحببت هلاوسي ووهمي بوجودها ...لأول مرة أشعر أن لتلك الجلسات اللعينة للكهرباء فائدة...

كنتُ شاردًا بكل شيء...اعترف بأنني كنت ساذجًا حين وقفت بصدري أمامهم..لا يستطيع أحد أن يقضي على الشر أو يمحوه من



الوجود...كان علي أن أفهم ذلك جيدًا...قدرنا حفر في الألواح السماوية من قبل أن نولد...تمزقنا تلك الدوامة الممسكة بأيدينا عنوة دون رحمة ...تلتف بقسوة ونلتف معها وعيوننا تقطر دمًا، ونحن مهمومون بالاختيار...الحلال والحرام...الحب والبغض..الخير والشر..دوائر مفرغة وهمية نلتف بها مسلوبي الإرادة..محاولاتنا المضنية للمقاومة تضيع هباء..

من القسوة أن تعلم أن حياتك معلقة بيد شيطان...واختيارك الوحيد المتاح لك إما أن تتحالف معه وتتشابك أيديكما وإما أن تلتف يده حول عنقك لتنتهي للأبد ...فخ محكم للغاية، ومهما تصرخ وتنازع لن يسمعك أحد أو يهتم لأمرك ... شخص واحد فقط يستمع لك .. لن تجد غيره يمد لك يده ويخرجك من ذلك الفخ اللعين.. إنه الشيطان..إنه ناصور..

ومع ذلك قاومت بأقصى ما لدي من قوة...قاومت بكل حواسي..تلك الليلة الفاصلة التي علمت بها بتلك الكارثة ..لم أنتظر كثيرًا... لم أنتظر حتى رحيل عباس أبي خطوة...جمعت كل الكتب العتيقة ذات نفس الرائحة النجسة من البدروم والبيت بأكمله .. خرجت في الساحة خارج السور العالي بالبيت وأشعلت فيها النيران... أحرقتها أمام أعين الجميع.. أمام عيني عباس أبي خطوة الذي وقف ساكنًا يشاهد النيران تلتهمها..أحرقتها كما أحرقت حياتي... أحرقت بيدي كل حرف عرفته عنهم...أملًا أن تطهرني النار من نجاستهم.. تمنيت في تلك اللحظة أن أحرق عقلي معها ..كم كنت أتوق لفقدان الذاكرة...



خرجت كالمجنون بمفردي في شوارع القاهرة أبحث عن حل لمأساتي...

بينما عاد الجميع إلى بيته ..عادت يسرا والرعب يملؤها إلى منزلها بعدما تنصل توفيق من كل وعوده لها قبل اشتراكهم بتلك المصيبة..كان ينوي الزواج بها قريبًا..قرر ليلتها أن يفترق عنها للأبد دون أن يدري أن تلك الأزمة ستجمعهما معًا مرة أخرى ...جلست بغرفتها والأوهام تسيطر على رأسها ...كانت تسمع صوت أمها رحمة الله عليها تبكي بالقرب منها...كان صوتًا مرعبًا قضت ليلتها كاملة باكية يلتهمها خوفها ..لاذت حينها بكتاب الله ..القرآن، وقرأت منه طيلة ليلتها تلك...

حاول توفيق الانتحار تلك الليلة، ولكنه تراجع بآخر لحظة..كان ضعيفًا خائفًا ...انهار باكيًا طيلة ليلته أيضًا وكأن البكاء والحزن كُتب على سكان ذلك البيت..بينما جلس أحمد سمير مخمورًا بين زجاجات بيرته طيلة الليل ممزقًا بين البكاء والضحك الهيستيري وكأنه قد جُنَّ.

كنتُ شاردًا تائهًا لا أعلم وجهتي تلك الليلة..نظرت بوجوه الناس بالشوارع مشفقًا عليهم...هذا الذي يجري ليجلب الطعام لأطفاله... وتلك الواقفة بالإشارات تمسح زجاج السيارات لتحصل على رزق أولادها بالكاد..وهذان الحبيبان الجالسان على شاطئ النيل يخططان لحياتهما بعد الزواج..من يعلم قد يكون أحدهم ضمن تلك الأسماء المطلوب تصفيتها..قد ينتهي حاضرهم ومستقبلهم دون ذنب ...صوت بعيد بداخلي يهمس لي:



- اسمع كلام ناصور.

أشعر بالاختناق كلما استمعت إلى ذلك الصوت الكريه..إنه يبرر لي كالشيطان ...

- الذنب مش ذنبك ده ذنب ابوك

وانت مفيش في إيدك الاختيار

وصوت آخر يصرخ داخلي بقوة..

- إياك تقبل وتضعف، إياك تخضع

إياك تروح في سكة التايهين.

وأنا أتمزق بين الاثنين..فكرت أن أذهب إلى الشرطة وأبلغ ..ولكن ماذا سيكتبون بالمحضر؟ جانٌّ استولى على منزلي ...هل هناك مادة في القانون تعاقب الجان..بالطبع سيعتبرونني مجنونًا ...مختلًّا عقليًّا... ومصيري بأحسن الأحوال حينها سيكون مستشفى العباسية النفسية.. تَبًّا لضعف حيلتي...نظرتُ أمامي لأرى مئذنته ...قدماي قادتاني إلى مسجد الحسين ...شعرت بالدفء بجواره..تذكرت والدتي الحبيبة عندما كانت تأتي بي إلى هنا في صغري..حاولت دومًا أن تخرجني من قذارته المتشعبة ...قذارة والدي الكريه...

كنتُ أحتاجها..أشتاق لحضنها وحمايتها..أعاني التيه منذ فقدتها ...التيه وسط تلك الدنيا بكل بشاعتها ...وسط هؤلاء الوحوش المنتمين لبني آدم بالاسم فقط...أعلم بداخلي أن ناصور يمتلك الحجة



والمنطق بجانبه..الإنسان دنس كل شيء بالأرض، وأصبح أكثر خِسَّة ودموية عنهم بالفعل ...مجرمون وقتله بكل مكان بالعالم..إرهاب يحصد آلاف الأرواح سنويًّا..دماء بكل مكان ...لهم كل الحق فيما يخططون... ولكن هناك فئة من البشر لم تنقرض بعد..أراهم في وجوه الناس هنا..طيبة القلب والصفاء والنقاء ...النور يشع من عيونهم كما كان بعيون والدتي ...هؤلاء لا يستحقون سوى أن أُقاوِم..

دخلت المسجد أتلمس الرحمة والغفران لعل الله يمد يد لي العون...

مهما لأقُلْ فلن أستطيع وصف ما شعرت به تلك اللحظة..وكأنك ترتمي بأحضان أعز الناس إليك..اكتظ المسجد بهؤلاء الربانيين ..ذوي الوجوه المطمئنة الباعثة للراحة بداخلك بمجرد النظر إليهم...كانوا يرتدون جلاليب بيضاء ويتمايلون بحلقة ذكر ...يحيطون بشيخ عجوز طاعن في العمر صوته يخترقني ليرتعش قلبي خشوعًا وتدمع عيناي عشقًا وشوقًا لذلك الشعور القديم المنسي مع الزمن ...كانوا يتمايلون حوله وبعضهم يصفق بيده مع إيقاع الإنشاد ..كلماته أتذكرها بقلبي ...

- يقول لي المعشوق لا تخشَ بعدي أبدًا

إذا أردتَ القُرب مني فنادني

أنا يا رسول الله ..إني مُغرم

أجيبك من بعد وإني جليس من

بحبك مشغول بذكرك مجنون



بحبك مشغول بذكرك مجنون

الله ...إذا إردت القرب مني فاذكرني

أنا يا رسول الله ...إني مغرم

انا يا رسول الله ..إني مغرم

انا يا رسول الله إني ...مغرم

قضيت ليلتي بينهم أتمايل وأغني معهم ..انسالت دموعي لتطهرني..

قصصت على الشيخ العجوز قصتي آملًا في نصح أو حلٍّ ينهي تلك المأساة..

تنهد الشيخ والشفقة بعينيه:

- لا حول ولا قوة إلا بالله

اللي بتحكيه ده يابني حاجة فوق الخيال

- والله يا سيدنا الشيخ حصلت.

- أنا مصدقك يابني ...الجن مذكور في القرآن والله سبحانه وتعالى أعلى

وأعلم بعباده..عباده دول مش احنا

بس ...لا فيه جن وملايكه وربك بس

هو الأعلم بيهم.



غالبت دموعي التي لم تنضب طوال تلك الليلة.

- أعمل إيه يا سيدنا الشيخ؟

- يابني ناصور ده والعياذ بالله مارد

من أقذر الشياطين وأقواهم على

الإطلاق ويهابه أغلب السحرة

لأن بطشه شديد بمن يحضره

أو يتوكل به عن طريق السحر والعياذ بالله.

- أخضعله يا مولانا؟

سألته وكأني غارق ألفظُ أنفاسي الأخيرة:

- أعوذ بالله ...لا خضوع إلا لله عز وجل..حاذر يابني ..حاذر استعيذ

بالله من الشيطان الرجيم، تحصن بالقرآن منجاك وملاذك، أنا هقولك تعمل إيه ويكون بإذن الله

فيه نجاتك إن شاء الله.

اتصلت بأبي الوفا تلك الليلة لأقنعه بفكرة الخلاص...الخلاص من الشر كما شرحها لي ذلك الشيخ... .كان أبو الوفا حزينًا للغاية تلك الليلة ..حزينًا على ضياع البيت بيد هؤلاء الجان...ذهب بصحبة الملواني زوج أخته إلى قبر أمه ليشكو إليها همَّه...تعجب الملواني كثيرًا ولكنه لم



ينطق بحرف واحد خوفًا من أبو الوفا..وفي أقل من ساعة تقابلنا أمام البيت ...ذهبنا معًا نشتري سماعات ضخمة وأسلاكًا كهربائية ..قضينا ساعات في توصيلها بكل أنحاء البيت ..وفي الصباح الباكر كان القرآن يخرج صوته من البيت عاليًا ...ذهل كل المارين حول البيت آنذاك ...كانت المرة الأولى في عمر هذا البيت يستمع فيه للقرآن ...خمس ساعات على نفس الوضع، وأبو الوفا ينظر إلي بشفقة، ولكنني كنت أظنُّ أنه الملاذ الأخير...دق الباب حينها ودخل المعلم سيد الشرنوبي ليبشرني بمشترٍ للبيت جاهز للشراء بعد أذان المغرب ..فرحت للغاية وكأن الله استجاب لي...كاد قلبي يتوقف من الفرح ...لم أكن أعلم أنه فخ جديد، لا أعلم حتى هذه اللحظة كيف دُبِّرَ بدقة وعناية من المؤكد أنه تدبيرهم هم ..إنهم يحركون كل شيء تبعًا لأغراضهم...يحركونك لاغيين إرادتك وعقلك...في نفس التوقيت تقريبًا ذهبت السيدة بتعة السيد الخاطبة إلى يسرا بمنزلها تخبرها برغبة شخص ما بالزواج منها ...لم تتردد يسرا في القبول، ربما كان انتقامًا من توفيق، وربما انتقامًا من الظروف السيئة، ولكنها وافقت وأبلغتها أنها ستجلب العريس بعد صلاة المغرب ليزورها ويتفقا على كل شيء ..أيضًا طلب الملواني من توفيق أن يزوره بنفس التوقيت ليعرض عليه (شغلانة سُقع)على حد تعبير الملواني ومكث توفيق بانتظاره ...بينما كان سمير غارِقًا في كؤوس الخمر مع تلك السائحة الهولندية الأصل البالغة من العمر ٧٠ عامًا بعدما اتصلت به وطلبت منه أن تقضي اليوم بشقته بالدور الأرضي طوال اليوم ..العجيب أن أبا الوفا لم يكن بصحبتي حينها على الرغم من اتصالي به لاستعجاله ...كنتُ راغبًا بوجوده لحظة البيع لأفي



بوعـدي لـه، وكنـت أنـوي أيـضًا أن أفي بوعـدي مـع يـسرا وتوفيـق وسمير...

كان أبو الوفا بغرفته بالمقابر يبحث عـن شيء مـا حـين زاره المعلـم نبوي شحاتة فجأة على غير موعـد ...لا أدري كيـف حـدثت الجريمـة ...كنـت بمفـردي واسـتقبلت المعلـم الـشرنوبي بالميعـاد..أخـبرني أن المشتري على وصول ..شربنا كوبين من الـشاي أعـددتها لنـا ..وغبـت بعدها عن الوعي لأفيق وأجـد جثتـه بجـواري مطعونـة بـسكين نافـذ بالصدر والشرطة حولي بكل مكان ..أدركت حينها أننـي وقعـت بفـخ نُصِبَ لي بعناية شديدة...وعلمت بعدها مـا حـدث للأربعـة الآخـرين المماثل لما حدث لي مع اختلاف الـشخص المقتـول والنتيجـة واحـدة... جريمة قتل مكتملة الأركان لكل منا..

تتابعت الأيـام أمـام عينـي ويـدها تعـانق يـدي محاولـه مواسـاتي ...تنهدت ناظرًا خارج نافذة غرفتي بالمستشفى:

- الفجر قرب يشقشق.

نظرت بعيني

- خايف؟

سقطت دموعي قهرًا ...لا أجدُ ما أُجيبها به ..أنا لست خائفًا...أنا أكاد أموتُ رُعْبًا...

ربتت على يديَّ واحتضنتهما بيديها:



- مفيش في إيدك حاجة ..الدايرة خلاص بتتقفل

صدقنى ..الحكاية عامله زي المسرح

النهارده انت قاعد بتتفرج بكره هييجي

عليك الدور والكل هيتفرج عليك

متخافش ...متختارش..متنفذش

متعيش...

موت...موت عشان تجيلي

كانت تحاول أن تقنعني بالانتحار...الشوق يملؤها تجاهي ...أعلم ذلك جيدًا..ولكنى ما زلت راغبًا في الحياة متعلقًا بها ...صرخت بوجهها باكيًا

- مش عاوز أموت

- مش عاوزني؟

نظرت بعينيها والاختيار يمزق قلبي:

- عاوزك.. بس عاوز أعيش.

كنتُ أُقاوِمُ فكرة الانتحار بكل ما لديَّ من قوة متهالكة.

- موت.

قالتها بصوت ساحر اخترقني ...شعرت حينها بحلاوة الانتحار ...لكنني قاومت ذلك بشدة:



- لا.

- عاوزاك.

- لا.

- وحشتني.

- لا.

- متبقاش ضعيف ومتردد.

- لالالالا.

صرخت بوجهها بقسوة..امتلأت عيناها بالدموع:

- إنت كداب ...كداب ...اللي بيحب حد بيروحله.

- مش هنتحر أنا ...مش ممكن أبدًا الحكاية تنتهي بالشكل ده، لسه دوري مجاش

لسه مشبعتش فرجه ...لسه

لسه معيشتش ..

انتي موتِّي غصب عنك ولو كانوا

خيروكى كنتي اختارتي انك تعيشي

حتى لو كان التمن أنا.

لحظات من الصمت المُميت مرت بيننا ...امتلأت عيناها بالدموع:





- شكرًا.

هناك من يفتح الباب ببطء...نظرت ناحيته ...اختفت منى..كانت مفاجأة متوقعة...إنه ناصور بنفسه هنا بالمستشفى...دخل وانغلق الباب وراءه..انتهت الرحلة القاسية...من السذاجة أن أسأله الآن كيف جئت إلى هنا...ومن السهل أيضا أن يعرف إجابتي...من المؤكد أنني اخترت الحياة ..تعلمت الدرس جيدًا منه دون حتى أن أعرفَ كيف جرى ذلك...كيف قتل هؤلاء الخمسة، المتهمون نحن بقتلهم؟ وكيف انتحر توفيق وسمير ويسرا ؟ أو بمعنى آخر كيف قتلوا؟ كان درسًا قاسيًا... ..سأنجو بنفسي وبصديقي المتبقي أبي الوفا...نحن ومن بعدنا الطوفان...

أُعلن أنا أمير كاظم نصر الدين موافقتي على عرض الجان، وأنا في كامل قواي العقلية..اتفقت مع أبي الوفا على ذلك دون مناقشة...إنه قرارنا النهائي...كان ذلك واضحًا للغاية بعيني بمجرد أن نظر فيهما مبتسمًا بانتصار..قررنا أن تكون هذه الليلة هي نهاية عذابنا..نهاية المأساة.. خروجًا من المأزق ..لتكن..ليلة الخروج.



تغيير مسار

(اليوم الثالث والثلاثون)

الساعة العاشرة صباحًا ...أجلس على سريري بالمستشفى للمرة الأخيرة، أودِّعُ غرفتي ...مودعًا ذلك المكان الشاهد على عذاباتي وصرخاتي ...ارتديت ملابسي التي أتيت بها إلى هنا ...كنت مستعدًّا للخروج ...كيف؟ لا أدري ...هو قال لي ذلك ..ناصور..وأنا أنفذ بدون أدنى شَكٍّ..ولن أسأل حتى ...

انفتح الباب ودخل دكتور أشرف وعلى وجهه ابتسامة بشوش لم أرها من قبل...لم يكن بمفرده...كان معه ذلك الضابط الذي أتى أبى إلى هنا منذ ٢٠ يومًا ...محمود إمام ...وجنديان...حان وقت الرحيل.. حان وقت الخروج...حان وقت انتهاء المأساة بهذه السهولة... وكأن موافقتي على عرض الجان كالسحر ينهي كل معاناة، ويعيد كل شيء كما كان ... وبغمضة عين تنقطع حبال المشنقة المجهزة لي طوال العشرين يومًا الماضية...وكأنها لم تكن..



استلم محمود إمام تقرير المستشفى الخاص بي وبأبي الوفا ..

توقعتُ ما كُتِبَ بذلك التقرير...شهادة ميلاد جديدة لنا نحن الاثنين

- السيد الأستاذ المستشار النائب ا العام

بالقاهرة تحيه طيبة وبعد

نتشرف بالإحاطة أن كلًّا من المدعو

أمير كاظم نصر الدين خفاجة

والمدعو أبي الوفا إسماعيل مندور

المتهمين في القضية رقم ٦٨٧٢

والمقيدة برقم ٢١١ جرائم قتل نفس

وبناء على كتاب سيادتكم الوارد إلينا

لفحص وعمل تقرير طبي عن حالتهما

العقلية فقد تم الفحص بمعرفة لجنة

بالمستشفى ورؤي أن حالتهما لا

تستدعي حجزهما لدينا لعدم ثبوت

إصابتهما بمرض عقلي.

ركبنا بعربة الشرطة أمام المستشفى..عيناي معلقتان بالمبنى وكأنني أول إنسان من البشر يخرج من قبره بعدما دُفن بداخله قُرابة شهر ..٢٠



يومًا من المُعاناة وتكسير الضلوع، وذلك الثعبان الأقرع الزائر لي بقبري كل يوم..جلسات الكهرباء اللعينة..تنفست الصعداء وكأنني أُولد لتوِّي من جديد..لاحظت دكتورة علا بإحدى النوافذ وكأنها تودعني...ابتعدت العربة وخرجَتْ من باب المستشفى متوجهة إلى النيابة لتكتمل حريتنا الغامضة..تبًّا لهؤلاء الجان وقدراتهم الخارقة..استطاعوا بمنتهى السهولة تلفيق جرائم قتل لنا وبنفس السهولة إخراجنا منها ...

- هذا وقد قررنا نحن إبراهيم محمود

شاهين وكيل نيابة شرق القاهرة

الإفراج عن كل من

أمير كاظم نصر

وأبي الوفا إسماعيل مندور

وذلك بعد ضم تقرير الصحة النفسية

لكل منهما وتقرير الطب الشرعي

المثبت غيابهما عن الوعي بمنوم

الومينال لحظة ارتكاب الجريمة.

تعالى امضي يا بني انت وهو

مع السلامة.



كانت تلك كلمات وكيل النيابة الأخيرة التي سطرت في مأساتنا التي تنتهي الآن..نظرت لأبي الوفا وأعيننا تملؤها الذهول لما جرى لنا تلك الأيام الماضية..

الخروج..كلمة لا يدرك معناها إلا مَنْ عانى مثلنا..وقفنا أمام باب النيابة نتنفس الصعداء بكل ما لدينا من قوة...أعيننا تدمع ...من يصدق أننا خرجنا بسلام...وُلِدْنَا من جديد...تجربة مريرة تعلمنا منها كثيرًا...كان درسًا قاسيًا...أدركنا حينها أن جملة أنا ومن بعدي الطوفان أسلوب حياة يجب على الجميع اتباعه..لم تأتِ هذه الجملة من الفراغ مُطلقًا...كنا أغبياء...إنها ببساطة غريزة متأصلة في البشر..هؤلاء من دافعنا عنهم وحاولنا إنقاذهم هم من وصمونا بالجنون دون أن يفكروا ولو لحظة بصدقنا ..لذلك قررنا من الآن أن نتبع غريزتهم...أنا ومن بعدى الطوفان..سننسى كل ما جرى لنا...سنعتبره هباء لم يكن..لن نتذكر إلا شيئًا واحدًا فقط.. البيت...البوابة الوحيدة لتحقيق أحلامنا المحبوسة طيلة أربعين عامًا تصرخ كل ليلة دون أن يبالي بها أحد..آن لها أن تخرج من محبسها ...وبأيدينا نحن ...كانت كالطير المحبوس بقفصه الحديدي لا يخرج منه إلا ليدفن بتربته الصغيرة...لكن آن له الآن أن يغير كل شيء ...آن له أن يخرج ويطير حُرًّا طليقًا...

دخلت شقتي بالبيت بعدما تركني أبو الوفا ليستريح قليلًا بمنزل أخته سناء بالحارة على اتفاق أن نتقابل بالغد ..فتحت كل النوافذ بمجرد دخولي...امتلأت الشقة بضوء الشمس ..كنتُ كذلك الطير الحاصل على حريته أخيرًا ولن يفرط فيها مهما يحدث...دخلت غرفتي



واستلقيت على سريري، وأغلقت عيني لأنام لأول مرة منذ فترة بعيدة وأنا أبتسم..

* * *

دخل أبو الوفا حارة الدرب الأحمر وسط تعجب سكانها ..كانوا ينظرون إليه وبأعينهم ذلك السؤال الذي لا يملك أبو الوفا نفسه الإجابة عنه: كيف يخرج شخص متهم بجريمة قَتْلٍ مُتلبِّسٍ بها؟

توقف أبو الوفا عند مدخل بيت أخته سناء واستدار لبعض أهالي الحارة الناظرين إليه:

- إيه يا رجاله مفيش حمد الله ع السلامة؟!

لم يجبه أحد ..وبحدته المعتادة لديهم:

- كل واحد يشوف مصلحته يلا.

انفضوا وكأنهم لم يروه...ما زال أبو الوفا يحتفظ بحدته وطباعه القاسية التي تعلمها من تجربته الحياتية، وربما ما مر به تلك الفترة زادت من قسوته أضعافًا ...

لاحظ أبو الوفا رجلًا في الأربعين من عمره جالسًا على المقهى القريب من ذلك البيت ينظر إليه من آن لآخر ..أدرك بمجرد النظر إليه أنه وجه غريب عن تلك الحارة...نظر إليه أبو الوفا شَذَرًا ودخل البيت..

استقبلته أخته سناء بفرحةٍ عارمةٍ ...عاد سَنَدُها وحِمايتُها في تلك الحياة من جديد ...لم تحزن سناء على زوجها الملواني المقتول بشقة توفيق



... كان حُزنها وقَهرُها على أخيها أبي الوفا العائل الوحيد لها ولأولادها..

جلس أبو الوفا على الطبلية الخشبية بمنتصف صالة البيت، وأسرعت سناء بإعداد الطعام له مما لَذَّ وطابَ...بينما كان الأطفال يلعبون حول أبي الوفا وهو ناظر لهم بحب وكأنهم أولاده هو ليس للملواني فيهم شيء...

جلست سناء بجواره بعدما أحضرت آخر أطباقها مُرحِّبة به ..

- يا ألف نهار ابيض.

حمد الله على سلامتك يا خويا

كُل يا حبيبى تلاقيك على لحم بطنك من ساعتها.

نظر إليها متعجبًا...كانت تردي جلبابًا ضيقًا أحمر اللون مفتوح الصدر ...

- إيه الألوانات دي يا سناء؟

- بالك يا أبو الوفا لولا الملامة كنت

زغرطت يوم ما لقوه مقتول.

انهمك أبو الوفا في الأكل بشراهة وكأنه خارج من مجاعة ...كان يجيبها وهو يأكل دون أن ينظر إليها...

- مش أخت أبو الوفا اللي تقول كده ده برضه كان جوزك.



- هو انا انسى اللي كان بيعمله فيا

ولا الضرب اللي ليل نهار وقصاد

العيال وياريته كان دكر أوي وبيصرف

على البيت ماهو على يدك انت

اللي كنت بتصرف يا خويا

- إدعيله بالرحمة

- الله يجحمه مطرح ما راح.

كانت سناء من هؤلاء النسوة التلقائيات المنتشرات بالعشوائيات لا تفكر فيما تقول مطلقًا...

همست له مرعوبة ..

- اسكت يا أبو الوفا ..البيت إياه

اللي في أول الحارة اللي اتقتل فيه

بيقولوا والعياذ بالله ربنا يجعل كلامنا

خفيف عليهم إنه مسكون بعفاريت

اللي اتقتلوا وبيسمعوا أصوات صراخ

بالليل طالعة منه وأنوار بتنور وتطفي

والعياذ بالله لا وإيه...



مرت ساعة كاملة لم تتوقف سناء عن سرد الحكايات والقصص الواردة على لسان أهالي الحارة عن البيت المسكون..بيت يسرا وتوفيق وسمير سابقًا...

لم يفاجأ أبو الوفا بذلك مطلقًا..ثلاثة قتلى في بيت واحد ...والقاتل واحد..الجان ...من الطبيعي أن يتحول البيت سكنى للعفاريت والجان يعيثون به فسادًا ليل نهار...

أعدت سناء كوبًا من الشاي وخرجت به لأبي الوفا الواقف خلف نافذة الصالة المطلة على الحارة ...

- إنما مقولتليش يا خويا خرجت ازاي وإيه اللي حصل؟

كان ذلك الرجل ما زال جالسًا على المقهى...نظر إليه أبو الوفا شاردًا مفكرًا في كينونته..

من المؤكد أنه تابع للشرطة..إنه يعرفهم جيدًا ..يشتم رائحتهم عن بُعْدٍ..إنه رجل مباحث...من غيرهم يراقب الآخرين..ولكن لماذا؟ ألم يحصلوا على براءتهم للتوِّ؟! لماذا يراقبونه؟

- أبو الوفا؟ أبو الوفا؟ يوه؟

أجابها

- هاه...أيوه يا سناء..هحكيلك..هحكيلك على كل حاجة.

لم يكن أبو الوفا الوحيد المُراقَب...كان أمير هو الآخر مراقبًا ودكتور أشرف ودكتورة علا..وضعت أنفاسهم وتحركاتهم تحت المِجهر



بشكل سريٍّ تحت قيادة القناص...كان يشُكُّ أن حل تلك الألغاز يبدأ بهم ...وكان الحل الوحيد هو المراقبة.

❋ ❋ ❋

لم أستطع النوم ...لا أدري لماذا..نهضت وأغلقت كل النوافذ مرة أخرى ...أظنُّ أنني تعودت الظلام والانطواء...عليَّ من الآن أن أتحرر من قيودي السابقة...عليَّ أن أحارب ذلك الظلام المعشش داخلي ..أعلم أنني أحتاج لوقت كبير حتى أمحو تلك الآثار العميقة داخلي ..آثار أربعين عامًا من العذاب ...

وقفت بصالة البيت أمام صورته اللعينة ...كاظم نصر...نظرت في عينيه مُتذكرًا آخر كلماته لي بأحد كوابيسي الاعتيادية:

- اسمك خلاص اتكتب في الامتحان

ومفيش حد يقدر يمسحه

حاول تفهم يا أمير...حاول.

امتلأت عيناي بالتحدي ونطقت بكلمة واحدة ...نطقت بها وأنا أزيل صورته عن الحائط وأقذفها على الأرض تحت قدميَّ

- عندك حق ...

ذلك البيت لن تُرفع فيه إلا صورة هذه المرأة الطاهرة الحبيبة ... صورة والدتي... لن يكون لك مكان من الآن حتى وإن كنت سأتبع



مسلكك القذر لأحصل على حريتي وأنجو بحياتي ...فلا أرغب في رؤيتك مجددًا ..

طرقات على الباب...تعجبت ...هل عاد أبو الوفا سريعًا ...ما زلنا بمنتصف النهار...

فتحت الباب لأجدها أمامي..إنها آخر شخص أتوقع أن أراه هنا..وليس هنا فقط..آخر شخص أتوقع رؤيته مجددًا..إنها دكتورة علا بابتسامتها الساحرة.

- دكتورة علا؟

- تسمحلي أدخل؟

- اتفضلي.

كنتُ مذهولًا من زيارتها لي بتلك السرعة...والعجيب أنها تعتذر لي عمَّا حدث لي طيلة فترة إقامتي بالمستشفى..منتهى الرقة والعذوبة أن تعتذر هاتان العينان عن شيء لم ترتكبه ...لم تكن مسؤولة عنه..إنه قدري ...وكان عليَّ أن أتحمله للنهاية ...

حاولتُ إقناعها بذلك ولكنها قاطعتني:

- انا مش بس جايه عشان أعتذرلك على اللي فات...

- يا دكتورة إنتي مالكيش ذنب

ده نظام علاج وانتي كنتي بتتطبقيه



- لا أبدًا انا طلبت منع جلسات الكهربا
عن كل المرضى لأني شايفه انها
أسلوب غير آدمي خصوصًا إنه بيتم
استخدامه غلط وبشكل يئذي المريض
أكتر من نفعه ليه.

- أنا خلاص رميت كل ده ورا ضهري.

كنت ممتنًّا للغاية لذلك الاعتذار حتى وان كنت لا أحتاجه...يكفي زيارتها واهتمامها بي..

ابتسمت ناظرة إلى عيني:

- هايل ...أقولك بقه عن السبب
الأساسى اللي خلانى أجيلك دلوقتي.

- اتفضلي.

- أنا مصدقاك، مصدقاك ومصدقه موضوع الجن.

قالتها هامسة وكأنها تخاف أن يستمع لنا الجان..ابتسمت مستهزئًا:

- ده كلام تخريف يا دكتورة مش حقيقي.

امتدت يدها وأمسكت كتفي ...نظرت إلى عيني وكأنها تواسيني:

- أمير متخفش أنا عارفه إن ده حقيقي



..لم أتوقع قط ذلك الحوار الدائر بيننا ... سألتها متعجبًا:

- عارفه منين؟

- أنا رسالة الدكتوراه بتاعتي عن علاقة

الجن بالمرض النفسي ودرست حالات

كتير جدًّا من اللي بيشتكوا بالمس سمعتهم وصدقتهم ..

تنهدت بحرقة شديدة...كنتُ كالغارق بدوامة عنيفة، ومع ذلك لا يرغب في أن يشاركه أحد بالغرق..نظرت لها مشفقًا عليها:

- طب ابعدي..ابعدي على قد ما تقدري.

- ليه؟ طلب منك إيه تاني

رغبت بقوة في إبعادها..لن أخبرها بشيء...ما ذنب تلك الفتاة الرقيقة أن تنغرز في أنجس وأسوأ قصه بالتاريخ...جاوبتها نافيًا

- ولا حاجة ...من ساعتها مظهرليش تاني..

- أمير خليك صريح معايا ...واحكيلي.

تابعت مصممًا على إبعادها:

- اسمعي يا دكتورة ده بالنسبه لي ماضي

ماضي مش عاوز حتى افتكره

وانا دلوقتي بقيت كويس وبشهادتكم إنتوا



إن قوايا العقليه سليمه فلو سمحتي نقفل

الكلام في الموضوع ده.

رن هاتفها بتلك اللحظة..استأذنتني بالرد...كان صوتًا رخيمًا كنت أستمع إليه بالطرف الآخر بالمكالمة...

- آلو...

- دكتورة علا؟

- أيوه مين؟

- ابنك معانا ..ولو بلغتي البوليس

هنبعتهولك في شوال استني مننا

تليفون تاني

- آلو...آلو...آلو.

تبدلت ملامحها ...انتابها الذعر والرعب الشديدان..نظرتُ لها محاولًا أن أفهم:

- فيه حاجة يا دكتورة؟

- واحد بيقول إنه خطف ابني.

- يا خبر..طب إتاكدي الأول.

كانت تتصل بمنزلها للتأكد ..يداها ترتعشان، غير قادرة على التماسُك مطلقًا:



- انا سايباه مع البيبى سيتر بتاعته.

محدش بيرد في البيت

قالتها وخرجت مسرعة كالمجنونة...

استنى أنا جاي معاكي..

جريتُ وراءها وانطلقت بسيارتها الفارهة إلى منزلها جالسا بجوارها ..كانت تبكي طوال الطريق .. كنت أحاول طمأنتها زيفًا.. داعيًا من كل قلبي أن تجد ابنها بخير...

ولحسن الحظ كان بلاغًا كاذبًا...كل شيء على ما يُرام بفيلا الدكتورة علا الراقية للغاية..دخلت مهرولةً إلى الأعلى ووجدت ابنها الصغير جالسًا يلعب بجوار مُربيته النائمة بجواره...احتضنته علا بعدما عنفت تلك المربية على عدم ردها على هاتف الفيلا...تعللت بنومها..حمدت الله أنه بخير واستأذنتها بالرحيل ...

لم تتركني أرحل إلا بعد أن تناولنا فنجانًا من الشاي معًا ...كنتُ صامتًا مُحرجًا ...لم أعتد طيلة حياتي أن أدخل مكانا بهذه الفخامة وأصبح ضيفًا فيه..أشعر بأن هناك أحدهم يلف قيوده حولي ولا أقوى على النطق بأي شيء سوى تلك الابتسامة المتكلفة المرتسمة على وجهي... نهضت وصافحتها مستأذنًا مرة أخرى بالرحيل.

نفذت ابتسامتها الصافية إلى قلبي:

- أنا متشكره أوي يا أمير تعبتك معايا.



- لا أبدًا متشكرنيش يا دكتورة علا.

- قولي علا بس ...مش بحب الرسميات خالص. ...بلاش دكتورة ولا أنت مش عاوز نكون صحاب.

كانت يدها ما زالت بيدي تصافحها....كانت تشبهها...تشبه حبيبتي الراحلة ..منى السماك..نفس الروح ...تلمست ذلك بقلبي منذ أن رأيتها بالمستشفى لأول مرة ..أدركت ذلك الآن فقط.. أحببت تلك الطاقة الإيجابية المنبعثة منها.. تمنيت أن أبقى بجوارها لألملم نفسي..هل شعرت من قبل بأحد يأخذ يديك إلى بَرِّ النَّجاة؟

ابتسمتُ لها:

- لا أبدًا يا د..

- هاه...

- يا علا.

أحببتُ اسمها للغاية، وأحببت نطقي له...علا من العلا ...اسم يُشعِرُك بالرُّقي للأعلى...التطلع لما هو أفضل وأنقى..خلاصة القول كنتُ مبهورًا بها وبفيلتها...مبهورًا بكل شيء.

ابتسمت لي أكثر وأكثر وكأن أبواب الجنة تُفتح لي:

- نتعشى سوا بقه.

- لا ملوش لزوم.



- لا والله أبدا لازم ناكل سوا عشان يبقى عيش وملح.

كنت مسلوب الإرادة ..جلست دون مقاومة في حضرة ابتسامتها الساحرة...تمنيتُ أن يتوقف الزمن عند تلك اللحظات لعلها الأولى منذ زمن بعيد..

❋ ❋ ❋

انهمك حسام شوكت لفك ألغاز تلك الجرائم دون جدوى بمكتبه بالمديرية..كان يشعر أن هناك حلقة مفقودة إن وجدها سيكتمل المشهد كاملًا أمامه...استفزت تلك القضية كل حواسه البوليسية التي اكتسبها طيلة عمره...كان واثقًا أنه سيجد تلك الحلقة يومًا ما...سيجد ذلك المفتاح الذي سيدخله إلى الصندوق الأسود لتلك القضية..

دخل محمود إمام على القناص مكتبه وعلى وجهه ابتسامة عريضة لاحظها حسام...

جلس أمامه ..نظر إليه حسام بشغف كبير ..أدرك أن وراء تلك الابتسامة معلومات قيمة..كان ينتظر ذلك التقرير الخاص بدكتور أشرف ودكتورة علا الذي طلبه من محمود مُسبقًا...

نطق محمود إمام مُبتسمًا:

- أعتقد إن المعلومات اللي وصلتلها

هتغير مسار القضية بالكامل.



- الله يفتح عليك قول بسرعة، قول أنا سامعك.

- دكتورة علا السيد فاروق...

- مالها؟

- فاكر قضية القروض اللي كانت من سنة تقريبًا؟

- أه فاكرها؟

- قضية القروض دي ..اللي اتحكم

فيها على د فريد الشناوي أبو د هشام

المجني عليه واتصادرت كل أمواله فيها

وكانت سبب أساسي لحالة الضياع

اللي عاشها بعد كده كان معاه فيها

شريكين تانيين...

- مين هم؟

- صبرك عليا بس يا فندم

القروض دي كانت بقيمة مليار جنيه

اتاخدت بضمان أرض بالساحل

الشمالي قيمتها متجيش ١/٨ قيمة القرض

كان فيه حد بيساعد التلت شركا دول



من الباطن ...حد واصل وسهلهم القرض

- وطبعا القرض متسددش

- مش بس كده ..ده المشروع اللي

المفروض واخدين القرض عشانه متعملش.

- قريه سياحية؟

- بالضبط وفضلت حته أرض فاضيه

وعليها سور ويافطة وبس

البنك حجز على الأرض اللي قيمتها

طبعا أقل بكتير من المبلغ

واتسجن د فريد واتحجز على كل ممتلكاته

- مين الاتنين التانيين؟

قالها حسام بشغف شديد.

- الأولاني الدكتور نادر السلحدار

رجل أعمال ومورد أجهزه طبيه

وكان ماضي معاهم عقود

شراكه على المشروع

- مين ده؟



- ده جوز دكتورة علا الأولاني

- استنى بقه براحه عليا.

برقت عينا القناص ..شعر باقترابه من فريسته الجديدة...أمسك طرف الخيط الموصل لحل تلك الألغار...انتابه ذلك الشعور بالتفاؤل..استكمل محمود إمام بنفس الابتسامة:

- دكتورة علا كانت بتشتغل مندوبة

عنده في الشركه عجبته فاتجوزها

ونشلها من الفقر اللي كانت عايشه فيه

بعد ما امها رميتها واتجوزت

وفي ظرف سنة واحدة كان رافعها

لفوق واتعينت في مستشفى العباسية

وكانت أصغر دكتورة في المستشفى

- وجوزها ده متسجنش ليه؟

كان سؤالًا منطقيًّا للغاية وتوقع إجابته أيضًا ...

- لأنه مات في حادثه عربيه قبل ما البنك

ياخد إجراءاته

ملأت الابتسامة وجه القناص..نفس الإجابة التي توقعها ..



- وفلوسه؟

- كان كاتب كل حاجة بيع وشرا لدكتورة

علا بتاريخ قديم فمتحجزش على اي حاجة.

- الله..

ومين الشريك التالت..؟

- مش هتصدق...

- مين؟

سأله بشغف مُضاعَفٍ.

- فهمي سميح رجل الأعمال

ده نسيب دكتور أشرف أبو مراته

- أهلًا...

نهض من على مكتبه بحماس شديد يتحرك بكل أنحاء مكتبه ويستمع بتركيز لكلام النقيب محمود.

- بس ده كان شريك بالأرض بس وساوى

أموره مع البنك وخرج منها.

تنهد حسام بفرح شديد:

- يعنى علا كذبت علينا لما قالت



إنها متعرفش هشام وإن كل اللي بينها

وبينه زمالة.

- هشام كان ابن شريك جوزها وأكيد

فيه بينهم حاجات مشتركه كتير

اه..فيه معلومه كمان يا فندم عشان

أبقى خلصت.

- قول

- د فريد في السجن قال انهم كانوا

واجه للمشروع بس وان ملهومش

ذنب في اي حاجة وإنه عاوز

يعترف قدام النيابه عن الشخص

الخفي اللي ورطهم.

- واعترف؟

- مات في ليليتها مسموم في زنزانته ومحدش عرف حصلتله ازاي.

فكر القناص للحظات فرحًا بتلك الغنيمة التي توصل إليها مؤخرًا..أدرك حينها أنه على الطريق الصحيح لكشف لغز تلك الجرائم...تأكد أن حواسه البوليسية في أحسن حال ..



نظر لمحمود سائلًا إياه:

- والمليار جنيه دي راحت فين؟

- اختفت

أمسك القناص رأسه مسترجعًا تلك الغنيمة.

- يعني ٣ شركا ..واحد مات مسموم

والتاني في حادثة عربيه والتالت

خرج منها والتالت ده يبقى

نسيب دكتور أشرف وعلا كدابه

وهشام ابن فريد مات مدبوح

وفيه حد خفي

ورا كل ده ...

هاه هتقولي برضه إن ملك الجن هو

السبب؟

قالها حسام بسخرية ناظرًا لمحمود ..

- لا يا فندم ..بس أنا مش قادر

أربط الأحداث والملابسات ببعض

تنهد حسام جالسًا على مكتبه ...



- حل القضية دي يا محمود منحسر في

علا...أشرف..أبو الوفا..أمير

خليهم تحت المراقبة أما نشوف هنوصل لإيه.

- حاضر يا فندم..بعد إذنك.

تركه محمود إمام بعدما ألقى له طوق النجاة على غير عادته...ملأت الابتسامة وجهه؛ فقد اقترب نوعًا ما من حَلِّ ألغاز تلك الجرائم حتى وإن كانت المعلومات التي حصل عليها لتوِّه لا تكفي لأي شيء سوى تأكده من تلك الشبهات حول من يشكُّ بهم...

شعر القناص بالإرهاق الشديد..مرت ليالٍ كثيرة عليه بهذه القضية دون أن يغمض له جفن...حان وقت الاسترخاء حتى ولو لساعات قليلة...خرج من مكتبه بالمديرية متجهًا لبيته...اشتاق كثيرًا لزوجته وطفليه ...سيقضي تلك الليلة معهم ...

فتح باب سيارته القابعة أمام المديرية ..ابتسم متذكرًا وجهي طفليه الحبيبين..

يعلم أنهما سيستقبلانه بأحضانهما الصغيرة صارخين:

- أهلا يا سي بابا.

ملأت الابتسامة وجهه...كاد أن يركب سيارته ...فاجأه وابل من الرصاص، انطلق من إحدى الرشاشات بيد أحد الملثمين المنطلق سريعًا فوق دراجة بخارية يقودها مُلَثَّمٌ آخر...



استقرت إحداها بصدر حسام شوكت ..سقط أرضًا وانقلبت الساحة أمام المديرية لساحة قتال ...خرج بعض الجنود والضباط سريعًا من الداخل على أصوات الرصاص...أطلقوا وابلًا من الرصاص المضاد من أسلحتهم محاولين قنص الملثمين دون جدوى...تحامل القناص على نفسه ونهض كالصقر...كان يشاهدهما عن بُعْدٍ..ركب سيارته سريعًا وانطلق بها وسط تعجب الجنود والضباط المنتشرين بجواره مذهولين من تلك الجرأة لهؤلاء الملثمين..من يجرؤ على اغتيال ضابط شرطة بعقر داره..أمام مديريه الأمن ..انطلق القناص الجريح خلفهما بسرعة متناهية..أعنف مطاردة ممكن أن يتخيلها بشر...أصر القناص على ملاحقتهما على الرغم من حالته المتردية ...قد يموت ولكنه غير مبالٍ إلا بالثأر لنفسه، وإن مات سيموت بطلًا يفتخر به طفلاه طيلة حياتهما ...وابل من الرصاص المتبادل بين الطرفين..كل منهما يحاول قنص الآخر والتخلص منه..

هناك من يريد التخلص من القناص..أدرك ذلك جيدًا تلك الليلة..انه يقترب من شيء ما يزعجهم..لو كُتِبَت له الحياة بعد ذلك لن يتركهم ...صعد الملثمان بدرجتهم البخارية على الرصيف..الزحام شديد...توقف القناص بسيارته..هبط منها محاولًا اللحاق بهما على قدميه..الدماء تنساب منه ..لا تقوى قدماه على حمله أكثر من ذلك...النزف شديد للغاية...ارتمى القناص على الأرض وسط عيون المارين وتجمعاتهم حوله...غاب عن الوعي بنفس اللحظة التي تتابعت حياته أمام عينيه كشريط سينمائي ...دمعت عيناه على أطفاله وزوجته



خائفًا أن يتركهم بمفردهم بهذه الدنيا ..من يدري هل سيفيق مرة أخرى أم ستنتهي حياته عند هذا الحد؟ فقد وعيه وهو يقسم إن كتب الله له النجاة فلن يتركهما مُطلقا..هؤلاء المجهولين المرتكبين لكل تلك الجرائم...هؤلاء المخفيين وراء ستار أسود لا تراهم من خلفه..لم تكن فقط جرائم اعتيادية...بل انضمت لجرائمهم جريمة جديدة لا تُغتفر..محاوله قتل ضابط شرطة...وليس أي ضابط ...إنه القناص...ستكشف الحقائق إن عاش...ومن يدري قد يأتي أحد بعده يستكمل طريقه ومسلكه بتلك القضايا..حينها سيتطلب الأمر قناصًا جديدًا من نوع خاص يغرس مخالبه بفريسته قبل أن يتأكد حتى من شبهاتها..... سيتطلب الأمر تغيير المسار.





الحب الدفين

(اليوم الثالث والثلاثون)

غرقت ببحر عينيها الساحرتين..لا أدري كم مر من الوقت وأنا جالس أستمع لصوتها الرقيق..شردت بعيدًا وكأنني وجدت ضالَّتي ... كنتُ أبحثُ طوال عمري عمن يشبهها...أبحثُ عن حبيبتي الراحلة ..كالتائه المشرد بكل الدروب باحثًا عن مرسًى لروحي...كيف تشبهها لذلك الحد؟! أكاد أجزم أن روح حبيبتي العتيقة قد حلت بجسد جديد كتلك الأسطورة القديمة التي تحكي عن عودة الروح بأجساد مختلفة عبر الأزمنة...

هل أصابتك الرعشة من صوت امرأة من قبل؟ رعشة تثير دموعك لتسقط وأنت لا تدري لماذا؟ فقط تستمع لقلبك يصرخ من محبسه داخل صدرك ..ترتجف شوقًا..

هل أدخلتك امرأة الجنة؟ إنها نفس الجنة ..جنتها..جنه منى السماك. كنت قد تناسيتها..



اشتم عبقها حولي...عبق روحها..إن للأرواح عبقًا إن أدمنته لن تقوى أبدًا على نسيانه...نفس اللفتات...امتلأت عيناي بالدموع دون أن تلاحظ علا ذلك ..كانت مشغولة بسرد حكايتها لي ولا أدري لماذا أنا؟ ولماذا الآن؟

نظرت إلى عينيها والحسرة تملؤني ..لقد فات الوقت..يا ليتني قابلتها قبل الآن...قبل أن أسلك – مجبرًا – ذلك الطريق الأعوج دون رجعة..لا أملك سوى الصمت ...لا اختيار...في الغد القريب سأكون ملطخًا بالدماء..دماء أبرياء كُتبوا في قائمة الجِنّ اللعينة..سأنفذ بيدي أحكامًا بالإعدام دون استئناف أو نقض...

تنهدت علا وامتلأت عيناها بالدموع ..

– محدش هيفهم ازاي واحدة

زيى ضعيفه مكسوره عاشت طول

عمرها في مشاكل وماصدقت تلاقي

اللي ينقذها من كل ده حتى لو كان

قد ابوها...محدش هيفهم خوفي

إني أرجع تاني للحياه دي ومش بس

أنا لا وابنى معايا ..البوليس مش هيقدر.

نظرتُ لها وأنا أتفهم خوفها من الفقر جيدًا...ذلك المارد الذابح لكل سعادة ممكنة...المال هو محرك الكون..ولولاه لما عدتُ لذلك



البيت الملعون ومن الجائز أنني لم أعانِ ما أشعر به منذ صغري..لولا المال لما احترف كاظم نصر الأعمال السفلية...لولاه ما ماتت والدتي للتخلص من عذابها معه ..لولاه ما امتلأت الأرض بالمجرمين واللصوص من كل صنف..لولا المال لمات الشر في ذلك العالم...تنهدتُ ناظرًا لها مشفقًا علي حالها:

- كل واحد فينا جوا حياته أسرار

ميحبش حد يعرفها ولا يحس بيها.

شربت من كوب ماء كان أمامها بيديها المرتعشتين..هربت دمعة من عينيها الساحرتين، وكأن أمواجًا عاتية تطيح ببحر عينيها...تابعت حديثها بصوتها المرتعش النافذ إلى قلبي:

- أنا اتحرمت من الحب طول عمري

ولما لقيته كان فات الأوان

هشام كان إنسان رقيق... جميل

كل حاجة فيه كانت حلوه... بس

الحلو ميكملش..كان متجوز ومخلف

وحتى لو مكنش ..مكنش ينفع

أنا كمان كنت متجوزه... ونادر

مكنش أي حد..ده كان شريك أبوه



يعني مستحيل العلاقة تتم

عشت في عذاب كتير ..حاولت أبعد

حتى بعد ما مات نادر في حادثه عربيه

لقيت حاله اتشقلب وبقى بنى ادم تاني

وبرغم كل الحب اللي حبيتهوله

خفت منه... وكأنه اتبدل لواحد تاني

معرفهوش...لكن كان عندي أمل يرجع

تاني للإنسان اللي حبيته ويمكن في يوم

نتجوز... يمكن

كان يختفي بالشهور

واتفاجئ بيه قدامى في أي مكان بيهددني

ومكنتش فاهمة ليه ..كنت بشوف في

عنيه شر مشفتوش طول حياتي

.. لحد ما لقوه

مدبوح في عربيته ..راح

وراح معاه كل أمل لحب تاني.

لحظات من الصمت بيننا ...لا شيء سوى صوت ضربات قلبي المتمزق ..



قطعت ذلك الصمت وسألتها:

-طب وإيه علاقة ده بتليفونات التهديد

اللي بتجيلك؟

- مش عارفه...أنا كل اللي خبيته

انى مقولتش للبوليس العلاقة اللي

كانت بينا عشان خفت ..خصوصًا

ان مكنش حد يعرف بالعلاقة دي

أبدًا ..أنا محتاجه أرتاح أوي.

نظرت إلي وساد الصمت مرة أخرى..حاولت أن أرسم ابتسامة علي وجهي حتى لا تلاحظ دموعي المحبوسة بعيني ..تنهدت ناظرة إليَّ بابتسامتها الساحرة:

- أنا مش عارفه حكيتلك كل ده ليه

بس انا ارتحتلك وحاسه انك شبهي.

- شبهك؟

سألتُها متعجبًا.

-اه شبهي ..أرواحنا شبه بعض

انت مبتصدقش في تناسُق الأرواح ولا إيه؟



-لا أنا على استعداد أصدق أي حاجة.

- مقولتليش بقه... ملك الجن قالك إيه تاني؟

- أنا قولتلك مشفتهوش تاني بعدها

هي كانت مرة واحدة وبس.

كنتُ مُصرًّا على إبعادها عن ذلك الفخ المميت..ما ذنب ذلك الملاك أن أُدخلها عش تلك الأفاعي السامة...

-عيني في عينك كده.

التقت أعيننا ..سهم أطلقه كيوبيد مباشرة إلى قلبي وعقلي ...سيطرت على كل حواسي ...ارتبكت ..ملأني الحرج ..مددت يدى لأتلمس يدها ...صافحتها.

-الوقت اتأخر...تصبحي على خير.

خرجت وانهالت الدموع من عيني لتحرر نفسها بعيدة عن عينيها..كذلك هي الدنيا لديَّ...بالماضي تركتني ومضت...والآن تأتي متأخرة ..

ركبت تاكسي مِرَّ أمام فيلتها ..التفت ناحيتها ..كانت واقفة تبتسم وتشير إليَّ بيديها...أشرت إليها وانطلق التاكسي محملًا بأتعس رجل على وجه الأرض..

وقفت سيارة سوداء اللون بالقرب من باب الفيلا بها رجل يراقبها..أمسك تليفونه بعدما تحرك التاكسي ..



-خرج لوحده يا فندم.

- ارجع موقعك..المراقبة اتلغت

لحد ما اكلمك تاني.

- تمام يا فندم.

كان ذلك صوت محمود إمام على الجانب الآخر من المكالمة...تحرك الرجل بعدما جاءت الأوامر بإلغاء المراقبة مؤقتًا...

وقف محمود إمام في حاله يُرثى لها أمام غرفة العمليات بأحد المستشفيات التابعة لهيئة الشرطة..كان حسام شوكت بالداخل بحالة خطيرة تُجرى له عملية جراحية دقيقة لاستخراج الرصاصتين من صدره...

حالة من البكاء لم تتوقف بالخارج...زوجته نهى وطفلاه ووالده اللواء شوكت المتقاعد منذ أكثر من عشر سنوات ...الجميع يدعو له ...

خرج الطبيب من غرفة العمليات بعد طول انتظار ..سارع الجميع والتفوا حوله مترقبين أي كلمه تبعث فيهم الأمل بالنجاة...تنهد الطبيب بعدما أزال كمامته

- حالته حرجة للغاية .. إدعوله.

تركهم فريسة لقلقهم المتزايد وانصرف..انهارت نهى بالبكاء...انهالت الدموع من عيني محمود إمام ووقف صامتًا ..لاحظ



محمود وصول اللواء شاكر مدير الأمن ومعه حراسته الخاصة..اقترب اللواء شاكر وسط حالة الانهيار تلك..تحامل محمود على نفسه وأدى له التحية العسكرية..سأله شاكر:

- حد شافهم؟

- أبدًا كانوا ملثمين والموتوسيكل مكانش عليه نمر.

-عيِّن حراسه عليه ليل نهار ،يجوز اللي حاول يتخلص منه يكررها تاني وابقى طمني أول بأول يا محمود.

-أوامرك يا سيادة اللواء.

تركه شاكر واتجه للواء شوكت والد القناص الجريح..ربت على كتفه ليواسيه ناظرًا لنهى المنهارة بالبكاء.

- قلبي عندك يا سيادة اللواء،

ومدام نهي لو احتجتي أي

حاجة في أي وقت كلميني فورًا

- شكرا يا سيادة اللواء. إدعيله يقوم بالسلامة.

كان شوكت صلب كالجبل...وعلى الرغم من الدموع المحتبسة بعينيه ولكن تحسبه كالصقر الحزين على فقدان فريسته..يبدو أن القناص ورث ذلك من والده...الابن يرث والده..

انصرف اللواء شاكر ..ربت شوكت على كتف نهي بصلابة ناظرًا إلى عينيها:



- هيقوم ...هيقوم يا نهي ...حسام

جامد وهيعدى المحنة دي بصلابة.

كانت الساعة تقترب من الواحدة بعد منتصف الليل...

كنتُ قد وصلتُ إلى منزلي بالبيت الملعون..عشقت إحساسى بها تلك الليلة على الرغم من عذابي ...أغمضتُ عيني على سريري محاولا النوم ..وفي أقل من دقيقة دخلت في سبات عميق لأول مرة منذ شهر تقريبًا..منذ أن وطئت قدماي أرض ذلك البيت النجس...كنتُ أحلمُ بها ..علا..تلك الساحرة...رأيتها بفستان أبيض طويل يشبه فستان الزفاف...رقصنا معًا على أغنيتى القديمة..يا مالكًا قلبي..كانت تغنيها معي مثلما كانت تفعل منى السماك ..لا أُفرِّقُ بينهما مُطلقًا ..أشعر بأنهما نفس الشخص...نفس الروح...كان حلمًا رائعًا استمتعتُ به طوال الليل ..أعظمُ ما في النوم الأحلام..وأسوأ ما بها الكوابيس..ونومي كان سيئًا أغلب عمري ..من حقي تلك الليلة أن أستمتع بعظمة نومي..أستمتعُ بها حتى وإن كانت حلمًا..أستمتعُ بأمواج حبها المتدفق الجالب معها الحب القديم...الحب الدفين.





الصفقة

(اليوم الرابع والثلاثون)

جلسةٌ ثُنائية تلك المرة..جلسنا كالمرة السابقة على منضدة صالة منزلي بحضرة عباس أبي خطوة..كل شيء كما هو ..الشموع الحمراء تشع ضوءها الذي يشق الظلام حولنا ..غاب عنا هذه المرة هؤلاء الضحايا..ضحايا الفقر وضيق الحال..كانوا بالطبع يأملون في حياه كريمة فماتوا ..وواراهم الثَّرى كغيرهم من الحالمين بالتغيير..الدنيا كعربة طائشة إن لم تسيطر عليها قتلتك ...هذه المرة خبت الرهبة من قلبينا نحن الاثنين ...أنا وأبي الوفا ..

طلب مني ناصور بتلك الليلة التي زارني بها بالمستشفى أن أفعل ذلك..

- هستناك بكره بعد أذان العشا على طول

متهيألي إنت خلاص عرفت الطريقة



اللي تقابلنى بيها ..بقيت خبرة.

كان عباس يقرأ تعويذته الخاصة ...

- أقسمتُ عليك بيوم البعث والنشور

وبحق النور ونور النور ومدبر الأمور

إسرافيل النافخ في الصور

هاجت الجن في القبور وزعقت

الشياطين بالحضور

بحق النار والنيران والبرد والوهجان

وكفة الميزان

شربنا من كؤوسنا الممتلئة بذلك السائل الأحمر كما سبق..سائل بلون الدم... ليشهد على مولد شيطان جديد .. مولدي..نفس الحالة تعود من جديد..أحدهم يكسو عيني بغطائه الأسود...اليوم أنضمُّ إلى كتيبة الجان القاتلة...أنضمُّ أنا وصديقي دون أدنى ذنب له سوى صداقته لي..أصابته اللعنة التي أصابتني ..ولا أملك حتى أن أدفع عنه تلك اللعنة...سَبَقَ السيفُ العذل...غبنا عن الوعي وتعاويذ أبي خطوة تصمُّ أذنيَّ...

نفس المكان..ذلك الكهف الواسع تحت الأرض..نفس البكائين..وكأننا تركناهم للتوِّ...استمعنا إلى أسمائنا يدعونا ذلك القصير للدخول..مررنا بالطُّرقة الأسطوانية الممتلئة بتلك الأصوات

الممتزجة بين الصراخ والنعيم..بين الجحيم والعهر...فُتحت أمامنا كل الأبواب حتى وصلنا أمامه بالموعد المحدد..ناصور...مندوب ملك الجان.. كان على عرشه ينظر إلينا بكل زَهْوٍ وانتصار..ما زالت نفس النظرة بعينيه ..الغلبة للأقوى ...

قانون الغابة...هبط درجات عرشه مبتسمًا ..

- إحنا بنعتذرلكم عن الأيام الصعبه اللي

مريتوا بيها لكن انتم اللي اضطرتونا

لكده ..

عفا الله عما سلف ..إحنا بنبدأ

صفحه جديدة ...صفحه بيضا

وانتم اللي هتكتبوا فيها حاضركم

ومستقبلكم انتم ومش أي حد تاني

كان ينظر بأعيننا بحدةٍ وثقةٍ كالذئب المنقض على فريسته بثقة بعدما أنشب مخالبه وأنيابه بها..جاوبته بكل جدية ...

- إحنا جاهزين.

- هايل.

قالها والابتسامة تملأ وجهه..توجه إلى ذلك المكان السري بأحد الحوائط وأخرج منه جهازًا صغيرًا يُشبِهُ الأي باد..اقترب مني بنفس الابتسامة الكريهة.



- إديني كف إيدك الشمال.

ناولته يدي اليسرى بكل استسلام...وضع كفي على جهازه الصغير وكأنه يأخذ بصمة يدي ...أضاء جهازه مُعلنًا نجاح المهمة..تم أخذ البصمة بنجاح...نظر إلي بجديةٍ شديدةٍ:

- من دلوقتي أقدر أقولك مهمتك ابتدت.

- مش فاهم.

- أجهزة الخلاص فاكرينها؟

- الاختراع؟

- أيوه... دي زي ما قولتلكم قبل كده

منقدرش احنا نشغلها ..لازم إنسي

إنسي وبس ...ومن غير تفاصيل علميه

كتير كفايه عليك تعرف انها بتشتغل

وبتتبرمج على

بصمة الإيد الشمال...

تحرك مبتعدًا عنا صاعدًا أولى درجات عرشه..

- إنتم كان مطلوب منكم تحرير ٥٠٠

قرين ...ونظرًا للظروف اللي انتم مريتوا بيها ولأن كل واحد مسئول بس



عن أفعاله ...فمش مطلوب منكم

دلوقتي إلا ١٠٠ قرين بس

- ١٠٠؟

سألته متعجبًا.

التف حينها ونظر إلي.

- شوفتوا بقه إحنا طيبين ازاي

وبنقدر الظروف؟

- ونعم الجن حضرتك.

قالها أبو الوفا مبتسمًا بتصنُّع.

ساد الصمت بيننا لحظات كان يرمقنا فيها محاولًا التأكُّد من نياتنا..ملأت الفرحة عينيه بانتصاره علينا...أدرك حينها أن مملكته التي طالما حلم بها ستصبح يومًا ما أمرًا واقعًا ..سيعود الجان على سطح الأرض يحكمون بعد ذلك الدرس القاسي ...سيعودون وحينها لا وجود لنا...لا وجود للإنسان...لا مكان للبشر..

أخرج كشفًا من ذلك الورق الأحمر من الجيب السري بالحائط..أعطاني إياه بكل جدية...

- امسك ...ده كشف بالأسماء المطلوبة ..كشف بـ ١٠٠ ورقة



كل ورقة فيها اسم شخص وعنوانه

وأهم معلومات عنه هتساعدك في مهمتك.

تصفحتُ ذلك الكشف المكون من مئة ورقة..كل صفحة كُتب أعلاها اسم شخص ما...اسم الضحية وبعض المعلومات عنه...كُتبت بالحبر الأسود...نظرتُ له متسائلًا:

- وبصمة إيدي دي إيه علاقتها بالأجهزة؟

بدأ بالشرح المستفيض..أمسك بأحد تلك الأجهزة الشبيهة بالحقائب السيمسونيت...أشار إلينا إلى شاشة صغيرة شفافة بمقدمتها تحت الاسم المحفور عليها مباشرة..

- شوف ...كل جهاز من دول

فيه من قدام طبقة شفافة تحت الاسم

المحفور عليها ...هتكون متبرمجه

على بصمة إيدك ..متحطش كف

إيدك عليها إلا لحظة التنفيذ

- وهتكون إمتى اللحظة دي؟

- مكتوب عندك يوم تنفيذ كل حاله

فيهم ..يوم تحرير كل قرين

مهم جدًّا تلتزم باليوم ومتروكلك



تحدد إنت المكان واللحظة المناسبة

خد بالك إوعى حد يتعرف عليك

أو يشك فيك لأن كل الحالات اللي

هتموت دي هتكون انت معاهم

قبل موتهم بلحظات.

نظرت انا وأبو الوفا بعضنا لبعض..كرر مرة أخرى بجدية شديدة:

- نقول كمان انت اللي هتحدد لحظة

التنفيذ في كل حاله منهم ..وده طبعا لما تكون

منفرد بالشخص المطلوب في التاريخ

المكتوب عندك ومحدش راصدك وانت معاه

- وهيموتوا ازاي؟

- أول ما هتضغط ببصمة إيدك على

الجهاز الخاص به هتخرج طاقة جباره

هتنتقل للقرين الموجود جواه اللي بيها

هيقود الشخص للموت ويحرر نفسه بنفس الوقت

- هيقوده للهلاك ازاي؟

ابتسم ناصور بشدة:



- انتحار وهو ونصيبه شنق...قطع شريان

ينط من شباك أو بلكونه ..يرمي

نفسه تحت عجل عربيه ...هو ونصيبه

- وإيه المدة المطلوب فيها تحرير ال

١٠٠ قرين؟

- ١٠٠ قرين في ١٠٥ يوم عشان تاخد فرصة تشم نفسك.

- اشمعنى خمس تيام بس راحه.

- أجازات وعطلات رسمية

يوم راحة بعد أول اتين واربع تيام راحة بعد الخمسين الأولى

بكرر تاني لازم تكون منفرد بالشخص المطلوب لمصلحتك، وطبعًا متنساش تخرج بره المكان

بسرعة بعد ما تضغط على الجهاز.

- ليه؟

اقترب مني ناظرًا بعيني وكأنه يهددني:

- يفضل متشوفش لحظة الموت

لأن القرين اللي هيخرج منعزل

تمامًا عننا ومنقدرش نوصله اللي



بيحصل وأول ما هيخرج هيعتبرك

عدو ليه لو شافك قدامه وممكن يقتلك

هتسيب الجهاز جنب الشخص

المطلوب في مسافة مش أكتر من ١٠ متر.

نظرت لأبي الوفا متعجبًا وسألت ناصور مقتربًا منه:

- معلش لمؤاخذه أنا ملاحظ إن كل كلامك موجه ليا أنا هو أبو الوفا

إيه نظامه؟

- أبو الوفا إسماعيل مندور هيساعدك .

اقتربَ حينها هامسًا بأذني:

- بصراحة الميزانية مش هتسمح

دلوقتي بفلوس زياده ...

إحنا مقدمين على قرض من بنك الجن الدولي ادعيلنا يسلك

انت ابقى راضيه بأي حاجة من فلوسك.

سألته بحزم..

- الأجهزة فين؟

تحرك ناحية الجيب السري بالحائط وأخرج منه حقيبة صغيرة وناولني إياها..



- نسيت أقولك إحنا أجرنا منك

الشقتين اللي في الدور الأول والتاني

في البيت بتاعك هنعملهم مخزن

للأجهزة ...٥٠ في شقه الدور الأول

وخمسين في الدور التاني

ودول ١٠٠ ألف جنيه تمن الإيجار

متقلقش ده خارج حسابنا اللي اتفقنا عليه

١٥ مليون تمن البيت و١٣ مليون مننا

- مش كانوا ١٥ مليون منكوا؟

همس بأذني مرة أخرى:

- معلش إحنا معذورين أقف جنبنا ويبقالك

٢ مليون وعد مني هجيبهوملك لما نقبض القرض.

- تكتب شيك بكده؟

كنت جادًّا للغاية في سؤالي..نظر إليَّ بحدةٍ حينها

- أنا كلمتي شيك.

- اتفقنا.

انفتحت الأبواب ...خرج منها ناصور وهو يوصينا بآخر كلماته لنا



- مش محتاج أحذرك إنك تشغل

أي جهاز منهم بعيد عن الشخص

المكتوب اسمه عليه أو إنك

تبدل جهاز بجهاز بالغلط

الطاقة الموجهة من الجهاز للقرين

لو خرجت في اتجاه غلط هيحصل

انفجار ضخم هيكون مداه ١٠ كيلو

متر مربع هيقضي على كل شيء حي

في النطاق ده

التف حينها ونفس الابتسامة السمجة على وجهه..

- أتمنالك التوفيق.

أُغلقت الأبواب واختفى ناصور..تركنا والتحدي يملأ أعيننا...مائة وخمسة أيام ونصبح من ذوات الملايين..مائة وخمسة أيام تفصلنا عن تلك الحياة الرغدة التي طالما حلمنا بها...والثمن دماء هؤلاء الأبرياء المكتوب اسمهم هنا بذلك الكشف الدامي ...الثمن ضميري الذي سأكتم أنفاسه طوال هذه المدة...اتفاق حقير رائحته نجسة بدأه والدي الكريه، وسأكمله رغمًا عني..حياتي مقابل حياة الآخرين...بئس ذلك الاتفاق...بئس تلك..الصفقة.





كَفِّنِّى شكرًا

(اليوم الخامس والثلاثون)

الاسم : حِميدة عبد المتجلي صميدة

السن: ٥٥ عامًا،

عنوان السكن: ٣ حارة برغوت عين الصيرة

المهنة: حانوتي.

وبدأت المهمة الدامية...مائة روح ستفارق دنياها، ومائة جان سيتحررون بيدي..بتلك البصمة اللعينة...لو يعلمون ليقطعونها إربا إربا ...من الصعب ان تشعر بأنك نائب لعزرائيل..تنفذ أحكامًا بالإعدام فيمن ليس ذنب لهم ولا تربطك بهم أي صلة ..أدرك حتمًا أن البداية مؤلمة ولكني بمرور الوقت سأعتاد ..ترى هل يتألم عشماوي بكل مرة تجز حباله رقبة وروح أحدهم؟



تلك الضحية الأولى ..أمسكت ذلك الكشف وقرأت ورقته الأولى بعناية ودقة...كانت تحوي بعض المعلومات التي ستساعدني بالطبع بمهمتي وصورة صغيرة له بجوار اسمه..يا لسخرية القدر! حانوتي ...تبًّا لتلك البداية الصعبة ..كل ما أركز فيه الآن هو كيف أخترق ذلك المجتمع المحيط بذلك الحانوتي دون أن يلحظ أحد أي شيء...

تلك المعلومات تخبرني بنقطة البداية..حِميدة يرتاد أتوبيس نقل عام رقم ١٣ يوميًّا الساعة السابعة صباحًا في اتجاه محل عمله ...محل تكريم الإنسان..

كنا هناك أنا وأبو الوفا داخل الأتوبيس ننتظره بملابس صعيدية متنكرين حتى لا يعرفنا أحد...

الحذر واجب من الآن وصاعد...

حِميدة رجلٌ عجيب، على الرغم من مهنته المثيرة للتشاؤم بنفس كان رجلًا مبتسمًا مقبلًا على الحياة بشكل زائد عن الحد...

وطئت قدماه أرضية ذلك الأتوبيس الشؤم الحامل للرقم ١٣ ..نظرت له وعرفته بمجرد رؤيته...كان يرتدي بدلة ذات موديل قديم، العجيب هو لونها الأبيض الباعث على التفاؤل...حانوتي يرتدي اللون الأبيض دائمًا ...

بدأ عمله بمجرد صعوده للأتوبيس..بدأ بطريقته البدائية للدعاية لنفسه...كان يوزع شرائط على أرجل الركاب تباعًا مبتسمًا لهم:

- أي حد يتوفي عندكوا شغلوه الشريط ده في الميتم يا خوانا...ده هديه من المحل



محل تكريم الإنسان العنوان والتليفون

على ضهر الشريط تليفوني المحمول

وتليفون المحل

ألاقيش عندكوا حد عيان وقرب يتوفي

إن شاء الله ..لو حسيتوا بسكرة

الموت وحد شغل الشريط جنبكوا

إن شاء الله هتموتوا في ساعتها بإذن الله

ربنا يموتكوا بالسلامة

ربنا ياخدكوا يا رب

كلنا بنوصل بعض يا خوانا

ربنا يقدرني واوصلكوا جميعًا

راقبناه عن بُعْدٍ..كان هناك مقهى أمام محله الخاص المتوسط لشارع صغير بالسيدة زينب..جلسنا على المقهى محاولًا أن أجد طريقة لتنفيذ مهمتي بنجاح..ترك لي ناصور تحديد المكان واللحظة المناسبة ..المهم أن أنفذ اليوم ..أنفذ باللحظة التي انفرد به فيها...بالطبع لن يكون ذلك إلا لحظة دفن أحدهم أو لحظة تكفينه..ذلك ما فكرتُ به حينها ..عليَّ بتركيز تفكيري وتدبيري على هاتين اللحظتين بالذات...



- تشربوا إيه يا بلدينا؟

سألنا القهوجي.

نظرت له وبلهجة صعيدية:

- ٢ شاي حبر يا ولد العم والسكر خليه بره أصل ده مزاج عندي يا أبو خالو.

- تؤمرني يا بلدينا..أعندك اتنين شاي حبر سكر بره.

نظر لي أبو الوفا مترقبًا ...كان يعلم أن كل شيء بيدي..أنا المالك لإشارة البدء، وما عليه إلا تنفيذ الخطة الموضوعة بيدي ..

نظرتُ ناحية المحل القريب للمقهى...حِميدة يجلس إلى مكتبه الخشبي الصغير بتمام الساعة الثامنة صباحًا، وما هي إلا خمس دقائق حتى رن هاتف المحل مُعلنًا عن أول متوفٍّ ذلك اليوم ..انصرف حِميدة سريعًا تاركًا المحل لمساعده الوحيد ...كان شابًّا في العشرين من عمره، ويبدو أنه المساعد الوحيد لِحميدة:

- خلي بالك من المحل ياض ... واللي يتوفي روح اظبطه لحد ما أخلص الحتة دى ..

- حاضر يا معلم.

- توكلنا على الله.

ذلك الشاب الصغير هو مفتاح التقرب الخفي من حِميدة ..نظرتُ له وأنا أفكر ببدء الخطة..



اتصال هاتفي على تليفون المحل بزبون وهمي ...علقة ساخنة كانت من نصيب ذلك الشاب بإحدى المناطق المهجورة على يدي أبي الوفا..بالإضافة لسرقة موبايله لنقطع عليه الاتصال بالمعلم حِميدة...خطة محكمة ...على أبي الوفا تنفيذها بينما أذهب أنا سريعًا إلى البيت الملعون لأحضر جهاز الخلاص الخاص بحِميدة ...علقته بحقيبة من الخيش تخفيه تمامًا برقبتي ..دخلت أحد المراحيض العمومية ..لم يكن أحد هناك...بدَّلتُ ملابسي..تنكرت بشخصيتي الأولى الجديدة... خرجت منه بملابس مهترئة أعرج على إحدى قدمي... أحاول أن أبدو كهؤلاء المشردين بالشوارع الباحثين عن لقمة عيش بالقمامة..

اتجهتُ إلى المقهى بمفردي ...كان أبو الوفا مرتديًا نفس ملابسه الصعيدية بانتظاري بعدما أفسح لي الطريق إلى حِميدة بضربه لذلك الشاب الضحية ...تعجب أبو الوفا حين رآني وتظاهر أنه لا يعرفني .. جلست على كرسي بمفردي وصفقت بيدي ...اقترب مني القهوجي:

- أيوه جاي.

- قهوة زيادة في كوبايه قزاز.

قلتها متلعثمًا ...تخرج مني الحروف بالكاد لأبدو مُعاقًا...أتقنت تنكري للغاية ..من المستحيل لمن يراني أن يدرك أنني أمير كاظم نصر..

- قهوة زيادة كوبايه هنا.

ما زال المحل مغلقًا..علينا بالانتظار ..مرت الساعات ونحن على نفس الوضع .. والقلق يفترسنا...لم يحضر المعلم حِميدة إلى الآن



..اقتربت عقارب الساعة من الواحدة ظهرًا..ستفشل الخطة التي برأسي إن لم يظهر حِميدة قبل غروب الشمس..تساؤلات عديدة تقلقني..هل نجح مساعده الشاب في الاتصال به؟

هل أغْلقَ المحل اليوم إكرامًا لمساعده وذهب به لأحد المستشفيات ليطمئن عليه؟

هل حدث له أي مكروه؟

كنتُ خائفًا أن يموت بيدٍ أخرى غيري...

نظرت لأبي الوفا والحيرة والقلق يفترسنا...

ناديتُ القهوجي فجاءني مسرعًا:

- بقولك إيه يا بن عمي.

- نعمين يا أخينا.

- هو المعلم حِميدة قافل ليه؟

- لا إله إلَّا الله ..البقاء لله.

- مات؟

انخلع قلبي حسرة على فشل مهمتي قبل أن تبدأ...سوء حظي لم يمهلني حتى أصبح نائبًا لعزرائيل..لكنه سريعًا ألغى لي ذلك الخاطر المرعب.

- لا أنا قصدي عليك انت



- لا يا سيدي انا..

قاطعني القهوجي

- فاهم فاهم عندك ميت البقية في حياتك

- لا يا أخينا اسمع.

- انت مباحث يا باشا ولا إيه والمصحف ماليا دعوه ده مرعي هـو اللي بيوزع.

نظرت له بسخريه

- أنا راضي ذمتك ده شكل مباحث

- أنا قولت يمكن متنكر ولا حاجة

خلاصته عاوز إيه إنت صدعتنى يا جدع

إنت ومن ساعة مجيت مطلبتش غير

كوباية قهوة

- عاوز المعلم حِميدة عشان بدور على

شغل، وولاد الحلال دلوني عليه وقالولي

إنه..

قاطعني بحدةٍ شديدةٍ

- ما تنخرس بقه إيه الرغي ده مكنت تقول كده من الصبح.



شايف الجردل اللي هناك ده.. قوم خده ورش الميه دي قدام القهوه وخش نضف المبوله جوه

- إنت بتقول إيه؟

- الله مش عاوز تشتغل خش اشتغل، متخافش هنديك يوميه حلوه.

- أنا عاوز المعلم حِميدة.

- خلاص اترزع بقه لحد ما ييجي

...كان هنا الصبح تلاقيه راح

شغلانه ولا حاجة وزمانه جاي

- طب هاتلي قهوه تاني

- وعندك واحد قهوه زياده كوبايه هنا يا عطوة.

كنتُ أرى القلق بعيني أبي الوفا المرتشف لكوب من الشاي ..يبدو أنه كوبه العاشر منذ الصباح...

وأخيرًا ظهر المعلم حِميدة يفتح المحل المغلق ...نظر إليَّ أبو الوفا وكأنه ينتظر مني إشارة البدء..نهضت مناديًا القهوجي:

- حسابك كام يا ريس.

- ٥ جنيه.



- اتفضل.

تحركت ناحية فريستي الأولى...اقتربت منه كالذئب وعيناي تحملان كل معاني الغدر والخِسَّة..كان جالسًا إلى مكتبه الصغير وسط ذلك المحل الصغير للغاية..صوت المطرب عمرو دياب ينبعث من كاسيت صغير بجواره على المكتب..أغلقه سريعًا حين رآني ونهض مُرحِّبًا بي.

- سلاموا عليكوا يا معلم.

- يا أهلًا يا أهلًا ...اتفضل.

جلستُ على الكرسي المواجه لمكتبه ...وَضَعَ شريطًا من القرآن بالكاسيت ..

- البقاء لله.

- أه طبعًا.

- ع الله المتوفي يكون شبع من الدنيا.

ابتسمت له متلعثمًا ...

- الحقيقة يا معلم أنا جايلك في حاجة تانية.

- أؤمرني.

- أنا بدور على شغل وولاد الحلال قالولي عليك وعلى المعلم حِميدة.



- صدق الله العظيم.

أغلق الكاسيت وعاد صوت عمرو دياب مرة أخرى حولنا ..نظر إليَّ متفحصًا إيايَّ:

- عندك خبرات سابقة.

- لا بصراحه بس أنا بتعلم بسرعة.

- وهو كذلك ...شوف يا بني اسمك إيه الأول؟

- سيد ..سيد سيد البطيخي.

- بطيخي .....ده مش أوانك.

انهمك ضاحكًا غير مدركٍ بدنو أجله خلال الساعات القادمة ...نظرت إليه مُشفقًا عليه...لم يتبقَّ سوى أن يرن ذلك الهاتف بزبون جديد ..حينها سأنفرد به وأنفذ مهمتي بسريةٍ دون أدنى شَكٍّ ..نظر إليَّ بعدما انتهى من ضحكاته العالية:

- متقفش القافيه حكمت، إنت جيت لنصيبك، الواد اللي كان شغال

معايا طلعوا عليه ولاد الحرام من ٣

ساعات ..تليفون جاله بحته جديدة قال

يروح يخلصها قام اتربصوله

وضربوه عدموه العافيه، قال إيه كانوا



عاوزين يسرقوه، يا عيني و لو شفته

تطلع اللي في جيبك تدهوله

وخدوا تليفونه ولاد الوارمة اللي ميسواش ٢٠ جنيه

- ولاد الحرام كتروا يا معلم.

- خلاصته مهنتنا دي مهنه مميزه

بدأ في الشرح وحاولت أن أظهر له تركيزي الشديد:

- إحنا بنشوف حاجات مينفعش نحكيها أو ننطق بيها فاهمني؟

- فاهم يا معلم.

- هربطلك مهيه ٥٠٠ جنيه في الشهر، وعلى كل متوفي تجيبه نسبه ١٠ في الميه، عداني العيب كده يا عم سيد.

- تمام يا معلم.

قلتُها مُبتسمًا له:

- هتطلع معايا تتدرب لحد ما تتودك وساعتها هتبقى تطلع تغسل وتكفن لوحدك.

- تمام يا معلم.

- النهار باقيله كام ساعه ويروح والرجل

هتخف ممكن تروح وتبدأ من بكره.



- لا يا معلم أنا قاعد معاك شويه.

- طيب.

لحظات من الصمت سادت بيننا ..انشغل حِميدة بنارجيلته التي أعدها له القهوجي مسبقًا...نظرت تجاه أبي الوفا - عن بُعْدِ - المتابع لنا بشغف كبير متسائلًا عن مدى نجاحي بتلك المهمة المستحيلة..ماذا سأفعل إن لم يرن ذلك الهاتف اللعين مُعلنًا عن زبون جديد...هل أغلق ذلك المحل علينا من الخارج وأنفذ؟ كيف ذلك أمام رواد ذلك المقهى؟ منتهى الخطورة أن أنفذ بتلك الطريقة..عليَّ بالصبر..

قطع ذلك الصمت صوت جرس الهاتف ..لكنه هاتفه المحمول هذه المرة، وليس هاتف المحل...نظرت له بلهفةٍ شديدة...أغلق حِميدة الأغانى سريعًا ووضع شريط القرآن الكريم..ردَّ بصوتٍ حزينٍ:

- آلو...لا إله إلا الله ..مسافة السكه.

أغلق هاتفه ونظر إليَّ بفرح شديدٍ ولهفة ونهض ليغلق المحل:

- الخير على قدوم الواردين يا أبو السيد، يلا بينا.

- على فين يا معلم؟

- هقولك في السكة.

- هتقفل المحل يا معلم؟

- جبرت النهارده يا أبو السيد.



تحركنا معًا ...كنتُ أعرج على قدمي اليمنى لأُتقن دوري جيدًا...تحرك خلفنا أبو الوفا عن بُعْدٍ ...كنت قد طلبت منه أن يظل بالقُرب مني لعلي أحتاجه بأي شيء يفاجئني ...

- هِمْ شويه يا سيد.

- أهو يا معلم.

- محدناش بضاعة معانا يا معلم.

سألته ونحن بطريقنا بشوارع مختلفة كان هو دليلنا فيها.

- بضاعة إيه؟

- كفن ومستلزماته.

- متحطش في بالك المكان اللي رايحينه فيه كل اللازم.

نظر لتلك الحقيبة من الخيش المعلقة برقبتي المحتوية على جهاز الخلاص، وسألني عنها:

- ألا إيه الشنطة دي من ساعة ما شوفتك وانت حاططها حوالين رقبتك كده.

- لا دي فيها شويه هدوم وصور أمي الله يرحمها أحب أشيلها معايا على طول.

- الله يرحمها ...ماتت ازاي؟

- بيتنا وقع وماتت تحتيه ومن ساعتها وانا ببات على الأرصفه.

- البقية في حياتك ...ابقى نام بالليل في المحل.

- ربنا يخليك يا معلم ...ربنا يعمر بيتك.

ومن شارع لآخر...ومن حارة لأخرى، وأبو الوفا خلفنا كظلنا لا يفارقنا ..الى أن اقتربنا من مكان محاط بعربات إسعاف كثيفة...تستمع لأصوات عويل وصراخ عالية تعلو كلما اقتربنا منهم..عدد كبير من الرجال والنساء بحالة هرج ومرج حول أحد المباني...

اخترقنا زحامهم متجهين للمبنى ..صراخ النساء يصم أذني ويُضفي جَوًّا من الرَّهبة والتَّشاؤم...التفتُّ للمبنى الذي كنا نقترب منه لأقرأ لافتة:

- مشرحة زينهم.

كان من يقبع بالداخل أعدادهم كبيرة أكثر ممن بالخارج ..زحام وهرج ومرج وصراخ وعويل ودموع ..امتزجت أصواتهم الصارخة بعويل نسائهم:

- حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الله ونعم الوكيل.

- ده احنا لو كفره مش هتعملوا فينا كده.

- خلاص يا محمد ..سيبتني ومشيت يا محمد.

- حسبي الله ونعم الوكيل.

- ربنا يولع في الإخوان قادر يا كريم.



اخترقنا زحامهم بصعوبة ..كان حِميدة يبحث عن أحد ما ..أشار لنا رجل في الأربعين من عمره عن بعد ..توجهنا إليه بالكاد شاقين ذلك التكدُّس الكبير...إنه برعي عامل تلك المشرحة...صافح حِميدة بحرارة واضحة وهمس له ناظرًا إليَّ:

- مين ده؟

- ده الصبي الجديد بتاعي.

- الدنيا والعه من ييجي ساعه كده.

سأله حِميدة بشغف كبير:

- كام جثة؟

- لحد دلوقتي ٢٥ جثة.

- يا حلاوتك يا برعي إوعى تكون كلمت حد تاني؟

قالها بفرح شديد هامسًا لبرعي حتى لا يفتك به هؤلاء الصارخون:

- عيب يا حِميدة بس نسبتي محفوظة.

- طبعًا أمال إيه؟

- والجتت إيه؟

- الدكه فيها مسمار.

همس بذلك بأذنه ولكني استمعت إليه:



- كلهم؟

- كلهم...ناس بتقول طلع عليهم بلطجية وسط مظاهرة. وناس تانيه بتقول الداخلية ضربتهم.

- مش قصتنا احنا بقه ...نخش نغسل ولا إيه؟

- ما قولتلك الدكه فيها مسمار، خليك هنا لحد ما الطبيب الشرعي يخلص شغله وخش بعده.

رأيت أبا الوفا بالقرب مني بملابسه الصعيدية وسط ذلك الزحام..تظاهر بالبكاء هاتفًا بالجميع محاولًا إيجاد مبرر لوجوده بذلك المكان.

- الشعب يريد إعدام الإخوان.

- الشعب يريد إعدام الإخوان.

- الشعب يريد إعدام الإخوان.

- الشعب يريد إعدام الإخوان.

كانوا يرددون خلفه بحرقةٍ شديدةٍ.

كنا نقف بطرقة صغيرة أمام أحد الأبواب المكتوب عليها لافتة.. المشرحة ...أدركت أننا بالمحطة الأخيرة باليوم الأول لمهمتي المكونة من مائة وخمسين يومًا..بمجرد دخولنا تلك الغرفة سأنفذ على الفور .. احتضنت حقيبتي ونظرت لِحميدة وسألته:



- هو يعنى إيه الدكه فيها مسمار؟

- يعنى الوفاه فيها شبهه جنائيه

٢٥ حته يا وش السعد دي طلعه مبتجيش، إلا كل فين وفين.

كان فرحًا للغاية وكأنه ربح أضعاف أمواله بالبورصة ..تلك هي الدنيا بشر يبنون سعادتهم على تعاسة وأهوال الآخرين ...مثلي تمامًا ..

سألته مُجددًا:

- ودول بيتغسلوا ويتكفنوا في وقت واحد.

- أه وبيطلعوا بقه كل واحد على تربته زي ما أهله حابيين.

- واحنا اللي هنغسل ونكفن؟

- أيوه يا أبو السيد.

بس يخلص الطب الشرعي شغله، أصل دي حالات جنائيه بيعملوا بيها تقرير وكده.

- بالسلامة إن شاء الله.

ابتعدتُ عنه قليلًا واقتربت من أبي الوفا ..همس لي غير ناظر إلي حتى لا يلحظ أحد ...

- وبعدين؟

- هانت ...

عاد للهتاف مرة أخرى بحماسة شديدة ورددوا خلفه:



- الشعب يريد إعدام الإخوان.

- الشعب يريد إعدام الإخوان.

- الشعب يريد إعدام الإخوان.

- الشعب يريد إعدام الإخوان.

تفاجأتُ بشيء لم يكن بالحسبان...أحد المراسلين لقناة تليفزيونية استطاع الدخول بجوارنا..وقف وسط الأهالي الحزانى...وبدأ ببث مباشر لإحدى البرامج بقناته:

- نحن الآن بمشرحة زينهم وسط تجمع عدد كبير من أهالي الضحايا.

الأهالي في حالة انهيار شديد وبكاء هستيري لفقدان ذويهم ..نتابع معكم الأحداث لحظة بلحظة

ولأول مرة سننقل لكم على الهواء مباشرة تغسيل وتكفين شهداء اليوم حتى يتعظ من لا عظة له ...ويخاف من لا رادع له ...

تَبًّا لسوء حظي..سينقلون التكفين على الهواء..وكأنه كُتب عليَّ الفشل بكل شيء..اقتربت سريعًا من أبي الوفا:

- يادى النيلة هو احنا ناقصين لمه وهيصه!

- ده جايي عليا.

- اتصرف.



ابتعدتُ للخلف، وتركتُ أبا الوفا يقوم بمهمته...كنتُ أعلم أنني سأحتاج إليه دائمًا..

اتجه أبو الوفا واقترب من ذلك المراسل مُخترقًا الزحام المحيط به...أصبح مواجهًا له الآن متظاهرًا بالبكاء الشديد..لا أدري كيف سينقذني أبو الوفا ..حالة كبيرة من الترقُّب أعيشُها الآن..سأله المراسل:

- حضرتك ليك حد مات؟

- أنا؟

- أيوه.

صرخ أبو الوفا باكيًا بحُرقةٍ ناظرًا للكاميرا بلهجته الصعيدية:

- أخويا...أخويا...قتلوه ولاد الكلب، مش هسيب حقه...عاوز حقه يا حكومه.

- أخوك اسمه إيه؟

لم يجبه وتظاهر بالانهيار..

- مش هسيب حقه ..مش هسيب حقه.

لم يفعل أبو الوفا أي شيء...نظرتُ له عن بُعْدٍ فأشار إليَّ بضعف حيلته ...مأزق كبير ..اليوم يمر والنهار ينزوي بعيدًا، ومن المستحيل أن يستأنف حِميدة عمله بمكان آخر بعد ذلك العدد..من المؤكد أنه سيخلد للراحة باقي اليوم إن تبقى منه شيء...



نظرتُ حولي فلم أجد حِميدة ...كان واقفًا أمام ذلك المراسل كهؤلاء الفرحين بظهورهم أمام الكاميرات ..كان باقيًا أن يشير بيده أمام الكاميرا فرحًا بها...عليَّ أن أتحرك سريعًا ...لم يعد هناك وقتٌ للتفكير...يجب أن يخرج ذلك المراسل وكاميرته للخارج ...اخترقت الزحام حوله واقتربتُ منه ...وقفتُ بجوار حِميدة وأبي الوفا، أنظر إليه شذرًا أنتظر أن يسألني ...لكنه سأل المعلم حِميدة:

- وحضرتك؟

- لا انا حِميدة المسئول عن تكريم شهداءنا بإذن الله

- يعنى إيه؟

- أنا الحانوتي.

- أهلًا بيك...وحضرتك ملاحظ الناس دلوقتي بتموت أكتر ولا زمان؟

- زمان كان تعداد مصر ٢٠ مليون دلوقتي ٨٠ مليون.

- يعني دلوقتي أكتر.

نظر إليَّ ذلك المراسل وسألني ...الآن وقد حانت اللحظة المناسبة:

- وإنت؟

- أنا بشكر السيد الرئيس والسيد رئيس الحكومه.

قلتُها مُتلعثمًا.

- بتشكره على ايه؟

- إنت بتقول إيه يا جدع إنت؟

كنت أصرخ بأعلى ما في صوتي حتى يسمعني الجميع..

- فيه حاجة حضرتك؟

- ياخوانا الراجل ده هيصور عيالكم وهم ميتين ويتاجر بدمهم على التليفزيون، الراجل ده من قناة الجزيره يا خوانا.

أمسكه أبو الوفا حينها من ياقة قميصه بحدةٍ صارخًا فيه:

- الله يخربيوتكم ..يلعن أبوكم، إنتم السبب، طب وحياة أمك ما سايبينك.

أمسكته أنا أيضًا صارخًا بعلو صوتي وكأنني أعطي إشارة البدء لهؤلاء الناس المحروقة قلوبهم على أولادهم الموتى..

- ادوله مترحموهوش، تصور مين يا بن الوارمة؟

- أنا مراسل محترم.

- انفخوووووووووووه.

- إلحقوووووووووووووووووني.

تحول الجميع إلى صقور جارحة تتصارع على نهش ضحيتها...انهالوا عليه بالضرب المبرح..كسروا الكاميرا ..خرجت أنا وحِميدة من وسط دائرتهم وكذلك أبو الوفا بعدما أنهوا عليه تمامًا...



تخلصتُ من تلك العقبة السمجة...أنهى الطبيب الشرعي عمله وانصرف...جاء دورنا وجاءت اللحظة المُنتظرة...دخلنا إلى غرفة المشرحة العتيقة..تشتم رائحة الموت يرفرف بها..طاولات خشبية مستطيلة الشكل بكل أنحاء تلك الغرفة الواسعة...جثث مغطاة بملاءات بيضاء مُغْرَقة بالدماء ..٢٥ جثة لأعمار مختلفة ..الجميع من الرجال والشباب..للحق كنت متأثرًا للغاية..حالة من الانقباض تعصف بقلبي بمجرد دخولي لذلك المكان..عليَّ التماسك..لحظات وينتهي كل شيء...كان معنا ذلك البرعي عامل المشرحة..كنت أنتظر خروجه لأنفرد بفريستي..أشار برعي للمعلم حِميدة بأحد الأركان ..

- شوف يا معلم الأكفان والذي منه هتلاقيهم عندك هناك أهُم ..قدامك قد إيه؟

- ساعتين بإذن الكريم وأهاليهم تستلمهم.

- طيب هروح بقه أظبط معاهم.

كاد أن يخرج...ناداه حِميدة وهمس له..لم أستطع الاستماع لما همس به له...

- برعي ...

خرج برعي بعدما أشار له بالإيجاب...اقترب مني حِميدة وبعينيه الحيرة بمن يبدأ..

سألته:



- هي الناس دي هتدفع ازاي يا معلم؟

- بتدفع يا ابو السيد ...عشان يستلموه لازم يدفعوا ...

- انا أقصد حالتهم صعبة قوي وفي نفسية وحشة.

- هو انت لما بتيجى للدنيا مش بتيجى غصب عنك برضه.

- أه.

- وأهلك بيدفعوا تمن دخولك للدنيا .. بيدفعوا تمن التأشيره، صح؟

أشرت له برأسي إيجابًا.

- وهما برضه اللي بيدفعوا تمن خروجك منها اللي غصب عنك برضه.

- أه والله صحيح يا معلم.

امتلك حِميدة فلسفته الخاصة بالحياة التي توشك أن تصبح ماضيًا وتوارى تحت الثَّرى كغيره ممن سبقوه من البشر...ابتسم حِميدة لي:

- ياض الدنيا دي متسواش داخلين فيها في لفة وخارجين في لفة وجواها بناخدلنا لفة.

- والله بتقول حكم يا معلم.

- طب يالا بقه أحسن ورانا شغل كتير وسيب ام الشنطة دي بقه عشان نشتغل.



- حالًا يا معلم ..حالًا.

إنها لحظاتي الأولى بعالم الموتى...أعلم أنهم يراقبـونني الآن...أدرك أن ناصور جالس على عرشه العالي يتابعني عبر شاشته الضخمة ...يعدُّ أنفاسيي...وكيف لا وقـد رأيـت ذلـك بعينـي..طلـب منـي حِميـدة أن أحضر له أدوات ومعدات التغسيل والأكفـان بـالقرب منـه...ووقـف منشغلًا بتغسيل أول هؤلاء الموتى بعدما أخرج من جيبـه أحـد شرائـط الكاسيت ووضعه في كاسيت صغير كان بالغرفة لا أدري كيف يتـسنى له الوجود بمثل ذلك المكان ذي الرهبة...خرج صوت عدويـة بأغنيتـه المخالفة تمامًا للموقف الحالي:

- زحمة يا دنيا زحمة..زحمة وتاهوا الحبايب زحمة ولا عـادتش رحمـة مولد وصاحبه غايب.

كان حِميدة يهتز على الأغنية بسعادة غريبة ..تعجبـت لـذلك كثـيرًا وهو يسرد عليَّ نظريته الحياتية بعمله بينما كنت أستعدُّ لاقتناص الفرصة لأنهي مهمتي.

- ديمًا ياض كده تعمل لنفسك جو وانت بتشتغل ...شغلتنا صعبه مليانه غم، وصوات وصريخ إنما انت بس اللي في إيـدك تـستمتع بيهـا، هِمْ يا سيد ..هم.

- حالًا يا معلم.

طلب مني مياهًا بجرادل أخرى كانت فارغـة لأملأهـا مـن ذلـك الصنبور بخلفية الغرفة..انسابت المياه تمـلأ أولهـا، بيـنما قفـزت سريعًـا



لحقيبتي وأخرجت جهاز الخلاص ناظرًا ناحية حِميدة المنشغل بتغسيل قدم المتوفَّى الأول...

– أما ياض يا سيد أنا هغديك غدوه هتحلف بيها النهارده.

– عِشت يا معلم.

همست بصوت خافت:

– عشت إيه بقه.

تعيش انت يا معلم

– ماتيلا يا جدع هات المايه.

– هاه ...حاضر.

نظرتُ الى كف يدي اليسرى مستعدًّا الآن لإنهاء حياه ضحيتي الأولى..علي بالضغط على ذلك الجزء الشفاف بمقدمة الجهاز والهرب سريعًا تاركًا حِميدة يواجه مصيره الحتمي بالانتحار على أنغام عدويه ..أراه الآن كالثور الهائج يخبط رأسه بجدران تلك الغرفة المشبعة برائحة الموت...

فجأة فُتح الباب ودخل ذلك الغبي برعي ليقطع التنفيذ باللحظة الأخيرة...أخفيت الجهاز تحت إحدى الطاولات ..نادى حِميدة

– حِميدة.

– إيه يا برعي.



- خد تعالى عاوزك.

همس لـه ...أخـبره أن أهـالي المـوتى لا يرغبـون بـدفع أي أمـوال له..أخبرني بذلك أبو الوفا فيما بعد ...كنت بقمة الضيق...تركني حِميدة وخرج بصحبة برعي للاتفاق معهم ...

تنهدتُ وأنا أُحدِّثُ نفسي ..لم يحدث شيء، مُؤكَّد سيعود وسأكمل المهمة بنجاح...نظرت حولي ..جحظت عيناي ...

إحدى الجثث لشاب في الثلاثين مـن عمـره تقريبًـا نهـض جالـسًا نافضًا تلك الملاءة المغطية له مبتسمًا لي

- مفيش عندك حاجة لأوكا وأورتيجا؟!

تسارعت ضربات قلبـي مـن الخـوف والرعـب...نظـرت ناحيـة الجهاز مرتعشًا...فركت عيني لعلها الهلاوس تعـاود مجـددًا..لا مـا أراه حقيقة ..إنه ينظر إليَّ بابتسامة تخلع قلبـي رعبًـا..نهـضتْ جثـة لأخـرى جالسة ناظرة إليَّ:

- لا سيب عدويه أحلى.

نهضت جثة ثالثة:

- ماتسيبه يا عم يحط حاجة لأوكا وأورتيجا!

وجثة رابعة:

- لأ سيب عدويه.

نهضت جميع الجثث الخمس والعـشرين بـنفس الابتـسامة عـلى

وجوههم الشاحبة..بدؤوا بالغناء مع عدوية، وأنا جاحظ العينين، وكأن الشلل أصابني بمكاني لا أتحرك ...

- أجي من هنا زحمة ...أروح هنا زحمة

زحمة يا دنيا زحمه

كل ما يدور ببالي سؤال واحد فقط:

- هو الجهاز ده بيعمل إيه بالضبط؟

انهمك حِميدة بإقناع أهالي المتوفين هؤلاء بدفع أموال تكفينهم ...تاركًا إيايَّ وسط هؤلاء الموتى الراقصين..

لم يكتفوا بالغناء فقط، بل نهضوا ملتفين بملاءاتهم يرقصون على الأغنية...لم أتمالك نفسي حينها وانفجرت بالضحك...كالمجنون أضحك بهيستريا أحيانًا وأرتجف أحيانًا ...اقترب مني أحدهم .. أخرج سيجارة من علبة سجائر كانت بيده:

- سيجارة؟

- عشت يا أخ.

عشت إيه بقه

موت يا أخ.

انفجرت بالضحك أكثر وأكثر..بل والأكثر من ذلك شاركتني الجثة بالضحك..

- بالك يا سيد ...مش سيد برضه؟



- الله عرفت اسمي منين؟

- اقعد اقعد إنت واقف ليه؟

جلسنا على الأرض بجوار بعضنا البعض بينما استمر الآخرون بالرقص على الأغنية ...

- سمعت المعلم بتاعك وهو بيناديك.

- ده انتوا مصحصين معانا بقه.

أخذ نفسًا كبيرًا من سيجارته وأخرجه بوجهي:

- بالك إحنا محصلتناش حاجة في حياتنا أحسن من اللي إحنا فيه دلوقتي.

- ازاي قصدك الموت؟

- أه والله، إحنا آخر انبساط وانسجام وصهلله زي مانت شايف.

سألته بشغف:

- إنتوا مش زعلانين إنكم موتوا؟

أجابني مُستنكرًا والابتسامة تزين وجهه:

- نزعل؟ ده احنا ولا أكننا في فرح

يا ساااتر

- بس ازاي يا عم ده الناس بتصوت وتعيط عليكم بره اهو وبعدين الميت بيبقى أكيد زعلان على إنه بيسيب الدنيا.

نظر إليَّ بعينين ممتلئين بالحكمة وسألني:



- وهو حد من اللي ماتوا قالكم هو حاسس بإيه؟

كان سؤالًا عجيبًا..لا تتوقعه مطلقاً..أجبته بالنفي...فنظر إلي بجديةٍ:

- أمال بتفتوا ليه ..الناس اللي بره دي عالم نكديه ..مش هم أهلنا بس عالم

نكديه، أه والمصحف ...عليا النعمه مفيش أحلى من كده ولا أهدى من كده.

راقني حواره الشائق ...سألته بشغف كبير:

- طب قولي شفتم إيه بعد ما موتوا؟

تنهدَ وكأنه سيصف لي محبوبته الفاتنة..أمسك يدي اليسرى:

- لا دي متتحكيش ...تعالى شوف بنفسك.

- إوعى يا عم أجي فين!

قلتُها وأنا أُزيل يده بعيدًا، بينما أعاد هو يده عنوةً وأمسكني مرة أخرى قابضًا عليها بقوةٍ:

- تعالى والله لازم تشوف بنفسك.

- مش عاوز انا، إوعى يا عم.

أخرج موسى حادًّا كان معه..لا أدري من أين يأتي بتلك الأشياء وهو عارٍ تمامًا إلا من تلك الملاءة البيضاء مثلهم جميعًا...أعطاني ذلك الموسى الحاد مبتسمًا بشغفٍ:



- خد اقطع شريان إيدك.

اقترب الآخرون ناحيتنا، وكأنهم وجدوا ضالَّتهم ..راغبين بالترحيب بي على طريقتهم لعالمهم الجديد...

- لا أحسن نعمله مشنقة هنا ويشنق نفسه.

- لا لا لا إحنا نشيله ونرميه تحت عجل أي عربيه.

- لا عربية إيه، إحنا نكتم نفسه وخلاص.

- لأ ندبحه.

- نحرقه.

- نشنقه.

كانوا يقتربون مني وكأنهم سينقضون على أنفاسي..انتابني الرعب مرة أخرى..صرخت بكل ما لدي من صوت..

- إلحقوووووووووووووووووووني.

أغمضتُ عيني لاعنًا تلك النهاية الهزلية ...شعرتُ بيدي أحدهم تهزُّني ..فتحت عيني لأرى المعلم حِميدة مُتعجبًا لصُراخي:

- مالك يا بطيخي بتصرخ كده ليه؟

- معلم حِميدة؟

نظرت حولي لأجد كل شيء على وضعه السابق..الجثث كما كانت...تبًّا لتلك الهلاوس اللعينة...تنهدتُ ناهضًا وأنا أنظر للمعلم حِميدة بضيق:



- لا ولا حاجة. خلصنا بقه يا معلم من اليوم ده ده إيه الاستفتاح الزفت ده أنا ركبى بتخبط في بعضيها.

- إخص عليك مكنتش اعرف إنك خرع للدرجه دي.

- معلش يا معلم بكره اتعود.

- طب يلا خلينا نخلص ونغور من هنا.هات المايه يلا..

- حاضر يا معلم.

أخرجتُ جهاز الخلاص من تحت الطاولة هامسًا...لعلها اللحظة الأخيرة بذلك اليوم العصيب...أشعر بالرهبة الشديدة داخلي..ستمتد يدي للمرة الأولى بحياتي لأنهي حياة أحد..ارتعشت يدي اليسرى بشدةٍ..حاولت أن أتماسك لأنهي تلك المهمة اللعينة..

كان حِميدة يتمتم بكلماته بكل ضيق:

- الناس بقت لا تُطاق ..الفصال في دمهم ..واقفنلي وكأنهم بيشتروا طماطم يا ستااااااااااااااااار . ما تيلا يبنى هات المايه. إنت بتعمل إيه؟

التف حينها حِميدة ليراني...أصابه الجزع، جحظت عيناه مما يراه..صمت رهيب خَيَّم على المكان...صمت يصم الآذان رافعًا شعارًا واحدًا بتلك الغرفة اللعينة المتشبعة برائحة الموت العتيق..لافته..كفنّي شكرًا.





صَديقُ العُمر

(اليوم الخامس والثلاثون)

لم تكن الساعات الأخيرة من ذلك اليوم كأوله...

فتحت عيني بالكاد ورأسي يكاد تنفجر من آلامي الشديدة...وكأن أحدًا انهال بمعوله الضخم على رأسي لأيام متتالية...نظرت حولي مُحاولًا أن أتذكر ماذا حدث..ضوء الشمس يتسلل عبر نافذة صغيرة بالقرب مني... غرفة صغيرة حوائطها مشتققة ..لم أدخل ذلك المكان مسبقًا...نظرت حولي باحثًا عن إجابة لسؤالي...كيف أتيتُ إلى هنا؟

آخر ما أتذكره هو جهاز الخلاص وأنا أمُدُّ كفي لشاشته الشفافة ..والمعلم حِميدة ..رأسي يؤلُمني بشدةٍ ...التفتُّ ورائي فوجدتُ صورة كبيرة للمعلم حِميدة بزيه الأبيض المعتاد ...لا بد أن ذلك هو منزله.. ولكن لماذا أنا هنا؟



تسربت إلى أذني أصوات زغاريد ممتزجة...لا بد أنهم لم يدركوا حتى الآن وفاته على ما أعتقد...نهضت متسللا للخارج لأستكشف ما يحدث لي..

خرجت برأسي من باب الغرفة أسرق النظر لمن بالخارج...بنات يرقصن على أغنية شعبية بمنتهى الفرح وسط زغاريد النساء المتجمعات حولهن..أجساد رائعة بكر تجذبك بمجرد رؤيتها...استمتعتُ كثيرًا برقصهن على أنغام تلك الأغنية التي أسمعها لأول مرة ...كان مطربها يغني بحماسة راقصة:

- زلزال زلزال زالزال زالزال

عايزه الخيال

زلزال زلزال زالزال زالزال

قصة وموال

اسم الله عليك الله أكبر ما شاء الله غزال

أه لما تمشي وتمتخطر تعمل زالزال

اندمجت معهن بشدة...ملأت الابتسامة وجهي ..شعرت أنني هارون الرشيد..وددت أن أخرج لهن وأرقص معهن...كنتُ أتمايل برأسي مبتسمًا.

لاحظتني إحدى السيدات الجالسة بالقرب منهن..اقتربت مني والابتسامة على وجهها ...كانت بالخمسين من عمرها تقريبًا...ارتبكت



بشدة ودخلت الغرفة مرة أخرى، وجلست على السرير ودخلت ورائي ترحب بي:

- حمد الله ع السلامة يا بني..

- الله يسلمك.

قلتُها مُتلعثمًا بالكاد محافظًا على تنكري بشخصية سيد البطيخي ..

- هاه عامل إيه دلوقتي؟

- الحمد لله ..هو إيه اللي حصل؟

- متأخزناش النهارده حنة أختك ناديه ومهيصينلها، عقبال عندك بقه.

- ألف مبروك..هو إيه اللي حصل؟

سألتُها مجددًا ...كنتُ راغبًا بأي إجابة أفهم بها ما حدث..

- المعلم حِميدة بيقول إنك دوخت في الشغل وقعدت تترعش كده على الأرض

فجابك تترتاح شويه يا بني أمال إيه الناس لبعضيها.

- دوخت؟ أنا اللي دوخت؟

كانت كلماتها صدمة لي ..ما زال حِميدة على قَيْدِ الحياة...يا لخيبتي! بدلًا من أن يُفارِقَ هو الحياة بيدي...عاودتني تلك الاهتزازات اللعينة



في غير وقتها لأفارق أنا وعيي دون أن أنفذ المطلوب...تبًّا لسوء حظي..كانت تلك السيدة تنظر إليَّ مبتسمة وأنا صامت أفكر لا أدري ماذا أفعل..قطعت صمتنا..

- المعلم بيقول إن وشك وش الخير النهارده وربنا فرجها على الآخر على قدمك. حمد الله ع السلامة ..تتغدى بقه؟

كادت أن تخرج لتحضر لي طعامًا ...أوقفتها وسألتُها بشغفٍ:

- معلش من فضلك هو المعلم حِميدة فين؟

- وصل لزبون في البساتين.

- طب بعد إذنك ممكن أمشي

- أبدًا لازم تاكل الأول ..إنت بخيل ولا إيه؟

- لا أنا مش جعان ...مش هقدر اكل حاجة ..خليها مرة تانيه، لازم أمشي.

ومع إصراري وافقت على رحيلي...كانت الساعة تقترب من الخامسة عصرًا ..لم يعد هناك وقت، سينتهي اليوم وتفسد تلك الصفقة اللعينة...

- طيب يا بني ..

هممتُ بالخروج...استوقفتني سريعًا:

- استنى ...أجيبلك حاجتك.

- حاجة إيه؟



فتحتْ دولابًا بالغرفة، وأخرجت منه هاتفي المحمول وناولتني إياه:

- تليفونك.

ابتسمتُ لها ابتسامة مصطنعة وخرجتُ جريًا...اتصلتُ بأبي الوفا وجاءني سريعًا،

انهمك أبو الوفا بوصلة من الضحك الهيستيري عندما قابلته على أحد المقاهي القريبة...

نظرتُ له بغيظٍ:

- إنت مش فاهم المصيبة اللي احنا فيها وبتضحك؟

حاول أن يتغلب على ضحكاته المكتومة:

- أصل مش مصدق حكاية الميتين اللي بتصحى دي لا وإيه عاوزين ياخدوك معاهم.

اقتربتُ من أبي الوفا هامسًا له ..أيقنت أنهم حولنا بكل مكان...

- الجهاز ده عجيب أوي يا أبو الوفا...

- طبعًا ..مش جني اللي عمله عاوزه يبقى عامل ازاي يعني؟

- الجهاز..الجهاز فين؟

نظرتُ حولي فجأة...بحثتُ عنه ...تذكرت أنني لم أره منذ إفاقتي من رعشاتي السمجة..إنها مصيبة كبيرة...أين الجهاز؟ جهاز الخلاص؟ هل أضعتُ أول جهاز بخيبتي؟



أول القصيدة كُفر...لَطَمَ أبو الوفا هامسًا لي:

- ينهار اسود من أولها كده افتكر سيبته فين؟

أمسكت رأسي من الألم مُحاولًا التَّذكُّر...

- أنا اما لقيتهم صحيوا تاني وجايين عليا الرعشة القديمة مسكتني ومحستش بنفسي إلا وانا في بيت حِميدة.

- يعني سيبته في المشرحة؟

- مش عارف.

نظر أبو الوفا بساعته:

- دلوقتي الساعة خمسه ونص والشمس فاضلها ساعه ونص وتروح واليوم هيخلص.

نظرتُ له بعصبيةٍ شديدةٍ:

- بس يا أبو الوفا متوترنيش خلينى اعرف افكر.

- أنا قلبي عليك يا صاحبي ...الكلام كان واضح وصريح ...لازم نخلص كل اسم في اليوم بتاعه وإلا الاتفاق كله يبوظ.

- اسكت يا أبو الوفا اسكت خليني اعرف افكر.

تنهدتُ مُمسكًا رأسي أحاول إيجاد حَلٍّ سريعٍ لذلك المأزق...خطرت لي فكرة ...أمسكت هاتفي الخلوي واتصلت بالمعلم حِميدة:



- آلو..أيوه يا معلم ..الله يسلمك، الله يخليك يا معلم..لا انا بقيت زي الفل أصلي عندي السكر يا معلم وبتعب كل فترة كده..إنت فين يا معلم، فين في البساتين ..

معلم حِميدة ...شنطتي ... مانت عارف يا معلم صور أمي عزيزة عليا قد إيه..الله يكرمك يا معلم. مسافة السكة ..في أمانة الله.

الجهاز معاه

قلتُها لأبي الوفا وكأن حملًا ثقيلًا أُزيل لتوِّه من على رأسي ...سألني:

- إنت جيبت نمرته منين؟

- خدتها من على المحل الصبح.

- الله ينور يا صاحبي.

- يلا بينا.

انصرفنا معًا متجهين لذلك العنوان بالبساتين لأحاول إصلاح ما أفسدته تلك الرعشات ...

* * *

خرجت علا بتلك الساعات المتأخرة بالنهار لتمارس بحثها المعتاد المساعد لها برسالة الدكتوراه الخاصة بها خاصة بعد أن تقدمت بإجازة طويلة المدى من عملها بالمستشفى صباح ذلك اليوم لتتفرغ لتلك الرسالة..تركت إياد على مضضٍ عند جدته باكينام واستقلت سيارتها ...رن هاتفها:



أجابت بابتسامة خلابة:

- أنا جايه أهو في السكه.

أخبرها بأنه قد وصل إلى المكان الذي طلبت منه مقابلتها به ...أغلقت هاتفها واستمعت إلى موسيقاها المميزة الهادئة استعدادًا ليوم شاقٍّ من العمل ...

كان ذلك هو فادي نوار المصور بإحدى المجلات الشهيرة .. تعرفت إليه علا بإحدى الندوات العلمية، وعرضت عليه أن يساعدها برسالتها لتكون مصحوبة بصور حقيقية تثبت ما ستعكف على إثباته بها..علاقة الجان بالمرض النفسي..

بيت عتيق بإحدى المناطق العشوائية... تستمع إلى صوت دقات الدفوف والصرخات تنبع من داخله من حين لآخر..لا أحد يتذكر متى بدأ ذلك...كل ما يتذكره أهل تلك المنطقة هو تلك الفتاة رائعة الجمال التي كانوا يتحاكون بجمالها الأخاذ بنت العشرين عامًا ..تلك الفتاة التي لا تكفُّ عن الصُّراخ ليل نهار..

وقف فادي نوار وسط ضاربي الدفوف الملتفين حول تلك الفتاة الصارخة...انقبض قلبه حين رآها ...صراخها ووجها لا تنساهما مطلقًا..ذلك الوجه المحمل بهموم تكفي العالم بأجمعه ..كان يصورها ويسجل تلك اللحظات بينما وقفت دكتورة علا تتابعها بتركيز شديد... عيناها تخترقان تلك الفتاة، وكأنها تحاول أن تقرأ ما خفي بأغوارها الخفية...



الـصراخ يـزداد حـدة مـع إيقـاع تلـك الـدفوف وصـوتها المثـير للرهبة..الجميع ينظر إليها مشفقًا عليها وعلى مـا جـرى لهـا ...عـروس بمقتبل العمر يسكنها الجان على حـد تعبـير والـدتها العجـوز..اقـترب فادي من علا هامسًا لها بتعجب شديدٍ...إنها المـرة الأولى التـي يـدخل فيها مكان كهذا ...

- معقول اللي بيحصل ده؟

- العالم ده مليان باكتر من كده، إنت بس عشان جديد مستغرب

همس لها معترضًا:

- ده جهل يا دكتورة مش اكتر.

- بص يا فادي ...متحكمش على الأمور من ع الوش ..

- أنا عارف طبعًا إن ده مجال بحثك لكن اسمحيلى أنا مش مقتنع

صمتت لحظات ثم نظرت له بحدةٍ وكأنهـا تـدافع عـن اعتقاداتهـا ودراستها المضنية:

- الجن مـش محتـاج اقتناعـك مـن عدمـه الجـن موجـود حوالينـا ...وأحيانا جوانا ...شايفينا واحنا لأ، مراقبينا..راصدين كل حركه كل همسه ..جايز يكونوا بيسمعونا دلوقتي.

كان هناك سيدة مُسنَّةٌ ترتدي السواد..ترش من سائل أحمـر اللـون بإناء بيدها في الأغلب أنه دماء مختلطة...هكذا أخبرتهم جميعًـا ..كانـت ترش تلك الدماء بوجه الفتاة المسكينة الصارخة وتلطخه بها...يبدو أنها



من نفس نسل كاظم نصر أو على الأقل إنها تتبع نفس ملته ووجهته بتلك الحياة...انتفضت الفتاة والدماء تغطي وجهها تمامًا ...ما زالت تصرخ بكل قوتها...فادي يصور ذلك جاحظ العينين ...ودَّ أن يخرج من ذلك المكان فورًا ..غابت الفتاة عن الوعي وانفضت تلك الجلسة المرعبة ..توقَّفَ الصراخ مؤقتًا لحين آخر ...جلست علا مع والدة تلك الفتاة تسجل بعض المعلومات عنها بمفكرة صغيرة بيدها...كان فادي يأخذ لهن بعض الصور الداعمة لتلك الزيارة العجيبة له...تنهدت تلك العجوز والدموع تملأ عينيها على حال ابنتها الراقدة بجوارهم بسريرها غائبة عن الوعي ملتفًا حولها بعض أقربائها من النسوة ..

- أنا بنتي كانت بدر البدور...قمر ١٤. كل شبان الحته يتمنوا بس إنها تصبح عليهم ...اتقدملها عرسان كتير لكن سلو عليتنا تتجوز ابن عمها اللي متربيه معاه، ومن يوم دخلتها وهي كل ما ييجي يلمسها تصوت وتصرخ كأنه هيموتها، دخنا بيها على الحكما محدش عرف

مالها اللي يقولك انهيار عصبي واللي يقول اكتئاب لكن بقى اسم الله على مقامها الشيخه بركه هي اللي على إيديها الشفا بإذن الله.

- اللي كانت بترشلها؟

- أيوه هي يا ست الحكيمه.

نظرت علا حولها باحثة عنها فلم تجدها.

- هي فين؟

- خلصت ومشيت أهو الزار ده بنعمله مرة كل أسبوع كده وحالتها بتتحسن الحمد لله.



- كنت عاوزه اتكلم معاها.

- الأسبوع الجاي أقولها حاضر يا سلام انتي نورتينا يا ست الحكيمه.

- الله يخليكى يا حجه.

اقترب فادي هامسًا لعلا:

- ما تيلا بينا بقه.

انتهت تلك الحالة لدى علا..عليها فقط بزيارة أخرى الأسبوع القادم لمقابلة الشيخة بركة حتى يكتمل بحثها عنها جيدًا..

تعجب فادي من هؤلاء الموهومين المعتقدين بتلك الطرق الغبية لديه بالعلاج...

نظر لعلا وهو جالس بجوارها بسيارتها بعدما انطلقا بعيدًا عن ذلك المكان

- الناس دي غلابه أوي بيتشعلقوا بأي أمل حتى لو كان سراب وكدب.

- لتاني مرة بقولك الجن مش سراب ومش كدب.

كانت عصبية تلك المرة بردها عليه..حاول إيضاح وجهة نظره بهدوء...

- لا أنا اقصد اللي اسمها بركه دي رشت شويه دم ومشغلالهم شوية مزيكا وهم مقتنعين إنها كده بتتعالج.



- جايز تكون الطريقة الظاهره قدامك ساذجه لكن ليها مفعول.

- معقول يا دكتورة انتي اللي بتقولي كده.

- أنا مر عليا حالات كتير زي دي واللي بيعالجهم فعلا بيكونوا شبه الست

بركه كده ...في الأول مكنتش مقتنعه لكن مع مرور الوقت اكتشفت إنهم فعلًا بيعالجوهم ...

- ازاي بقه؟

سألها بتعجب شديد.

- بص يا فادي..النفس البشرية معقدة جدًّا مش ممكن أبدًا تقدر تفهمها لأنها ببساطة حاجة غير مرئية بالنسبة لنا زي الجن كده برضه عشان كده الاتنين بيفهموا بعض كويس مش انت أحيانًا تلاقب قلبك مقبوض كده ومتعرفش السبب؟

- أه.

- فيه حوار ممكن يكون داير بين النفس والجن سواء كان شيطان بقه أو جن عادي. حوار بقه...عراك...حب... الناس اللي زي بركه بيبقى معاون ليهم، جن مسخرينهم لخدمتهم وهم للي بيدلوهم على الحالة النفسية للمريض ...

- يعني عاوزه تقولي إن دول بيعالجوا صح؟ أمال لزمة الدكاتره النفسيين إيه يا دكتورة؟



- لو حصل بقه مزج بين علم الطب النفسي والناس دي هيتحقق انتصار علمي جبار وغالبا هيتم القضاء على الأمراض النفسية تماماً وده اللي بحاول أثبته في رساله الدكتوراه بتاعتي.

لم يقتنع فادي بذلك مطلقًا ولكن عليه احترام بحثها واجتهاداتها...كانا قد وصلا لمكان بيته ..توقفت علا بسيارتها ..ابتسم لها:

- ربنا يوفقك يا د علا.

- متشكره جدا يا فادي.

- لا على إيه أنا استمتعت جدًّا ولو حبيتي انزل معاكى تاني كلميني ..والصور هبعتهالك بكره

الصبح.

- تصبح على خير.

- وانتي من أهله.

هبط من سيارتها وانطلقت هي..أدارت موسيقاها عاليًا لتغسل بها تلك الصرخات المترددة بأذنيها ..كانت الساعة تقترب من السادسة والنصف ..اقتربت الشمس من الغروب.

❋ ❋ ❋

استغرقتُ أنا وأبو الوفا ساعة تقريبًا بالطريق إلى البساتين...تبًّا لذلك الزحام ..كدت أُجنُّ من توتري وأنا أشاهد الشمس تقترب من



مغربها..وصلت أخيرًا إلى ذلك العنوان القابع فيه المعلم حِميدة ...زحام شديد حول أحد البيوت العتيقة هنا..يبدو أنه نفس العنوان..حالة من الصمت على وجوه المتجمعين حول ذلك البيت..وجوههم جامدة تُرعِبُك حين تنظر إليها...الجميع هنا من الصعيد ..يبدو ذلك واضحًا من ملابسهم جميعًا...توقف أبو الوفا خائفًا ونحن نقترب من البيت هامسًا لي:

- أما تخلص كلمني.

ابتعد أبو الوفا للوراء، بينما استكملت أنا طريقي مُخترقًا زحامهم الصامت..كانوا ينظرون إلي بقسوة شديدة ...أو هكذا رأيتهم..دخلت البيت ..صراخ وعويل يقترب صوتهما من الدور العلوي الاول..وطئت قدماي الدرجات صاعدًا والرهبة تمزق قلبي...كم العويل الذي استمعت له هذا اليوم يكفي العمر كله ..

الباب مفتوح تفوح منه رائحة الموت..دخلت..رجال عديدون كمن بالأسفل على نفس حالاتهم ..الصمت الرهيب...القسوة بوجوههم تكاد تقتلك رعبًا..دخلت بحرص شديد أتلمس خطاي باحثًا بعيني عن المعلم حِميدة ...كانت هناك بعض النسوة يجلسن بأحد الأركان، وتجلس أمامهن إحدى السيدات على دكة عالية متشحة بالسواد مثلهن ...كانت تندب ويرددن وراءها بحرقة شديدة:

- يا نايحه نوحي عليه نوحي.

- يا كبيرنا.



- كبيرنا اتمدد على اللوحي.

- يا كبيرنا.

- زقزق يا عصفور وازعق يا غراب.

- يا لهوووووووي.

- كبيرنا مقتول مرمي في الخراب.

- يا كبيرنا.

همست لنفسي وأنا أكتم أنفاسي دون أدنى سبب لذلك..

- ينهار اسود على العكننة .. ده تلاقيه بيزغرط دلوقتي إنه خلص منكم ... والله وبقيت خبره يا أمير.

جذب نظري ذلك العجوز الذي تخطى التسعين من عمره...لا ترى بوجهه إلا التجاعيد الموحشة تلتهم ملامحه..كان جالسا بأحد الأركان بمفرده...لا أحد حوله..كان يتحدث وكأنه يُلقي قصيدة رثاء لذلك المتوفَّى..خلع قلبي حين استمعت له ...سادت القشعريرة جسدي ودمعت عيناي بكلماته..

- قتلوك يا خال وانت غالي

لا في ايدك سلاح وفي وشك الضي

اقتلني..اقتلني لو ده هيريحك

هيغنيك ..هيعيشك فوق العباد



اقتلني وطيح في خلق الله

مسيرك يوم تلقى اللي يقتلك

ويطيح بعديك

ما الدنيا داين تدان ..

اقتل الفرحه بدم بارد

في يوم مسيرك تنقتل

القبر ناداني وبيناديك

مسيرك ليه وهو ليك

قتلوك يا خالي وانت غالي

لا في إيدك سلاح وفي وشك الضي

وكأنه يصف حالي..وكأنه يُلقي بقنبلته بوجهي...الدنيا داين تُدان..في يوم مسيرك تنقتل..تبًّا لتلك الكلمات ..تبًّا لذلك اليوم اللعين..تبًّا لتلك المهمة التي لن تنتهي أبدًا بتلك الطريقة..سأتعذب عذابًا شديدًا...امتلأت عيناي بالدموع...قطع تفكيري أحدهم:

- اؤمر.

نظرت له وتذكرت شخصيتي..سيد البطيخي.

- هاه...أنا صبي الحانوتي.

أشار لي لأمشي وراءه..اتجهتُ إلى إحدى الغرف ..



فتح لى الباب ..دخلت وانغلق الباب خلفي...كان هناك..حِميدة يكفن أحدهم المُلقى أمامه على السرير... هناك بعض الرجال جامدي الوجوه، هنا أيضًا يتابعون حِميدة وتكفينه لابنهم...يبدو أنه مقتول ..رأيت ملابسه ملطخة بالدماء ملقاة بأحد الجوانب..والواضح أنني لن أستطيع هنا أيضًا أن أختلي بحِميدة لأتم مهمتي...تبًّا لذلك..

اقتربت من المعلم حِميدة وهمست له بأذنيه:

- معلم حِميدة.

نظر لي بابتسامة مختلسة:

- أهلًا يا وش السعد ..

- الدنيا والدوام لله.

- وحدوووووووووووووه.

- لا إله إلا الله.

- أنا خلاص خلصت ..يالا بينا.

كان قد انتهى من تكفينه...أمسك حقيبته القابعة بجواره ...استوقفتُه بلهفة:

- شنطتى فين يا معلم؟

مد يده تحت السرير ...أخرجها وأعطاني إياها..أمسكتُها وكأنني وجدتُ كنزًا مفقودًا منذ زمن ...



- أهي خد ..خدت بالى منها وشيلتهالك.

- تعيش يا معلم.

احتضنت جهاز الخلاص القابع داخل حقيبتي الخيش..خرجنا من تلك الغرفة ...

ونحن نردد تلك النداءات الاعتيادية بذلك الموقف ...

- وحدوووووووووووووووه.

- لا إله إلا الله.

- ما دايم إلا وجهه.

- وحدوووووووووووووووه.

- لا إله إلا الله.

ما زالت النسوة تصرخن ويرددن وراء تلك النائحة الجالسة أمامهن...ما زالت وجوه الرجال جامدة توحي بالانتقام لمقتل ابنهم..وما زال حِميدة على قيد الحياة، وغابت الشمس وانتهى نهار ذلك اليوم... من المستحيل الآن تنفيذ خطتي...شعرت بالفشل الذريع... غلبتني دموعي بعدما أعطاني حِميدة خمسين جنيهًا كنوعٍ من الإكرامية لذلك اليوم، وأعطاني مفتاح المحل لأذهب وأرتاح حتى الصباح..

عدتُ جارًّا ذيول الخيبة لبيتي الملعون بعدما أبدلت ملابسي مرة أخرى بنفس الحمام العمومي..جلستُ متمزقا أبكي حالي مهمومًا..ربت أبو الوفا على كتفي ناظرًا إلى عيني:



- إنت عارف أنا بحبك قد إيه. يا صاحبي الدنيا دي قلابه ملهاش أمان ويوم ما تجيلك الفرصة اتشعلق فيها من غير تفكير.

انهارت الدموع من عيني بغزارة وأنا أُغالِبُها:

- فرح بنته بكره يا أبو الوفا.

تنهد أبو الوفا وهمس لي وكأنه خائف أن يسمعونا:

- إنت نسيت عملوا فينا إيه؟ نسيت يسرا وتوفيق وسمير ولا عاوزنا نحصلهم ونبقى لا طولنا

ده ولا ده ...المرة دى بفوره يا صاحبي.

كنتُ أعلم ذلك جيدًا..أعلم أنه لا مفر...نظرت له والدموع بعيني:

- عارف يا أبو الوفا ..عارف.

وضع يده على كتفي ليشد من أزري:

- حط قلبك تحت رجليك يا صاحبي دوس عليه قبل ما يتداس علينا.

- اليوم بيخلص ومحدش هيتغسل ويتكفن الساعة دي.

- سهله يا صاحبي أنا أقولك نعمل إيه.

قالها أبو الوفا وكأنه يمتلك الحل ..لم يخطر على بالي مطلقًا ما خطط له تلك الليلة...ربما لانهياري وقلبي الذي ما زال رافضًا لذلك المصير الحتمي الدامي..

أعطيته مفتاح المحل، ذهب إلى هناك حاملًا جهاز الخلاص..أغلق الباب عليه من الداخل..بدلتُ ملابسي مرة أخرى لأتقمص شخصية سيد البطيخي ...توجهتُ لبيت المعلم حِميدة أسارع الخُطى..

أجلستني نفس السيدة مرحبةً بي بعدما طلبت منها مقابلته على الفور..كانت الفتيات ما زلن يرقصن بالخارج والزغاريد ترفرف حولهن..

دخل عليَّ حِميدة بجلباب البيت الأبيض أيضًا...

- فيه إيه يا واد يا سيد؟

تظاهرت بالبكاء الشديد:

- صاحبي وأخويا يا معلم...

- انت مش كنت هتبات في المحل ياولا

- صاحبي مات يا معلم ..صاحبي الوحيد اللي طلعت بيه من الدنيا مقطوع من شجرة، كلمني ووصفتله المحل جالي واحنا قاعدين بنشرب كوبايتين شاي لقيته مسك قلبه وفي لحظه مات

مات على إيدي.

انهرتُ أمامه من البكاء المصطنع...ربت على كتفي مواسيًا إيايَّ:

- لا حول ولا قوة إلا بالله، الدنيا والدوام لله ...بكره الصبح هاجي معاك نغسله وندفنه إن شاء



الله ومتقلقش من أي مصاريف.

وكأن لدغني عقرب..

- لا يا معلم صاحبي بيخاف من النهار نظر لي متعجبًا:

- نعم؟

- قصدي أهله موصيني أدفنه بالليل.

- إنت مش بتقول مقطوع من شجرة؟

- لمؤاخذه يا معلم أصل أعصابى تعبانه أوي مش عارف أتلم على نفسي، أنا

قصدي هو وصاني وهو بيموت إنه عاوز يندفن بالليل في الطراوه لأنه بيتخنق من الحر أوي.

لا أدري ماذا سأفعل إن اعترض وصمَّمَ على البقاء للغد...كانت مخاطرة كبيرة راهن عليها أبو الوفا..استعطفتُه وأنا أُقبِّلُ يده:

- معلش يا معلم.

- طيب يا بطيخي..اسبقني ع المحل ناخده ونوديه المستشفى الأول يطلعوله

تصريح دفن..متقلقش حبايبي هيخلصوه بسرعة.

- ماشي يا معلم ...

- يا حبيبي يا صاحبي



- لا حول ولا قوة إلا بالله.

خرجتُ سريعًا في طريقي إلى المحل لأنتظره..كان أبو الوفا هناك ينتظرنا..

اقتربت الساعة من العاشرة مساء..ما زال المقهى يعُجُّ بزبائنه..منتهى الخطورة ما نفعله ولكن لا مفر من ذلك..ترددت خطة أبي الوفا وكلماته بأذني:

- هتجيبه على المحل ...هيدخل، هتلاقيني عامل فيها ميت، هيبدأ يغسلن ...سيبه ملكش دعوه

وفي سهوه منه حط إيدك على الجهاز واخرج انت وسيبنى معاه وروح ع البيت ولما السر الإلهي بتاعه يطلع هحصلك ..

لم أدرِ كيف خاطر أبو الوفا بحياته بتلك اللحظات..حذرنا ناصور من الوجود حول الضحية بعد تفعيل جهاز الخلاص..نهرني أبو الوفا حين عارضته بذلك مُعلِّلًا يى بأنه سيحسن التصرف جيدًا وأن عليَّ التنفيذ فورًا دون مناقشة...

عاودتني تلك الرعشات السمجة مُجددًا وأنا أضع كف يدي اليسرى على جهاز الخلاص، ولكني هذه المرة تغلبت عليها...خرجتُ سريعًا تاركًا أبا الوفا لمصيره المجهول ...مخاطرًا بحياته من أجلي ...أو بالأدق من أجلنا ...خرجتُ وأنا ألعن ذلك القلب القابع بين ضلوعي الذي ما زال ينبض بالرفض لتلك المهمة..لاعنًا إياي وأفعالي..

جلستُ بالبيت أنتظره بترقُّبٍ شديد ..أتمزقُ من احتمالية فقدانه للأبد..قد يخرج القرين ويراه ويقتله ..قد يلاحظ أحد رواد المقهى



وجوده ويبلغ عنه الشرطة..تساؤلات عديدة تفترسني...ساعة كاملة مرت علي كالدهر والصمت يُخيِّمُ فوق رأسي مُترقِّبًا ...

لا أعرف هل أحب أبا الوفا لهذه الدرجة أم أنني خائف من استكمال مشواري الدامي بمفردي وحيدًا دون ونيس؟

دقات على الباب حبست أنفاسي..فتحت الباب لأرى أبا الوفا أمامي بابتسامةٍ عريضةٍ تملأ وجهه..احتضنتُه بشدة...ارتميتُ بأحضانه وكأنه أعاد لي الحياة مرة أخرى...

أدركتُ حينها أنني أحمل له كل حُبٍّ وتقدير...حب لصديقي الوحيد..صديق العمر.





الحل الوحيد

(اليوم السادس والثلاثون)

مر اليوم الأول بعد طول عناء وتحرر أول قرين ...لم أهتم حتى بما فعله أبو الوفا حينها لينقذ نفسه من ذلك القرين...لم أسأله ...الأهم عندي أننا لا نزال معنا ...لم يتركني وحيدًا أواجه مصيري اللعين..من المستحيل أن هناك أحدًا من البشر يشعر بما أشعر به الآن...سلاسل محكمة من الموت تلتف حول رقاب الآخرين لتمنحني الحياة..حياة بطعم الدماء..سأعيش على أجسادهم المقتولة بيدي ...

أرى كف يدي اليسرى تقطر دماؤها...دماء المعلم حِميدة ..أرى فرح ابنته وقد تحول إلى مأتم بعد موته..أرى خِسَّتي ودناءة فعلي أمام عيني..أستمع إلى صراخهم وعويلهم بدلًا من الزغاريد... لا أبرئ نفسي من تلك الدماء ...حتى وإن كنت مجرد أداة بيد قاتل لا يرحم .. أداة تنفذ رغباته دون أدنى رفض أو اعتراض....كل شيء بهذه الدنيا خاضع للمال...امتلك المال تمتلك كل شيء ..حتى أنا بكل كرهي وحقدي لكاظم نصر، بالمال أصبحتُ صورة طِبْقَ الأصل منه...صورة



لدناءته وبشاعته ...صورة لجرائمه..وكأنه ينظر بالمرآة...ما أنا الآن سوى قاتل محترف أنفذ جرائمي بدم بارد من أجل مصلحتي..من أجل المال.

أشتمُّ رائحة الموت حولي بكل مكان..أحاول أن أعتادها ..لا مَفَرَّ من ذلك..لا وقت حتى لأن أشعر بالذنب..ولا أن أغتسل من دماء هؤلاء الضحايا ...

عليَّ بتغيير جلدي كالحرباء حتى أنجح بافتراس الضحية القادمة..

الاسم: أميرة حسين توفيق.

السن: ٣٠ عامًا.

المهنة: بائعة زهور بأحد المحلات بالحي السادس ب ٦ أكتوبر.

معلومات إضافية: - جميلة ..رومانسية للغاية.

- تعشق الماضي وتتمنى العودة لزمن التسعينيات والثمانينيات.

- تحلم بالشهرة وترغب بالغناء والتمثيل منذ صغرها.

لم تكن تلك الخطة الجديدة لاصطياد تلك الضحية صعبة المنال...يبدو أنني أسير بخُطًى ثابتة نحو عالمي الجديد ..عالم الجان والشياطين ..عالم ناصور أتباعه..

قابلني أبو الوفا بتلك السيارة البيضاء الفخمة المكشوفة من أعلى...كانت من طراز قديم ينتمي للسبعينيات..طلبتها منه في الصباح الباكر ..انطلقتُ وهو بجواري ناحية حي ٦ أكتوبر..عيناي تملؤهما القسوة كزائر لأول مرة يحاول فرض سيطرته عليها..



كنتُ شاردًا ...نظر إليَّ أبو الوفا مبتسمًا:

- ده انا طلع عيني على مالقيت العربيه دي عند بتوع السيما خدوا مني ٣٠٠٠ جنيه بحالهم

مش فاهم ليه متخلصش جوه المحل وخلاص زي اللي قبلها؟!

نظرت له بهدوء:

- مش أمان، ده محل إزاز يا أبو الوفا وبعدين أنا بس اللي اقول إيه الطريقة المناسبة، فاهم ؟

كنت أحاول تقمص تلك الشخصية الجديدة التي أتنكر بها اليوم..شخصية سليم سالم رجل الأعمال ذي الهيئة الكلاسيكية..كنت أرتدي بدلة بيضاء اللون واضعًا وشاحًا أحمر اللون حول رقبتي... شاربي منمق تحت أنفي ..ارتديت خاتمًا من الذهب بيدي اليمنى...بالإضافة لنظارة أنيقة على وجهي...

وقفت بالسيارة أمام المكان المطلوب على الجانب الآخر للطريق...طلبت من أبي الوفا أن ينطلق ليكمل ما طلبته منه وينتظر مني اتصالًا هاتفيًّا بأي لحظة..

هبطتُ من سيارتي المزيفة ...تأكدت من وجود الشارب..واتجهت إلى ذلك المحل الزجاجي الواقع على الرصيف المقابل..الزهور والورود تزين مدخله..

كانت هناك..فتاة في أوائل الثلاثينيات من عمرها رائعة الجمال حقًّا...عيناها كالبحر الصافي زرقاء اللون، وشعرها أسود حالك طويل



ينساب على كتفيها ...قوامها أخاذ يخطفك من الوهلة الأولى حين تقع عيناك عليها..لها ابتسامة ساحرة لا تفارق وجهها ...اقتربت منها كالذئب يُخفي مخالبه ليخدع فريسته...رسمت ابتسامة مزيفة على وجهي ودخلت أنظر إليها بعينيها بجرأة متزايدة محاولًا إبراز إعجابي بها ...تلك كانت خطتي..إيقاعها بحبي بأسرع وقت ممكن...

كان صوت محمد محيي حولنا يغني ... من كاسيت صغير بجوارها ..يغني إحدى أغنياته القديمة ..صور لمطربين آخرين معلقة بكل مكان بالداخل .. عمرو دياب ومصطفي قمر وهاني شاكر وشادية وعبد الحليم حافظ وحميد الشاعري ..

نظرت بعينيها مبتسمًا:

- عندك ورد؟

ابتسمت لي:

- حضرتك عاوز ورد نوعه إيه ؟ وقد إيه؟

اقتربت منه أكثر هامسًا لها:

- انتي اسمك إيه؟

- أميرة.

أجابتني بحرج شديد ..خداها صُبغا باللون الأحمر على الفور..نظرت بعينيها بحب وجرأة

- أميرة ...اسم جميل أوي، أنا سليم سالم ..رجل أعمال.

مددت يدي لها لتصافحني:

- أهلا بحضرتك يا أستاذ سليم.

ضغطت على يدها الناعمة الرقيقة:

- سليم ..سليم وبس.

ساد الصمت بيننا لحظات..غرقت في عينيها الرائعتين ..حقًّا استمتعت بجمالها ورقتها..سحبت يدها من يدي ببطء مبتسمة ...بدأت تقع في شباكي المزيفة بالحب..سألتني محاولة إنهاء إحراجها:

- مقولتليش بقه تحب الورد لمناسبة إيه؟

حاولت أن تفلت من عيني..كنتُ مصممًا على النظر بعينيها بنفس الجرأة...همستُ لها

- حب.

- نعم؟

ابتسمت.

- مناسبة حب.

- بس الفلانتين مش دلوقتي خالص!

- أنا الفلانتين بتاعي ابتدى النهارده بقه تفتكري أعمل إيه؟

كانت تحاول الهروب من عيني...لكنها استسلمت سريعًا... نظرت بعيني هائمة.



- تجيبلها ورد.

همستُ:

- بالضبط كده عشان كده أنا جيتلك.

- طب تحب أعملك بوكيه

- على زوقك؟

- زي ما تحب.

- على زوقك

بدأتْ حينها في جمع بعض الورود بمنتهى الارتباك...كانت نقية كورودها...تَبًّا لي ...كم أنا قاسٍ لأقطف هذه الوردة اليافعة بريعان شبابها..تنهدتُ ناظرًا لها:

- واضح إنك بتحبي الأغانى القديمة.

- مش قديمة أوي ...بس بصراحه دي أحلى كتير من أغاني اليومين دول ياريتنا لسه عايشين في الفترة دي فترة جميله والناس رايقه وبتحب بعضها.

- انتوا بتفتحوا الساعة كام؟

- من ٩ الصبح ..

- وبتقفلوا؟

- أنا بخلص شغل الساعة ٤ العصر.



اقتربتُ منها ناظرًا بعينيها:

- أنا مسئلتكيش بتخلصى إمتى؟

- هاه؟

- بتقفلوا إمتى؟

- المحل بيقفل ٩ بالليل.

كانت قد انتهت من جمع الورود.. نظرتُ لها:

- هستناكي بعد ما تخلصي شغل.

- أنا؟

همستُ بأذنها كالساحر أسلبُ كل حواسها:

- أنا معجب بيكي يا أميره وعاوز أتعرف عليكي أكتر.

- أنا؟

- هعدي عليكي بعد شغلك هنا فيه كارت؟

- اتفضل.

ناولتني كارتًا صغيرًا كتبتُ عليه:

- إلى أميرة قلبي .. أتمنى البوكيه ده يعجبك.

مددتُ يدي وأخرجت بعض المال ووضعته أمامها ناظرًا بعينيها.

- ده ليا أنا؟



كانت تعني بوكيه الورود...سأخبرك سِرًّا ..الفتيات يحببن الـورود أكثر من أي شيء بالكون ...إذا أردت إنهاء أعتى مشكلة بيـنكما عليـك ببوكيه من الـورود وخاصـة الـورود الحمـراء تـدلُّ عـلى مـدى حبـك لها..ابتسمت لها وهي هائمة بي وبورودي المُهداة إليها...

- أه انتي ...باي باي، أشوفك بعد الشغل.

تركتهـا وعيناهـا معلقتـان بي حتـى سـيارتي ممـسكو بورودهـا ...نجحـت في خطـف قلبهـا بمنتهـى البـساطة...الآن خطفتـه وبعـد ساعات سأدب سكيني الغادر به ليكف عن نبضاته للأبد...

كنتُ بانتظارها في تمام الرابعة عـصرًا..انطلقنـا معًـا ... كـالغراب المتربص بتلك الحمامة البيضاء الوديعة..ذهبنا معًا لحديقة الحيوان..ترى الفرحة بعينيها، وكأنها طفل وجد حنان أمـه أخـيرًا ...سـاعتان ونحـن متشابكا الأيدي كحبيبين التقيـا بعـد طـول غيـاب...أشـفقتُ عليهـا كثيرًا..أشفقتُ على تلك النظرات الرائعة الحاملة لكل حب مـن عينيهـا ...تلك النظرات التي قابلتها بكل خسة ودناءةٍ...

جلسنا على إحدى الدكك نأكل آيس كريم بمنتهى السعادة..كانت تنظر إليَّ ...عيناها تذيبان قلبي بمجرد النظر إليهما..سألتني بحرج:

- هو انت ليه متجوزتش لحد دلوقتي؟

ابتسمت لها:

- الزمن خادني والشغل وكده ده غـير اني مقـابلتش الـلي تخطفنـي زيك كده.



نظرت بعيني بحب شديد:

- بالسرعة دي؟

- الحب كده بييجي فجأة من غير ميعاد وملوش أي مقدمات ..

- إحنا لسه متقابلين النهارده!

رأيتها ..يبدو أن هلاوسى لن تفارقني للأبد...كانت بردائها الأبيض تنظر إلي عن بُعْدٍ، تبتسمُ لي..شردتُ معها كثيرًا..إنها منى السماك حبيبتي الماكثة بقلبي للأبد...

نادتني أميرة:

- سليم ..سليم ..سرحت في إيه؟

نظرتُ لها أحاولُ التغلب على دموعي وإخفاءها عنها مبتسمًا:

- أنا حاسس إني اعرفك من زمان.

- وانا كمان حاسة إني اعرفك من زمان أوي.

لم تكن أميرة هي من تجلس بجواري الآن..كانت منى ..معشوقتي..كنت أراها بدلًا منها...وكأن الزمن قد عاد بي للوراء لأكثر من عشرين عامًا..حين تبادلنا اعترافاتنا بالحب ...انسالت الدموع من عيني ممسكًا يدها ...ناظرًا بعينها الساحرتين.

- عارفه انا بقالي قد ايه معجب بيكى قد إيه؟ ٨ شهور ..ببصلك من بعيد لبعيد ومش قادر أكلمك ..كنت حاسس إنك كتير عليا ومش ممكن تبصيلي حتى. إوعديني إنك مش هتسيبيني أبدًا.



- أوعدك يا حبيبي إني مش هسيبك.

وكأنها طعنت قلبي بكلمتها تلك...بكيت والحسرة تملؤني.. صرخت فيها:

- مش حقيقي ...مش حقيقي.

اختفت منى من أمامي..عادت أميرة من جديد..لم أعد أحتمل أكثر من ذلك..

- سليم ..مالك يا سليم؟

- هاه...لا أبدًا أنا بس متأثر لأني لقيتك وحبيتك بعد ما كنت بدور عليكي.

- بتدور عليا أنا؟

حاولت التماسك لإكمال خطتي الملعونة...مسحت دموعي وابتسمت لها ناظرًا بعينيها

- طول عمري كنت بدور عليكي وسط كل الناس زى المجنون لحد ما لقيتك صدفه.

- صدفه؟

- كنت عند صديق ليا في العمارة اللي في وش المحل بتاعك وشوفتك بالصدفه ومن ساعتها وانا بقف بعربيتي قدام باب المحل وبشوفك من بعيد بقالى حوالي أسبوعين. سحرتيني ..خطفتيني بضحكتك دي..



تنهدت أميرة بمنتهى السعادة ...مددت يدي لألمس شعرها بحنان..تبدلت أمامي مرة أخرى...رأيت منى تنظر بعيني فرحةً.

- يااااااه قد إيه كلامك ده حلو أوي مكنتش متخيلة إني هقابل حد زيك في يوم من الأيام ...طول عمري تعبانة وأي حلم كنت بحلمه كان بيفضل بعيد عني وكأن متحرم عليا أحقق أحلامي وانت كنت أول حلم.

قبلتُ يدها هامسًا لها:

- وأدنيا اتقابلنا واتحققلك أول حلم ومن النهارده كل أحلامك مجابة.

- بجد بجد.

اختفت مرة أخرى..ترى؟ هل جُننت حَقًّا؟ أعلم أنني سعيد برؤيتها من حين لآخر...تشعرني بالدفء حين أرمق عينيها...ولكنني أخطو بطريق شائك متشبع بعبق قذر...ملوث بدماء الأبرياء...أظهر لهم فجأة كعفريت العلبة لأسلبهم حياتهم..نظرت لأميرة مُحاولًا السيطرة على نفسي..أمسكت يدها لأكمل خطتي...

- شوفي. أولا كده هتيجى معايا دلوقتي نروح عند ماما في البيت تتعرف عليكي

- بصفتى إيه؟

- خطيبتى ..حبيبتي ...بصفة إنك هتكونى مراتي في أقل من شهر.



كتمت أنفاسها من الفرحة القافزة من عينيها

- إيه ده على طول كده؟

نظرتُ لها متصنعًا الفرحة

- العمر فات بينا ومش هنسيبه يسرقنا تاني.

- أه بس لازم تيجي تقابل ماما وعمي وتطلبني منهم ولا يعني عشان بابا ميت هتفتكر إني ماليش كبير، لا يا أستاذ الأصول متزعلش.

- خلاص بكره بعد الضهر.

هجيلكم بس نروح النهارده لماما الأول.

- مستعجل كده ليه؟

- مقولتلك كنت بحلم بيكي ولقيتك بذمتك انتي بقه ينفع نضيع وقت ومنبقاش مع بعض.

- لا بصراحه.

كنتُ متعجلًا لإنهاء تلك المشاعر القاتلة لي..تَبًّا لتلك المهمة التي تمزق قلبي كل لحظة...اتفقت مع أبي الوفا لتأجير إحدى الشقق الفاخرة ليوم واحد فقط...وكان عليه بالتنكر هو الآخر ..سننفذ جريمتنا بتلك الشقة..أخبرني أبو الوفا بسهولة تأجير مثل هذه الشقة بدون إثبات شخصية ...علينا فقط زيادة الثمن ودفع مال أكثر...إنه المال مرة أخرى تذكرة المرور لأي شيء مهما يكن مستحيلًا...نظرتُ لها بحبٍّ زائفٍ لأحكم شباكي حولها:



- من النهارده تنسي كلمه أحلام لأنها هتبقى حقايق، أنا احلامى كبيرة وكتيرة أوي هحققهالك كلها حتى من قبل ما تخطر على بالك.

- بجد أنا مش مصدقة.

جلستُ أمامها تحت قدميها كالعفريت الخارج لتوه من المصباح:

- شبيك لبيك أحلامك بين إيديكي قولي بتحلمي بإيه؟

شردت أميرة بفرح متناهٍ تفكر في أحلامها المقترب تحقيقها..هكذا ظنت ..نجحت في خداعها ..

نظرت حولها لترى كل الناس بتلك الحديقة يتجمعون حولنا مصفقين لها...إنها تحلم بالشهرة..بالمجد...تحلم بأن يشير عليها الجميع... انهمكوا بتصفيقهم لها ..طربت أذناها من صوت أيديهم وكأنها أعظم سيمفونية عزفت بالتاريخ.

كنتُ أدركُ ما تفكر به جيدًا..بل إنني رأيتُ ما يدور برأسها أمام عيني... من السهل أن تقرأ ما برأس أحد إذا كان نقيًّا كالثوب الأبيض..

وكأن رأسها امتلأ بستائر بيضاء اللون ترفرف من الهواء...الهواء النقي مثلها..ربما لن تستنشق مثله بأي مكان بالكون مطلقًا ...أمواج عينيها تنبئ بدنوِّ أحلامها إلى شُطآن دنياها...

أستمع إلى صوت شادية تشدو داخلها بكل حواسها...كانت تقف هناك بفستان زفافها تنتظرني...كذلك كانت تراني..فارس أحلامها...



تراقصني وهي تغني لي نفس الأغنية التي طالما حلمتُ أن تغنيها وتحظى بشهرة شاديه حين تغنت بها:

- شباكنا ستايره حرير من نسمة شوق

بتطير..وبقالي كتير يا حبيبي

يا حبيبي بقالي كتير بستنى تجيب

الفرحه والتوب الأبيض والطرحه

ونطير نطير زي العصافير

كنت أراني داخل رأسها وكأنني اثنان ...أحدهما محمل بالخطايا الجالس أمامها المتصنع بتحقيق أحلامها بابتسامته الزائفة...والآخر داخل رأسها وقلبها يراقصها فرحًا كفارس أحلام وجدته وسط زحام تلك الدنيا اللعينة ...ياليتني كنت ذلك الآخر..

أراني أهمس بأذنيها وسط فرحتها بفستان زفافها ...

- كل اللي بتحلمي بيه هحققهولك.

فجأة امتلأت الحديقة من حولنا بإضاءات وأنوار تتلاعب وكأننا نحتفل بها...وكأنه آن الأوان حقًّا لتخرج تلك الخيالات والأحلام لأرض الواقع..هكذا ظنت أميرة...رواد الحديقة ما زالوا يلتفون حولنا يصفقون لها ..وكأنني غيرت حياتها بضغطة زر ..

وكأنني كنت بأحد عروض المسرح...حالة عجيبة من البهجة انتشرت بذلك المكان..اقترب عجوز طاعن في السن بملابس مهرج



بالسيرك ...حتى وجهه كالمهرج...كان معه صندوق خشبي كبير يحمله بالكاد كصندوق الدنيا لعبه الفقراء بالحواري منذ القدم ...

موسيقى مبهجة حولنا..أدار ذراع صندوقه بسعادة...الجميع يضحك ويصفق ...أميرة ليست بجواري...ظهرت مع تصفيقهم الحار بفستان سواريه أسود اللون ...كانت ترقص رقصات استعراضية وتتمايل ببهجة شديدة كنيللي وشريهان بالفوازير...كان حولها راقصون وكأنها لوحة استعراضية مبهجة رائعة التكوين...لا أدري كم استمرت تلك الهلاوس والأوهام..كل ما كان يدو ر ببالي حينها العدول عن قتلها..لن أغفر لنفسي أبدًا وأد كل تلك الأحلام ..شردت كثيرًا في ذلك أحاول إقناع نفسي بالعكس...أقتلها..لا لن أقتلها...أستخدم معها جهاز الخلاص...لا لن أستخدمه...أُحرر قرينها..لا لن أحرره...صراع شديد داخلي يفترسني بكل لحظة تمر بجوارها وأنا أنظر بعينيها وأتلمس أحلامها ...تغلبت على ذلك بالكاد وانطلقنا معًا..

كانت بجواري بالسيارة الفارهة غارقة بابتسامتها الحالمة ...اصطحبتها لجريمتي بالمنزل المؤجر الشاهد على انتحارها تلك الليلة.. امتلأت عيناي بالدموع ..تتابعت هلاوسي بغزارة ذلك اليوم...نظرت بجواري لأميرة لأراها قد تبدلت بمنى مرة أخرى تسألني بلوم شديد:

- مش حرام تموت أحلامها بالسهوله دي؟

انهرت حينها بالبكاء ناظرًا لها بعصبية:



- أنا مش في إيدي حاجة يا منى.

- زمان مكنش في إيدي أفضل جنبك ونحقق أحلامنا سوا.

- سيبتيني وماتت كل الأحلام.

- هتموتها زي أحلامنا؟

جاوبتها بعصبية شديدة والدموع تنسال من عيني:

- عاوزاني اعمل إيه يا منى ..معدتش فاضلي غير حلم الفلوس ..الفلوس وبس.

بادلتني عصبيتي بقسوة:

- إنت غلطان ..بص حواليك .. ناس كتير بتحلم وتحقق أحلامها ومش بالفلوس مش ممكن تكون انت أمير اللي حبيته وكنت مستعده أضحي بحياتي عشانه، مش انت أمير اللي كان بيحب الخير لكل الناس على الرغم من مأساته اللي كان بيعيشها ...مش انت.

- انا تعبت تعبت تعبت تعبت.

توقفت حينها بالسيارة فجأة ...كدت أتسبب بحادثة بوسط الطريق.. كلماتها موجعة للغاية...حقًّا لم أكن يومًا أفكر بتلك الانتهازية... ماذا حدث لي لتموت إنسانيتي لهذا الحد؟

نظرت لي أميرة بعدما اختفت منى بتعجب شديد متسائلة:

- مالك يا سليم؟



وكأنني اتخذت قرارًا بحسم شديد:

- أميرة أنا افتكرت مشوار مهم لازم أروحه.

- ومامتك؟

- هكلمك اما اخلص.

ساد الصمت لحظات ...نظرت إليَّ بعينين حائرتين:

- هو انا عملت حاجة ضايقتك؟

- أبدًا يا أميرة هكلمك.

هبطت من سيارتي وفتحت لها الباب لتنزل...تركتها بمنتصف الطريق وانطلقت بالسيارة مسرعًا..لعلي أجد حلًّا لها ولي..

في ساعة واحدة كنتُ أقف بتلك الغرفة اللعينة أسفل سابع أرض أمام عرش ناصور..نفذ لي أبو الوفا حينها دون مناقشه وطلب عباس أبا خطوة لجلسة سريعة ببيتي الملعون...كان متعجبًا للغاية من طلبي الذي ألقيته كالقنبله بوجه ناصور...طلبت منه أن يعفي تلك الفتاة من الموت...لن يقدم له الجان القابع داخلها قرينًا شيئًا أكثر من ال٩٩ الآخرين ..سأفعل له الكثير والكثير ..من المؤكد أنه سيمتثل لطلبي ذلك ...إنها لا تستحق الموت ...

كان ينظر إليَّ من فوق عرشه دون مبالاة ...على وجهه ابتسامة ساخرة..أنهيت طلبي..ساد الصمت بيننا لحظات...نهض من على عرشه وهبط نحوي على درجاته...



وقف أمامي ناظرًا بعيني الحادتين الممتلئتين بكل كـره لـه ولحظتـه اللعينة:

- موافق.

قالها وأنا أكاد أطير فرحًا.

- بجد؟

- بس بشرط واحد!

- هنفذلك أي شرط.

- استنى لما تسمعه، عايز تكون شهم وبتتوسط لبنت جميله عجباك ..حقك انت بشر ومن حقك

تحب وتعيش .. واحنا كمان من حقنا نـدافع عـن وجودنـا ومـابين حقك وحقنا لازم يكون فيه

اتفاق.

- اتفاق إيه؟

- تتنازل عن حقك في البيت وعن الفلوس اللي كنا هنديهالك.

- اتنازل؟

وكأنه يواجهني بحقيقتـي اللعينـة..كاشـفًا لي كـل إنـسانية زائفـة اتشحت بها طوال حياتي.

- الحب مقابل الفلوس مينفعش الاتنين سوا.



قالها بابتسامة خبيثة أكرهها.

حاولت التبرير:

- الحكاية مش حب...

قاطعني ببرود شديد:

- ميشغلناش المسميات.

- بس أنا؟

قاطعني هذه المرة بحدةٍ ناظرًا بعيني ليفرض سيطرته عليَّ مرة أخرى

- وبرضه هتكمل بقية القايمه ..هتكمل ال ١٠٠ كلهم.

أُلْجِمَ لساني تماما..خَيَّمَ الصمت فوق رأسي، وكأنني أغرق بأبشع بحر وسط أمواج عاتية تلتهمني ..تدخَّل أبو الوفا محاولًا إنهاء تلك المشكلة:

- لمؤاخذه يا سعادة الباشا الجن اسمحلي اتدخل ..هو لمؤاخذه يعني عدل اننا نكمل القايمه كلها ونطلع في الآخر بلوشي.

- الحب ولا الفلوس؟

كان يعلم إجابتي مقدمًا...إنا الإنسان الذليل..أنا عبد المال منذ قديم الأزل..هم يعلمون ذلك جيدًا ...لذلك هم أحق بالأرض منا..هذه حقيقة لا بد أن أعترف بها..نظرتُ للأرض مبتعدًا عن عينيه الواثقتين بموافقتي ...قهرني مرة أخرى...انتصر عليَّ مُجددًا..



جلست أشكو ذلتي وهواني ببيتي الملعون بعدما انصرف أبو خطوة ...ربت أبو الوفا على كتفي مواجهًا لي بالحقيقة مرة أخرى ...كنتُ شاردًا أبكي:

- هقولهالك تاني يا صاحبي، أبويا زمان قالي عشان تنجح يا بني في الدنيا دي لازم تحط قلبك تحت

رجليك عشان زمنا ده زمن المصلحة، لازم نكمل يا صاحبي العمر مفضلش فيه اللي يجيبلنا فرصة زي دي.. فلوس بالهبل ومن حقك، هنعيش ملوك وتشترى بفلوسك مليون

قلب وقلب واللي تشاور عليها هتجيلك تحت رجليك.

- إنت ليه مش فاهم انا مش بحبها.

قلتها بعصبية شديدة:

- أمال يا صاحبي؟

- صعبانه عليا يا أخي ..صعبان عليا أحلامها اللي هنهرسها تحت رجلينا.

نظر حينها بعيني:

- واحنا كان حد رحمنا يا صاحبي ومهرسناش، دي الخلق كلها رجليها معلمه علينا

حد هيرحمنا لو قولنا لا، وهنروح بعيد ليه، ماحنا قولنا ولبسنا قضية متخرش المايه



ومحدش صدقنا ولما قلنا اه خرجنا منها زي الشعره من العجين.

وقف أبو الوفا ومد يده لي لاستكمال مهمتي الحتمية..

- قوم قوم يا صاحبي مترفسش النعمه، قوم مبقاش فيه وقت اليوم قرب يخلص.

أمسكت يده ونهضت ...وقفت ..أحاول التماسك مُلقيًا كل مشاعري وراء ظهري..واضعًا تحت أحلامها وقلبها قدمي بل قلبي أيضًا..ذلك المعذب طيلة عمري..علي تخديره الآن..لا مفر من ذلك...لا وقت لتلك الأحلام على أرض الواقع..إنهم يفترسون أحلامنا...تبًّا لذلك الضمير القابع داخلي يؤلمني دون هوادة مدافعًا عن وجوده بكل قوة..لن يُجدي معه التخدير...لا بد لي أن أواجهه بالحقيقة..أخبره أنني لن أستطيع الاستماع له الآن...لن أتمكن من تنفيذ رغباته وأحلامه...أتضرع إليه ليمنحنى الصبر واعدًا له بشيء واحد فقط..التوبة...نعم التوبة من كل تلك الآثام بعدما أنتهي من تلك الأزمة اللعينة...سأتبرع حينها بربع ذلك المال للمحتاجين والفقراء..لا بد أن دعواتهم ستهون علي تلك الآثام والذنوب ..إن الله غفور رحيم..سيغفر لي حتمًا ...التوبة..إنها الحل الوحيد...





عروسة ماريونيت

(اليوم السابع والثلاثون)

ضجت قاعة المحكمة بالصحفيين والمصورين...سبعة وعشرون يومًا مضت على القبض على سيد الدمنهوري ...جلس سيد وابن أخته مرتضى الدهشان والترقب بأعينهما بقفص الاتهام ...أولى جولات محاميهم الهمام المخضرم الطاعن بصلب القضية من أساسها...قائمة طويلة من الشهود المطلوب شهادتهم وبالطبع لم يحضر أحد ...كان بارعًا في اكتساب الوقت دائمًا وذلك ما طلب منه بالفعل...بدأ مرافعته كالطاووس يتباهي بريشه الزائف...كان الدمنهوري شاردًا طوال المحاكمة..لم يكن عليه أن يقف أمامهم ويتحداهم مطلقًا...ظن أنه سيقوى على مواجهتهم والاستغناء عنهم...هؤلاء التجار المسيطرين على سوق المخدرات بأكمله..ندم الدمنهوري داعيًا الله أن يخرجه من ذلك المأزق بخير وسلام.

نظر إلى القاضي الجالس بكرسيه كالأسد يحكم وسط مملكته ..كل ما كان يخاف منه أن يستمع يومًا ما إلى صوته يجلجل بتلك القاعة:



- بعد الاطلاع على المواد الخاصة بتلك
الجريمة من قانون العقوبات وقانون
الإجراءات الجنائية حكمت المحكمة
حضوريًّا بإجماع الآراء على كل من
سيد عبد العال الدمنهوري
ومرتضى توفيق النشارتي
بإحاله أوراقهما إلى فضيلة المفتى
وذلك عما أسند إليهما بجريمة
الاتجار بالمخدرات لإبداء الرأي.

الإعدام..الشبح القاتل ...صوته المحتمل يكاد يكتم أنفاسه..حبل المشنقة يلتف حول رقبته بمجرد تخيل ذلك..

ساعة كاملة قضاها محاميهم دون أن تخرج منه بجملة مفيدة ..مجرد مرافعة عامة منمقة، اضطر القاضي على أثرها للتأجيل لحين استدعاء الشهود مرة أخرى..

خرج الدمنهوري ومرتضى تحت حراسة مشددة لسيارة الترحيلات متجهين إلى السجن الاحتياطي ...كان الدمنهوري صامتًا طوال الطريق، وكأنه ينتظر شيئًا ما..نظر إلى مرتضى بترقب والعرق يتصبَّبُ من جبينه..ساد الصمت التام بينهما...



كانا على الطريق الصحراوي وخلفهما سيارة شرطة تحرسهما.. كان يومًا عصيبًا ..اختفى الأكسجين تقريبًا من الهواء، وكأنك تبحث عنه بصعوبة لتستنشق ما يكفيك لتبقى على قيد الحياة..الشمس حارقة ترسل حرارتها عليهم دون ساتر ...

فجأة ظهر المنتظر..سيارة نصف نقل خرجت من داخل الصحراء مسرعة للغاية...كان على ظهرها بعض الملثمين المدججين بأسلحتهم النارية..رصاص كثيف انهال على طاقم الحراسة بالبوكس ..اختلت عجلة القيادة من سائق البوكس وانقلب بمن فيه..ومات الجميع به ..لم يستطع سائق سيارة الترحيلات إلا أن يتوقف خوفًا من الموت..

اقترب أحد الملثمين من باب عربة الترحيلات طالبًا من أحد الجنود المرتعش أن يفتح الباب..فتحه مرعوبًا أن يلحق بزملائه برصاص احدهم...هبط الدمنهوري ومرتضى سريعا بالسيارة النصف نقل التي انطلقت سريعا تاركة وراءها شلالًا من دماء رجال الشرطة المختلطة.

هرب الدمنهوري بتلك السهولة..نظر خلفه ليودع مصيره الحتمي ...ليودع الإعدام..هرب لينقذ حياته وحياه ابن أخته ..ولم يبقَ سوى شيء واحد فقط..ألا يعود لذلك المصير مطلقًا..عليه إكمال خطته إلى النهاية..أو بمعنى آخر عليهم تنفيذ اتفاقهم للنهاية...قد أوفى بوعده معهم وصمت طوال فترة التحقيق..وهم أيضًا أوفوا بوعدهم وأنقذوه.. وصلت السيارة النصف نقل إلى أحد المخازن المهجورة وسط الصحراء...الطريق الصحراوي يبتعد عن ذلك المخزن بحوالي ٨ كيلومترات.



هبط الدمنهوري ناظرًا حوله ...سيارة أخرى سوداء اللـون يقـف حولها بعض الرجال المدججين بالأسلحة النارية..أحد الرجـال ضـخم الجثة يستقبله بحفاوة شديدة:

- حمد الله ع السلامة يا كبير.

نظر إليه الدمنهوري بابتسامة خفيفة متسائلًا:

- أمال فين الباشا؟

- على وصول ...اتفضل استريح.

نظر حوله ..المكان مهجور والأتربه تغطيه.

- أستريح فين؟

- في أي حتة أرض الله واسعة اهي.

سأله ساخرًا

- تحب تشرب حاجة؟

جاوبه بنفس السخرية:

- عندكوا شاي؟

- فتله ولا كشري؟

- زرده بالنعناع.

- يا سلام انت تؤمر.



أشار لهما ليدخلا وراءه ذلك المخزن المهجور..تحركا ومرتضى يهمس للدمنهوري:

- أخيرًا خرجنا منها يا خال.

- لسه.

- كانت غلطة كبيرة لما غيرنا، بس هما طلعوا رجاله ووفوا بوعدهم اهو.

- مش لسواد عيونا يا مرتضى...لو كنا اتكلمنا كانت اتطربقت ع الكل.

- اه بس متنساش انهم كانوا يقدروا يخلصوا مننا وخلاص.

نظر إليه الدمنهوري ضاحكًا ...

- شرف المهنه.

انهمك الاثنان بضحك هستيري انتبه لهما الرجل ضخم الجثة ضاحكًا معهما.

- طب ما تضحكونا معاكم.

- لا ده خالي قالي نكته.

❃ ❃ ❃

وصل الغضب لمنتهاه عند ميرهان سميح..علاقتها بزوجها أشرف تزداد سوءًا يومًا بعد يوم...لم تعد تحتمل أكثر من ذلك...لم تعد حتى تراه إلا وهو مخمور..



لم يعد يهتم بعمله وأحيانًا كثيرة يبقى خارج البيت أكثر من يـومين، وعندما يعود لا يحدثها مطلقا...وكـأنه لا يراها..وكأنها غـير موجـودة بحياته مطلقًا..

قصت ميرهان لوالدها ما تعانيه مجددًا.. تحكي له وهي تبكي ...

ثلاثـة أيـام مـضت وهـي لا تعـرف عنـه أي شيء...حتـى هاتفـه المحمول لا يجيبها عليه...

اتصلتْ به مرارًا وتكرارًا وهو يرى اتصالها ولا يجيب...

كـان أشرف بمكتبـه بالمستـشفى ..فَـضَّلَ أن يبتعـد عنهـا حتـى يتلاشاها مطلقًا..أو ربما ليعيش برحاب حبه المفقود...حبه لعـلا الـذي سيطر على كل حواسِّه وكأنهـا حالـه مرضـية أحبهـا ولا يرغـب حتـى بعلاجهـا .. يـشاهد صـورها عـلى اللابتـوب الخـاص بـه طـوال اليوم..والدموع تملأ عينيه ..وكأنه بعـالم آخـر يحلـق بعيـدًا مـع عـشقه الممنوع...

يقضي طوال الليل يحدث نفسه مخمورًا ..كـم تمنـى أن يبـدأ حياتـه مجددًا مع علا بعيدًا عن تلك المشكلات المحيطة به! كم تمنـى أن يـصبح شخصًا آخر غير ذلك المحمل بمصالح وصفقات والده!

كانت ميرهان تعلم بوجـوده بالمستـشفى لـيلا...كبـير الممرضـين متولي يبلغها كل شيء عن أشرف مقابل مبالغ من المال تعطيه إياه من آن لآخر...وكأنه عينها بالمستشفى...

طلبت ميرهان من والدها فهمي سميح أن ينهي تلك المهزلة..عليه أن يطلقها من أشرف، ليذهب الى الجحيم بعيدًا عنها..



فكر فهمي مرارًا وتكرارًا ناظرًا لها ..ابنته الوحيدة تتعـذب ولكنـه لن يستطيع..صراع رهيب بداخله...نظر إليها مُشفقًا عليها:

- مقدرش اعمل كده ...على الاقل دلوقتي.

- هو أنا مش بنتك ولا إيه؟

- الأمور متتاخدش كده يا ميرهان.

- يا بابي بقولك أنا بقيت عايشه مع واحد مجنون ..لا طـايقنى ولا طايق

نفسه ...يختفي بالأيام ولما يظهر يرجع بريحة الرقاصات، وحتى لو فضل في البيت بيفضل يشرب لحد ما بيُغمى عليه.

اقترب فهمي منها ونظر بعينيها مُربتًا على كتفها.

- طب ما تجربي تتكلمي معاه بالراحه.

- اتكلمت مية مرة وهو ولا هو هنا.

- يا بنتي أنا هتكلم معاه بنفسي.

نظرت له بعصبية شديدة تُغالِبُ دموعها

- أنا مش عايزه...

- مينفعش يا حبيبتي

- لا...أنا مش عاوزاه ...لازم يطلقني

صرخ بها فهمي بعصبية:



- يوووووووووه ..قولتلك مش هينفع مقدرش ...أبوه محاوطني بجمايله في رقبتي ..

حاول فهمي السيطرة على انفعاله مقتربًا منها:

- ميرهان أوعدك إني هتكلم معاه وهلاقيلك الحل بس لحد ما ده يحصل توعديني تتحكمي في أعصابك وتكوني قد المسؤلية. اتفقنا؟

مأساة حقيقية تعايشها ميرهان كل لحظة...ما أصعب أن تعايش إنسان يعشق غيرك! ترى ذلك بعينيه كل لحظة ...عيناه اللتان تفضحانه بكل مرة تتلاقى أعيناهما بها عنوة...

لم يكن أشرف يهيم بحالة عشقه لعلا فقط...بل تخطت حالته المرضية إلى ما هو أكثر من ذلك..كان يُراقِبُها عن بعد..يراقب أنفاسها...تحركاتها...محاولًا التقرب منها بأي شكل ممكن حتى وإن كان بتلك الطريقة العجيبة...

خرجت علا ذلك النهار بسيارتها متجهة لحى المنيل..إلى أمير ...كان أشرف خلفها يُراقبها ...دون حتى أن يعرف لماذا يفعل ذلك؟ وما مداه ونهايته لديه؟ ولكنه فقط يراها..يستمتع بعبيرها ...حتى وإن كان عن بُعْدٍ..

دقت علا الجرس ..فتح لها الباب أبو الوفا..كنا بالداخل نجهز لليوم التالي وضحيتنا القادمة...منحنا ناصور بخطته يوم راحة..ليعطينا الفرصة لنلتقط أنفاسنا...

اصطحبني أبو الوفا صباح ذلك اليوم لمكان عجيب كان بحارة الدرب الأحمر..شقة مغلقة بالدور الأرض مغطاة بالدخان ...أخبرني



أبو الوفا أنها ملتقى المزاج أنشأها أحد أهالي المنطقة ..للحق كان مكانًا عجيبًا للغاية...موجات من الدخان تجتاح الشقة بأكملها تحمل رائحة عطرةً تبعث بنفسك السعادة بمجرد اشتمامها. عرفت من أبي الوفا أنها مخدر الحشيش..جلسنا بأحد الأركان ..جاء أحدهم ووضع لنا نارجيلتين ورصَّ لنا الفحم ...مُرحِّبًا بنا وبأبي الوفا خصيصًا..يبدو أنه زبون دائم لديهم..الجميع هنا كل يجلس في حاله..هو ودخانه فقط..التفت رأسي مع أول تلك الأنفاس المغمسة بالحشيش..كانت المرة الأولى التي أتذوق فيها ذلك المخدر ...أنا المتنقل بين دول العالم باحثًا عن لقمة العيش لم أمس أي أنواع المخدرات ..حتى النساء كنتُ زاهدًا فيهن...٤٠ عامًا وكأنني راهب أعيش على ذكرى حبيبتي الراحلة..

لكني وبعد ذلك العمر أتذوق الحشيش...ومن يدري ماذا سأتذوق أيضًا بعد أن أصبحت صورة باهتة من كاظم نصر والدي الكريه..التنازلات تبدأ بخطوة واحدة ..وقدماي وطئتا تلك الخطوة فلن أسأل أو أتعجب بعد الآن ..

استمعتُ حينها إلى موسيقى راقصة دخلت على أثرها إحدى الفتيات ترقص بدلال شديد..تتمايل حول هؤلاء المخدرين بدخانهم..رقصتها الشرقية تثيرني للغاية..جسدها وخصرها مغريان..نظرت إلى جسدها بشهوانية للمرة الأولى في حياتي ..أكاد أجزم أنني رأيت فتيات عاريات تقريبًا بإحدى الدول التي سافرت إليها ولم أشعر تجاههنَّ بأي شهوانية أو إغراء..ولكن الآن أشعر



بذلك...كنتُ ألتهمها بعيني والدخان يتلاعب برأسي..نظر أبو الوفا ناحيتي ملاحظًا إعجابي بها...

-إيه يا صاحبي عجباك؟

- هاه..مش عارف!

-هي دى فيها مش عارف ..عجباك ولا مش عجباك؟

نظرت لأبي الوفا ...سألته محاولًا الهروب من ذلك الإحساس بالشهوانية:

-هو انت متجوزتش ليه لحد دلوقتي يا أبو الوفا؟

بادلنى سؤالي بسؤال آخر:

-انت متجوزتش ليه؟

- أنا؟

-أصل يعني انت كنت بره وبنات بره يردوا الروح.

أخذت نفسًا عميقًا من نارجيلتي ونظرتُ له مبتسمًا:

- عمري ما شفتهم كده.

-أمال شايفهم ازاي؟

-شمع.

- إيه؟



-شمع ..جسم شمع من غير روح.

تعجب أبو الوفا من ذلك التعبير الفلسفي.

-أول مرة أسمع حد يقول كده دول حلاوتهم تحل من على حبل المشنقة يا سلام لو الواحد اتجوز

واحدة منهم تبقى الدنيا فتحتله دراعتها!

-أهُم عندك اما نخلص خد بعضك وسافر واعمل اللي انت عاوزه.

ضحك أبو الوفا ناظرًا للراقصة المتمايلة بدلال بالقرب منا.

-لا يا عم برضة البلدي يوكل واحنا بنشجع الصناعة المحلية . مقولتليش بقه عجباك ولا لا.

كانت إجابتي واضحة..نعم أشتهيها...لم أدرِ كيف أقنعها أبو الوفا أن تلحق بنا بالبيت الملعون...دخلت غرفتي وجلس أبو الوفا بالخارج ..كنتُ معها بمفردي ...لأول مرة بحياتي أشتهي امرأة ...نظرت لثنايا جسدها الصارخ الأنوثة.. عيناها تناديانني لأمارس معها أعتى أنواع الجنس...خلعت ملابسها واستلقت تنتظرني على سريري...غبتُ معها عن الوعي مخمورًا بجمالها...أذاقتني من بحور لذّتِها، وانصرفت تاركة خلفها شعورًا جديدًا بعذاب الضمير يُضافُ لما سبقه..تنازل جديد في سلسلة لا أعلم أين ستنتهي بي...

ابتسمت علا لأبي الوفا ابتسامتها الساحرة بعدما فتح لها الباب:



- مساء الخير.

-مساء النور يا دكتورة.

- ازيك يا أبو الوفا.

-الحمد لله كله كويس.

-يا ترى أمير هنا؟

كنتُ قد استمعتُ إلى صوتها الحنون...وثبت ناحية الباب لأتأكد:

- مين يا أبو الوفا؟

نظر لي أبو الوفا بضيق لأول مرة..وكأنه يغار من وجودها...

-علا..قصدي دكتورة علا.

-اتفضلي. أهلًا وسهلًا.

دخلت علا على استحياء..لم تمكث أكثر من خمس دقائق..الليلة ستحتفل بعيد الميلاد السابع لابنها إياد ...طلبت منا الحضور للاحتفال معها...دعوة رقيقة من أرق مخلوقة على وجه الأرض..هكذا كنتُ أراها خاصة بعد أن وجدت ضالتي بها...وجدت حبيبتي الراحلة بداخلها ..ابتسمت لنا مؤكدة دعوتها للاحتفال وانصرفت...

كنتُ في غاية السعادة ..وكأنها طوق نجاة أُلقي لي ليُخرجني من حالة الصراع النفسي بداخلي ...لينقذني ولو مؤقتًا من صرخاتي المُتبَادلة مع ضميري اليقظ...لعله يطهرني...



دخلتُ لغرفتي سريعًا أبحث عما سأرتديه تلك الليلة. نظر إليَّ أبو الوفا بضيقٍ مُتسائلًا:

- إنت هتروح بجد ولا إيه؟

لاحظت تلك النظرة بعينيه وتجاهلتُها.

-إنت مش عاوز تروح خليك.

- أنا بتكلم عنك انت هتروح؟

-أه إيه اللي يمنع؟

-اللي يمنع اللي ورانا ولا إنت نسيت إحنا ورانا إيه؟!

كان حادًّا للغاية ...إنها المرة الأولى التي اراه فيها هكذا.

-هروح أفك شويه يا أبو الوفا..أغير.

-مانت لسه مغير من ساعتين، هتغير تاني ..مرتين في يوم واحد؟!

نظرتُ له بحدةٍ.

-قصدك إيه يا أبو الوفا؟

-هي عجباك للدرجه دي؟!

فهمت مقصده..لن أسمح أن يُدنِّس إحساسي البريء بعلا..كنتُ عصبيًّا للغاية ...نظرتُ له بحدةٍ مُتناهيةٍ:

-اسمع يا أبو الوفا... دكتورة علا بني أدمه في منتهى الاحترام ولما تتكلم عنها تتكلم بأدب.



صُدِمَ أبو الوفا من طريقتي وحِدَّتي ..نظر إليَّ مُعاتِبًا:

-أول مرة تكلمني بالطريقة دي ماشي يا صاحبي ..تشكر.

تنهدتُ مُتمالكًا نفسي...ليس علىَّ أن أحدثه بتلك الطريقة مُطلقًا..اقتربتُ منه مُربِتًا على كتفه:

- يا أخي ..يوووووه... معلش. متزعلش ..أنا والله محتاج أغير جو والنهارده مورناش حاجة

- مش كنا هنشوف هنعمل بكره إيه؟

-متشغلش بالك أنا رتبت الدنيا واما ارجع بالليل هقولك هنعمل إيه بالضبط، سيبنى بقه عشان أغير هدومى.

-ماشي.

تركني أبو الوفا وخرج...وقفتُ أمام مرآتي مشغولًا باختيار ملابسي ..نظرت بعيني المحملتين بالآثام ..شردتُ كثيرًا بهما وكأنني أنظر لنفق مظلم أبحث داخله عن بقعة نور واحدة ترشدني إلى بر الأمان ..أبحثُ عن نفسي.

❋ ❋ ❋

اقتربت الساعة إلى الخامسة عصرًا ..وقف الدمنهوري ومرتضى بذلك المخزن المهجور في انتظار باقي الخطة...في انتظار الباشا على حد تعبير الدمنهوري..ينتظر تنفيذ باقي الاتفاق المبرم ليلة القبض عليه بمحبسه...الصمت مقابل الخروج من المأزق..



ظهـرت سـيارة تقـترب عـن بعـد تُثـير عاصـفة مـن الرمـال حولها..وقفت أمام باب المخزن

انفتح الباب ليهبط ذلك الرجل المنتظر..ذلك الخفـي المـبرم اتفاقـه مع الدمنهوري..

إنه آخر من تتوقعه ..لا يمكن أن يـشك بـه أحـد مُطلقًـا..وطئـت قدماه أرض المخزن مبتسمًا للدمنهوري مُحيِّيًا هؤلاء الرجـال المـدججين بأسلحتهم...

-كفارة.

إنه الضابط محمود إمـام المـساعد الأول لحـسام شـوكت بالقـضايا المتتابعـة ..اقـترب محمـود مـن الـدمنهوري ووقـف أمامـه ...ابتـسم الدمنهوري له:

-إحنا متشكرين جدًّا يا حضرة النقيب وعقبال ما نشوفك لواء.

أخرج محمود جوازي سفر كانا بجيبه وناولهما الدمنهوري إياهما.

-الباسبورتات أهي.

-الله ينور.

ناول الدمنهوري أحدهما مرتضى فرحًا بعدما نظر فيهما:

- امسك باسبورك يا مرتضى ،ولا اقولك يا شريف نور الدين.

كان ذلـك هـو الاسـم الجديـد لمرتـضى الدهـشان بـذلك الجـواز المزور..وكذلك هناك اسم جديد للدمنهوري ..ضحك مرتضى ساخرًا



- حلو الاسم والله يا خال. مفيش منه على أحمر فاتح.

اقترب الدمنهوري من محمود إمام:

-متأخزناش مش عارف اعزمك على حاجة أصلنا احنا وانتا ضيوف على الرجاله.

أحد الرجال سأل محمود إمام:

-تشرب شاي يا باشا؟

لم يتلقَّ منه أي إجابة...يبدو أن محمود هنا لينفذ ما طُلب منه بالحرف الواحد..

نظر إليه الدمنهوري:

- الله؟ مالك يا حضرة النقيب؟

أجابه بكل جدية:

- هتطلعوا على المطار النهارده، طيارتكم هتطلع الساعة 9 بالليل، احفظوا اساميكم دى كويس هتقابلوا اللي هيعديكوا بأمان في المطار... هو هيعرفكم

- والفلوس؟

سأله الدمنهوري:

-اتحولت بره على حساب رقمه في ورقه عندك جوه الباسبور ومحطوطه باسمك الجديد



إسماعيل نور الدين خفاجه الدمرداش.

فتح الدمنهوري جواز سفره ليجد رقم حسابه بورقةٍ بيضاء بالداخل ...نظر لمحمود مبتسمًا معجبًا بتلك الخطة المحكمة:

-الله ينور.

- ومن دلوقتي سيد سيد الدمنهوري ومرتضى عبد الله مبقاش ليهم وجود.

- تمام أوي الكلام ده.

- كل أوراقكم في السجلات، السجل المدني ..القضية ..المرور ...كل حاجة هتتحرقومش هيكونلكوا وجود من أصله، أكنكم متولدتوش.

نظر الدمنهوري بفرح لمرتضى ...لم يصدق أن معاناته الفترة الماضية ستنتهي بهذه السهولة..ربت على كتفي محمود ليبدي إعجابه بما فعله.

-عملتها ازاي دي؟

- مش مهم تعرف ازاي، مطلوب مني أوامر تاني.

- الأمر لله.

-طيب.

هَمَّ حينها بالرحيل..أعطاهم ظهره آملًا أن تنتهي تلك الأزمة على خير..لم يكن محمود بحالته الطبيعية ...وكأنه كان مجبرٌ على فعل



ذلك..يبدو ذلك واضحًا حين تنظر بعينيه ناداه الدمنهوري بعينين ثاقبتين.

-حضرة النقيب...

التفَّ له

- أيوه.

اقترب منه الدمنهوري ناظرًا بعينيه:

-من يوم ماجيتلي أول مرة في الزنزانة وقولتلي انك بتطمني على خروجي، حتى لو اتحكم عليا بالإعدام، واني لازم التزم بالسكوت زي الاتفاق وانا شايف في عينيك ميت سؤال.

تنهد محمود ...نظر بعيني الدمنهوري بحدةٍ متسائلًا:

- أنتم مين؟

- إيه حسك البوليسي طاغي عليك.

قالها الدمنهوري بابتسامةٍ خبيثةٍ للغاية.

-مش قادر أوصل لحاجة، إيه علاقتك بقضية القروض؟ ليك يد في قتل د هشام فريد؟ ليك يد في قتل يسرا وأحمد سمير وتوفيق في المستشفى؟ علاقتك إيه بالخمسة اللي اتقتلوا قبليهم؟

ألقى محمود تساؤلاته بشغف كبير..كان حائرًا للغاية وكأنه أداة في يد آخرين لا يعلم حتى كينونتهم ....ضحك الدمنهوري ناظرًا لمرتضى وللرجال المدججين بأسلحتهم النارية:



–مين دول يا كابتن؟ تعرفهم يا مرتضى؟

–أبدًا يا خال.

–حد منكم يعرفهم يا رجاله؟

–أبدًا يا معلم.

ردوا جميعًا بآنٍ واحد.

اقترب محمود أكثر من الدمنهوري وكأنه راغب في الانقضاض بيده على رقبته ليلفظ أنفاسه الأخيرة ..سأله بحدةٍ أكبر:

–أنتم مين؟

أجابه الدمنهوري بجديةٍ شديدةٍ:

– إحنا العفاريت. إحنا قوة محدش يقدر يكسرها ماسكين في بعض زى قبضة حديد لا يمكن تكسرها.

–مش فاهم.

–متحاولش تفهم إلا اللي فهمته فيه حاجات في الدنيا دي لو اتعمقت

فيها مخك يفوت واحنا منها خدنا حقيقة مسلم بيها.

–اللي هيا إيه؟

–لا تقرب ولا تفكر ..تنفذ دورك وبس.

عادت الابتسامة الخبيثة لوجهه مرة أخرى:



-أخبار الأمورة الصغيرة إيه؟ ابقى سلملنا عليها.

لم يجبه محمود...تركهم واستقل سيارته وانصرف..ضاربًا كل واجباته ومبادئه التي طالما اعتنقها منذ دخوله كلية الشرطة بعرض الحائط...خضع للضغوط ولم يقوَ على الوقوف أمام المجهول...تذكر تلك المرة التي اتصل به هشام فريد ذلك الطبيب المرتجف قبل ذبحه بيوم واحد...لعن نفسه مرات ومرات لأنه لم يصدقه ولم يُلْقِ إليه بالًا..كانت المرة الوحيدة التي قابله فيها بإحدى الكافتريات على النيل ...استمع حينها لقصته دون أن يفهم ما يرمي إليه هشام...دون أن يشعر بالخطر المقترب منه قبل أي شخص آخر..ابتسم حينها لهشام دون مبالاة.

-مش فاهم إيه علاقة اللي إنت قولته ده كله بالقضية؟ وليه عاوز تدخل دكتور أشرف ودكتورة علا بالعافيه في الجرايم دي.

حاول هشام حينها أن يجعله يرى الحقيقة الخفية...هكذا كان يراها ذلك المذبوح.

-افهمني كويس مفيش وقت، جوز علا مات في حادثة عربيه، في نفس الوقت اللي أبويا فيه لقوه منتحر في السجن في نفس الليلة، اللي كان هيقول فيها عن كل حاجة.

- اللي هي إيه بقه؟

-كان هيقول عن الشريك الخفي اللي سهلهم القروض دي ...مليار جنيه على قطعة أرض متسواش 80 مليون.



-مين الشريك الخفي ده؟

-معرفش.

-ايه العلاقة... دى قضية قديمة وخلصت بموت الاتنين والتالت على كلامك فهمي سميح خرج منها بعد ما اتحجز على الأرض لانه كان شريك بيها بس.

كان هشام متوترًا مرتعشًا ينظر حوله وكأنه يخاف من شيء ما ...

-تقدر تجاوبني: الفلوس دي راحت فين؟ مليار جنيه ملوش أي أثر.

-ده سؤال متأخر وملوش أي علاقة بالقضية بتاعتي... أسف جدًّا .. إنت كل الحكاية بتحاول تلوث شريك والدك التالت عندك إحساس انه السبب في موته بس نصيحة مني إحساسك مش في محله، بعد إذنك يا د هشام.

نهض محمود حينها لينهي حواره معه..لم يعرف أنها المرة الوحيدة التي سيراه فيها على قيد الحياة...استوقفه هشام:

-حتى لو عرفت إن فهمي بيه ده يبقى نسيب د أشرف أبو مراته.

-سلام يا دكتور.

لم يدرك حينها أن الخوف والرعب سيتسللان إليه حينما يراه مذبوحًا صباح اليوم التالي...الرعب من ذكر أي شيء حتى وإن كان لحسام... أخفى حينها معرفته بالمجني عليه تمامًا، ولا يعلم لماذا فعل ذلك...ربما الخوف من الجاني...الخوف من المجهول...



خوفه كـان يـزداد ويتنـامى يومًـا بعـد يـوم..صـوتان متـصارعان صارخان داخله بنفس القوة..الخوف واللا خوف...تذكر كيف حـاول مرارًا وتكرارًا إبعاد حسام عن تلك القضية دون أي سبب آخـر سـوى خوفه... عذاب شديد عاش به محمود تلك الأيـام وكـأن هنـاك عيونًـا تُراقِبُه لا يعرف أين هي ..يشعر أنها سـتنقض عليـه بـأي لحظـة لتنهـي حياته..ذلك الخوف الذي قهره حينما أخبر القناص عن تلك المعلومات التي استنبطها من مقابلته مع هشام بعد موتـه ...انتـصر حينهـا واجبـه الشرطي على خوفه ..لكن سرعان ما تمكَّن منه الرعب مرة أخرى حينما سقط القناص بيد الغدر المجهولة بنفس اليوم الذي قهر به خوفه، وكأنه يعيد إليه ذلك الانتصار بهزيمة ساحقة ولكنها ليست له ..إنهـا لأقـرب زملائه..القناص...أدرك حينها أنه لا مَفَرَّ مـن ذلـك المجهـول..ذلـك المارد المالك لخيوطه ..يحركهم جميعًا كعرائس ماريونت...لن يقووا على الرفض مهما يكن...دون أن يعلم مَنْ ذلـك المـارد...أدرك حينهـا أنهـا فقط البداية...تذكر ذلك

الـصوت الـرخيم المتـصل عـلى هاتفـه المحمـول ..الـرقم مجهول..القناص على أجهزة التنفس بالعناية المركزة أمامه بعد سـاعات من سقوط القناص برصاصهم..كان يعلم أنه هو..المارد..

–لو عاوز السلامة ليك ولبنتك ومراتك نفذ اللي هقولك عليـه بالحرف الواحد.

التهمه ذلك المارد بكلماته تلك ...لن يقوى يومًا ما أن يرى ابنته أو زوجته بنفس حال القناص..أقـسم حينهـا عـلى تنفيـذ كـل مـا يُطلـب



منه..دون حتى أن يعرف مَنْ هؤلاء، وما مصلحتهم في طلباتهم تلك...ساعدهم على تهريب الدمنهوري...أرشدهم إلى خط سير سيارة الترحيلات...استخدم سلطاته ليؤمِّنَ له خروجًا آمِنًا من مصر... وجاءت الخطوة الثانية..وصل محمود إلى مستشفى الشرطة...كان ذلك وقت غروب الشمس...إنه وقت تبديل الحراسة على غرفته..أُرسل الجندي المكلف بالحراسة في مأمورية سريعة للمديرية...جلس باكيًا بجوار حسام شوكت الغائب عن الوعي.. المكان يضج بأصوات الأجهزة..لا يخالطها سوى صوت بكائه.

نظر لحسام وهو يغالب دموعه هامسًا له:

- طول عمري شايفك قدوة لازم أي ظابط مباحث يحطك قدامه ويقلدك ..عمري ما غيرت من نجاحك ولا من ذكائك اللي كان بيحل قواضي متخطرش على بال حد. فاكر كلامك كله ...بيرن في وداني: "الحكاية تبان من بعيد غامضة ومحيرة لكن كل ما تقرب منها هتبان ملامحها أكتر واكتر ..ويبقى ناقص تمد إيدك تشد القناع عشان تكشف كل الحقيقة"، مش كل الضباط زيك يا حسام كتير مبيقدروش ...أنا فكرت كتير أقاوم بس أديك شايف إنت اتعمل فيك إيه، ودكتور هشام ولا التلاته بتوع، القضية والخمسة اللي قبلهم، عدو خفي بيلعب من ورا ستارة سودا مداريه كل ملامحه، محدش قادر يشوفه ولا يعرفه، مكنتش قدامى غير إني أنفذ طلباتهم من غير حتى ما اعرف هم مين، ولا علاقة كل ده ببعضه، في حاجات في حياتنا لازم ناخدها من المسلمات ..الشمس ..القمر، الموت ...العالم الآخر... ودول..أنفذ اللي بيقولوه من غير تفكير أو مناقشه ...



انهار حينها مرتجفًا...

- يرضيك يقتلوا بنتي ..أول فرحتي؟ إنت مش كنت عاوز تجيبلها هديه

في عيد ميلادها الأول خلاص هانت باقي خمس شهور وتكمل

أول سنه في عمرها وهبقى أقولها أونكل حسام كان بيحبك وهجيبلها الهديه اللي انت قولتلى

عليها.

غالب دموعه حينها...نهض من مكانه مقتربًا من حسام..أزال جهاز التنفس باكيًا

- أنا أسف يا حسام ..مقدرش أقول لا..ولادك في عنيا سامحني ...سامحني.

شرع محمود إمام بكتم أنفاس حسام شوكت...تفاجأ حينها بيد حسام تمسك يديه بقسوة..نظر بعينيه مذهولًا...إنه يراه واستمع لكل ما قاله...كان حسام قد أفاق منذ يومين، وطلب من والده والطبيب المعالج له بإخفاء ذلك عن الجميع حتى زوجته لأنه يشك بشيء ما بداخله ..كان يعلم أنهم سيحاولون قتله مرة أخرى..ولكنه لم يخطر بباله مطلقًا أنهم سيقتلونه بيد زميله وصديقه ..بيد محمود إمام..انتفض محمود مرعوبًا تاركًا حسام.

- حسام؟



دخل حينها والده اللواء شوكت شاهرًا سلاحه الناري بوجه محمود...

- مكانك يا حضرة النقيب.

أدرك حينها أن الموت سيكون ملاذه الأخير..سَيُسِيمُونَه سُوء العذاب مرارًا وتكرارًا حتى يتمنى الموت...أصبح الآن كارتًا محروقًا للجميع...ومهما يقل فلن يصدقه أحد...لن يصدقوا أنه لا يعرفهم وأنه كان ينفذ أوامرهم عن بُعْدٍ..لن يصدقوا أنه مجرد ...عروسة ماريونيت.





المِفتاحُ السِّحريُّ

(اليوم الخامس والثمانون)

الحب..من أنقى ما تشعر به بحياتك ...إذا أحببت حقًّا فاعلم أنك امتلكت الدنيا بكل ما فيها ..كطائر يُحلِّقُ بعيدًا عن أرضه ضاربا بجناحيه كل الهموم والأزمات...

للحب حياة بعيدة تختلف عن حياتنا الاعتيادية..كل شيء فيها ينعشك ...يُشعِرُك باللَّذة.. بالسعادة الأبدية...هل أدركت اللذة من قبل؟ هل قادتك امرأة إلى تذوق لذتها؟

الحب هو الجنة..الحب هو علا ..تلك الرقيقة التي سلبت قلبي من النظرة الأولى..عبيرها الأخاذ يرفرف حولي دائمًا...ابتعدت عنها ما يقرب من خمسين يومًا أو أقل لأكن دقيقًا هي ٤٨ يومًا ...لم أنسَ مُطلقًا ذلك اليوم الشاهد على أعيننا ...الشاهد على ميلاد عشقنا الأبدي ...يوم الاحتفال بعيد ميلاد ابنها الحبيب إياد ..كانت



كالملاك..ضحكاتها..لفتاتها...عيناها..آه من عينيها الساحرتين...يا ليتني أجلس طوال حياتي أنظر إليهما ...أغرق في بحرهما..أستنشق نسيمهما..أحبهما..أعشقهما بكل حواسي..جلست حينها على أحد الكراسي الفخمة أنظر إليها بإعجاب شديد...كانت تعزف مقطوعة موسيقية ساحرة على بيانو كبير كان بصالة فيلتها..اكتشفت حينها جانبًا جديدًا من شخصيتها...إنها رائعة ...ساحرة..موسيقاها تأخذك بعيدًا بعالم آخر بديع لا ترغب مطلقًا في الخروج منه مرة أخرى...كنتُ بمفردي والأطفال تلعب بالقرب مني وسط الزينة الملعقة بكل مكان بالفيلا..لم تَرَني علا حتى هذه اللحظة ...كانت مشغولة بعزفها الأخاذ..انتهت من عزفها ونظرت خلفها لتراني...اقتربت مني بابتسامتها الخلابة:

- ميرسي أوي إنك جيت.

- مقدرش أتأخر أبدًا.

- اتفضل.

- شكرًا.

كنتُ مرتديًا أحسن ما عندي..بدلة أنيقة سوداء اللون جلبتها معي من آخر بلد كنت به...

أعجبني فستانها السواريه الأسود للغاية..لم يكن هناك غيرنا والأطفال ومهرج يلاعبهم ...وفرقة صغيرة من ٤ أفراد تعزف موسيقاها بأحد الأركان...على بيانو وجيتار وطبلة وساكس...



- بس أنا مش شايف غير الأطفال!

جلسنا على كرسيين أحدهما بجوار الآخر.

- أنا ماليش حد غير إياد هو كل حياتي، وبحب كل سنة أعمله حفله ليه هو وصحابه هنا، نفسي أعمله كل حاجة وميتحرمش من أي حاجة زي ما نا اتحرمت.

- طب وأهالي صحابه فين؟

- مش معنى إن الولاد صحاب إن الأهالي تبقى صحاب، أنا بحب أبقى في حالي الناس غالبا بتبقى مزعجه.

ابتسمتُ لها ..أدركت حينها مدى قُربى منها..إنني الإنسان الوحيد المسموح له باختراق منظومتها المحكمة..أنا المختار وسط الجميع لأحضر ذلك الاحتفال بالقرب منها...

ابتسمت لها متسائلًا:

- هو فين إياد؟

- لحظة واحدة.

نهضت من جواري..استنشقتُ عبيرها ..ذاب قلبي حُبًّا لها...دمعت عيناي رغبةً فيها... اقتربت مرة أخرى ومعها إياد.

- سلم على أونكل أمير يا إياد.

- أهلًا أهلًا أهلًا ..إزيك.



صافحني بحرارة وبراءة الأطفال متسائلًا:

- الحمد لله ..إنت اسمك إيه؟

- أنا اسمي أمير وإنت؟

- ما مامي قالتلك سلم على إياد مسمعتهاش؟

- إياد ...عيب كده.

ضحكت ..تذكرت نفسي حينما كنت بنفس عمره...تذكرت والدتي ...

- أنا بهزر معاه يا مامى عشان نبقى صحاب ...تلعب هايد اند سيك.

- إيه؟

- استغماية.

قالتها علا لي هامسة لأفهم ما يرمي إليه...ثم وجهت حديثها إلي إياد:

- مش هينفع يا دودو هايد اند سيك،عشان صحابك يزعلوا انك سيبتهم.

- مفيش مشكلة ييجوا يلعبوا معانا.

- بص جبتلك إيه؟

اخترت هديته بعد تفكير طويل...عود موسيقى حديث ... أخرجته من لفافته وناولته إياه



- إيه ده؟

- ده عود ...حاجة كده زي الجيتار اللي هناك ده بس شرقي أكتر.

- إنت بتشرح ليه مانا عارفه. بنعزف عليه في الـ musical في الـ school.

- يعني بتعرف تعزف عليه؟

- ولا بعرف ...بس أما اكبر أكيد هعرف، شكرًا يا أونكل.

تركني وانصرف ماسكًا هديته...كان يحملها بصعوبة ...وانطلق إلى أصدقائه مجددا..

تلاقت أعيننا للمرة الأولى تلك الليلة...

- هو بياخد على الناس بسرعة كده، عشري مش عارفه طالع لمين.

- جميل أوي ربنا يخليهولك.

- مكنش فيه لزمه تتعب نفسك.

- لا مفيش تعب.

نضب الكلام...لا أجد ما أقوله ...تبًّا لذلك...غرقت في عينيها... الكلمة الوحيدة التي أرغبُ في الصُّراخ بها هي...أحبك... تمنيتُ أن يتوقف الزمن هنا..بجوارها...

سألتني:

- إشمعنى العود؟



امتلأت عيناي بالدموع...لم أقوَ على إخفائها...لا أدري لِمَا تذكرتُها الآن؟ رأيتُها حولي..تبتسم لي ابتسامتها الملائكية...أمي الحبيبة... انسالت دموعي وأنا أحكي لعلا عن أمي..أحببت أن تعرف عنها كل شيء... وكأنني ألقي همومي بأحضانها لتُغتسل ..

- كانت هدية عيد ميلادي السادس حوشت كتير أوي عشان تجيبهولي كانت عاوزاني أكمل اللي فشلت فيه.

ربتت على يدي بحنانٍ شديدٍ:

- يعني انت بتعرف تلعب على العود؟

- كسره بعد ٣ أيام قدام عنينا وكأنه مكنش عاوز يدي أي فرصة لهوا نضيف..عارفه كنت ديمًا بحس إنه حاطط إيده فوق بقى بيحاول يكتم نفسي حتى بعد ما مات لسه بيحاول.

كنتُ أعني عدوي اللدود كاظم نصر..والدي الكريه...نظرتْ بعيني لتتوقف دموعي كأنها لم تكن..سحر عجيب قفز لعيني ..

- انساه يا أمير ..انساه بقه.

- بحاول ..

- انت عارف أنا بلعب بيانو من زمان أول ما اتجوزت اتعلمته ..

ساد الصمت بيننا وكأن أعيننا طلبت منا ذلك حتى يتسنى لها الحديث...قالت لي عيناها أحبك...رأيت ذلك بهما حقًّا..وامتلأت عيناي بالعشق تجاهها ...ابتعدت بعينيها مُحْرَجةً تحاول تغيير مجرى نهر حبنا المتدفق ..



- قولي إنت هتعمل إيه؟

- في إيه؟

- في حياتك.

- أنا عندي حتة أرض في الساحل فيه مجموعة عرباويه حاطين إيديهم عليها هسافر من بكره وأحاول اتفق معاهم واحل المشكلة دي.

كنت أحاول إيجاد مبرر للابتعاد...مؤكد سأكون ملتزمًا بمواعيد تنفيذ تلك الخطة الدامية ...ولا أريد أن تعرف هي أي شيء عن ذلك...لا أريد أن تكرهني ...

- مجيبتش سيرو الأرض دي قبل كده.

- فين؟

- في الجلسات إنت نسيت ولا إيه؟

- بحاول انسى الفترة دي

نظرت بعيني مرة أخرى وكأنها تعلن عن شوقها إليَّ مقدمًا..

- طب هترجع إمتى؟

- حوالي شهر.

- يااااااه ..

طب ...ينفع أطمن عليك بالتليفون.

- أه طبعًا.



تنهدتُ مستمعًا لضربات قلبي عالية تكاد تطرب أذني ...ليست الجنة أكثر من ذلك...

ابتعدت كل تلك المدة ..٤٨ يومًا وقلبي متعلق بها ..من مكان لآخر ومن شخصية لأخرى أتنكر بها...وصوتها يأتي بآخر كل يوم ليطهرني ..كنت أضع كفي اليسرى على كل جهاز من أجهزة الخلاص لأنهي بها حياة إنسان وأحرر قرينه وقلبي ينبض بحبها آملًا بالعيش بجوارها بعد الانتهاء من تلك المهمة اللعينة..

انتهت نصف المهمة ...كنت واقفًا فوق جبل المقطم أتابع غروب الشمس متشوقًا لرؤيتها...٤ أيام راحة سأقضيها معها قبل أن أختفي مرة أخرى مدة مماثله لأعود بعدها وأبقى بجوارها للأبد...استنشقت عبير الغروب ...التفتُّ خلفي لأراها..منى السماك.

حبيبتي الراحلة...لم أرها منذ أن حلت علا محلها... شعرت بالذنب تجاهها دون حتى أن أعرف سبب ذلك..لا أدري لماذا هما الاثنتان شخصية واحدة عندي..وجدتها بروح علا...كنت أراها بعينيها...امتلأت عيناي بالدموع حين رأيتها....اقتربت منى مُبتسمةً ونظرت بعيني

- أنا مش زعلانة ...أنا مبسوطة، أنا عارفه إني هنا ومش هخرج من هنا.

كانت تشير ناحية قلبي:

- أبدًا، صح؟



أشرتُ لها بالإيجاب وانسالت دموعي ..همست لي:

- متسجنش قلبك معايا..سيبه يطير ويرفرف ويحلق فوق في السما لأبعد حد ..

تنهدتُ مُبتسمًا لها محاولا التغلب على دموعي ولم أستطع..سألتني:

- بتحبها؟

أشرتُ لها بالإيجاب مرة أخرى.

أمسكت يدي وقبلتها...نظرت بعيني وقبلت خدي..

- خلي بالك من نفسك، أنا كده لازم أمشي.

هَمَّت بالابتعاد...استوقفتُها مناديًا لها:

- هشوفك تاني؟

توقفت لكنها لم ترد ..التفتت لي مُبتسمةً واتجهت مرة أخرى ناحيتي..أمسكت يدي ومسحت دموعي...استمعت حينها لتلك الموسيقى الرائعة التي تعودنا الرقص عليها معًا..رقصنا فوق سفح المقطم رقصة الوداع..والشمس تغيب بعيدًا كما ستغيب هي...

❋ ❋ ❋

عاد القناص...عاد أشرس مما كان...لا يفكر بأي شيء سوى الانتقام لنفسه ..خرج من المستشفى لمكتب مدير الأمن اللواء شاكر دون حتى أن يعود إلى منزله ليستريح ...رغبته في العودة للقضية فاقت



كل الحدود...رَحَّبَ به اللواء شاكر كثيرًا ..أصر القناص على الرجوع للقضية بأسرع وقتٍ مُتجاهِلًا رغبة اللواء شاكر بالراحة عدة أيام...ابتسم شاكر لمعرفته بطباع حسام وحبه لعمله وأخبره بما توصلوا إليه طوال فترة مكوثه بالمستشفى:

- شوف يا حسام ...مفيش أي علاقة أثبتتها التحريات بين القضية القديمة دي قضية القروض وجرايم القتل اللي بتحصل في قضيتك.

- وفهمي سميح؟

سأله حسام بشغف.

- إنت عارف فهمي سميح من أكبر رجال الأعمال اللي ليهم علاقات متشعبه مع السلطه.

- مفيش حد فوق القانون يا فندم.

- طبعا يا حسام...بس اللي قصدي أقولهولك قانونيًّا مفيش أي حاجة بتدينه وخرج من القضية بحكم محكمة لأن عقود الشراكه بتاعته معاهم كان مشترط فيها إنه ملوش علاقة بأي تعاملات بنكية بخصوص الأرض وإنه فقط شريك بحصة تمن الأرض الحكومه حجزت على الأرض وخرج منها.

- طيب مش يمكن كان مدبرها مع الشريك الخفي ضد الاتنين التانيين عشان يلبسهم ويطلعوا هم بالمليار جنيه.

- مفيش أي دليل على الكلام ده.



- إديني فرصة يا فندم وانا هجيب الدليل.

كانت عيناه مليئتين بالتحدي..

- أنا خايف عليك انت زي ابني وابوك يا ما ليه عليا أفضال.

- أرجوك يا فندم.

نهض اللواء شاكر من على مكتبه ليفكر...جلس بالكرسي المقابل لحسام:

- إعمل ده بسرية تامه وعلى فكره فيه حراسه وراك سريه ٢٤ ساعه.

- الحارس ربنا يا سيادة اللواء.

- أه طبعا بس الاحتياط واجب لحد ما نعرف، مين اللي مصر يقتلك ويبعدك عن القضية.

- ماشي...بعد إذنك.

هم حينها حسام بالانصراف ...استوقفه شاكر مناولًا إياه بعض الصور الفوتغرافية:

- استنى..خد شوف الصور دي المراقبه السريه لقطتها متهيألي هتساعدك.

تصفحها القناص سريعًا...إنها صور لنا أنا وأبي الوفا بملابس مختلفة متنكرين...صعايدة وفلاحين وشحاتين وغيرها من الشخصيات



الواضحة تمامًا بمجرد النظر بالصورة..إحدى هذه الصور كانت لراقصة وكنتُ خلفها أنقر بيدي على طبلة بأحد الملاهي الليلية...تعجب حسام كثيرًا ونظر للواء شاكر متسائلًا:

- إيه ده؟

- إنت اللي هتقولنا إيه ده؟

خرج القناص سريعًا من مكتب مدير الأمن متجها لمكتبه ...رَحَّبَ به الجميع ...شعر أنه امتلك أحد أطراف خيوط ذلك اللغز بتلك الصور...لكن عليه أولًا الانتهاء من لغز آخر يعتقد أنه متصل بتلك الجريمة...لغز محمود إمام...زميله الخائن...عليه أن يعرف سبب محاولته لقتله..ومن وراءه..لم يُحَلْ محمود طوال هذه المدة إلي النيابة ...كان قيد الاحتجاز بزنزانة انفرادية ...هكذا طلب القناص ..ولم ينطق محمود بكلمة واحدة طوال هذه المدة ...لازَمَ الصمتَ دائمًا..

جلس القناص بغرفة التحقيق ينظر إلى عينيه المنكسرتين...لم يقوَ محمود على رفع عينيه إلى عيني حسام شوكت...نظر إليه حسام بجديةٍ شديدةٍ:

- الكلام اللي هيدور بينا دلوقتي بره التحقيق، أوعدك ان كل كلمه هتقولهالى هتفضل سر ما بينا ...

ساد الصمت لحظات..انهالت الدموع من عيني محمود إمام..

- محمود ساعدني ...



- هتسامحني؟

- مسامحك

- إنت اللي هربت الدمنهوري؟

سأله محاولًا انتزاع أي معلومة منه...نظر إليه محمود ليتكلم لأول مرة منذ القبض عليه:

- فاكر هشام فريد النقراشي هو اللي قالي المعلومات اللي قولتهالك قبل ما يتقتل بيوم واحد

- وقابلته ازاي؟

- هو اللي اتصل بيا وطلب مني أوصلك المعلومات دي

- وليه مقولتليش في وقتها.

- في الأول استهزأت بالمعلومات لكن لما شفته مدبوح قدامي خُفت وتاني يوم لقيت الثلاثة إياهم مشنوقين في المستشفى خُفت أكتر.

اقترب منه القناص بشغف متسائلًا:

- وإنت عارف مين اللي قتلهم؟

- لأ. فضلت متردد إني أقولك، كان جوايا صراع مموتني بين واجبي كضابط وبين

واجبي كإنسان بيخاف على نفسه واللي حواليه لحد ما قهرت ده قصاد إصرارك



على حل لغز القضية وقولتلك وياريتنى ما قولت ولا نطقت بكلمه واحدة.

ابتسم القناص ساخرا:

- حاولوا يقتلوني في نفس اليوم.

- بعديها بساعة معرفش هل ده بسبب المعلومات دي ولا بسبب أي حاجة تانيه، جريت وراك على المستشفى، وفي عز انهياري جالي تليفون وكان هو...

قالها محمود برعب شديد مرتجفًا ودموعه تنسال بغزارة.

- هو مين؟

- اللي ورا كل ده.

- مين؟

- معرفش ..معرفش والله ماعرف والله ماعرف.

صرخ بها محمود مرتجفًا..ربت القناص على كتفه

- طيب إهدى ..إهدى. اللي كلمك ده طلب منك ايه؟

- هددنى إن مراتي وبنتي هيحصلهم اللي حصلك لو منفذتش طلباته

- اللي هي إيه؟

- أول حاجة أرفع المراقبة اللي كانت على دكتور أشرف ودكتورة علا وكمان اللي على أمير وأبو الوفا.



- وتاني حاجة؟

- أزور الدمنهوري في السجن قبل الحكم عليه واطمنه إن الاتفاق ساري.

- اتفاق إيه؟

- معرفش انا اتقالي قول الجملة زي ما هي لا زياده ولا نقصان

- وبعدين؟

- طلب مني بعدها تجهيز باسبورتين بأسامى جديـدة للـدمنهوري وابن اخته وابلغهم بميعاد وخط سـير عربيـة الترحـيلات الـلي هتنقلـه للسجن واسهله خروجه في نفس اليـوم بـره البلـد، وطلبـوا منى فـتح حساب بالاسم الجديد اللي في الباسبور بره في البلد اللي هيهرب عليها.

كان ذلك مُؤكِّدًا لشكوك حسام للغاية..دائرة الشك تنحسر حـول هؤلاء الأربعة...أشرف وعلا وأبي الوفا وأنا أمير كاظم..نظـر لمحمـود مدركًا رده قبل أن ينطق به:

- وطبعًا بعدها طلبوا منك تخلَّص عليا.

انهار محمود باكيًا:

- سامحني يا حسام أنا كنت بحمي مراتي وبنتي اللي لسه مفرحتش بيها.

تساءل حسام هامسًا لنفسه مفكرًا:



- إيه العلاقة اللي رابطة بين أمير وأبو الوفا وأشرف وعلا ..ومن ناحية تانيه إيه علاقة الدمنهوري تاجر المخدرات بكل ده ...وإيه اللي ورا قضية، القروض اللي يخليهم يقتلوا هشام عشانها وبعدها يحاولوا يقتلوني؟ ولا هما عاوزين يبعدوني عن حاجة تانيه؟!

لغز كبير يقترب القناص من فَكِّ طلاسمه..طلب من محمود عدم الإفصاح عن كل ذلك لأحد ..ويكفي محاكمته بتهمة الشروع بقتله..خرج من غرفة التحقيق سريعًا لمكتبه يفكر بكل شيء ...علاقات متشعبة ومشبوهة..خيوط متفرقة تتشابك أحيانًا لتعطيه أملًا في حل ألغازها...دق الباب ليدخل النقيب شادي...الضابط الجديد المنقول للعمل مع حسام بدلًا من محمود إمام..شادي ضابط من طراز خاص...حين تنظر إليه تتأكد أنك أمام قناص جديد، ولكنه ببداية الطريق ما زال يتعلم ...ملامحه حادة تحفظها بذاكرتك بمجرد النظر إليه مرة واحدة..أدى التحية العسكرية لحسام.

- اقعد يا سيادة النقيب.

- اؤمر يا فندم.

- إنت قائد مجموعة المراقبة اللي خدت الصور دي

كان يقصد صوري أنا وأبي الوفا أثناء مهمتنا اللعينة..

- أيوه يا فندم.

- تقدر تحددلي زمان ومكان كل صورة من دول.



- بصراحه يا فندم الاتنين دول دوخوا مجموعة المراقبه، كل يوم كانوا بينزلوا هم الاتنين في ميعاد واحد من بيت أمير اللي في...

- المنيل.

- بالظبط ...ينزلوا عادي جدًّا، يدخلوا حوش في ترب باب الوزير، وخمس دقايق يخرجوا اتنين تانيين فلاحين..فرانيين..طبلجية... صعايدة... وشخصيات تانيه كتير متصورة عند سيادتك في الصور، بيغيروا شكلهم ولبسهم تمامًا كأنهم بيمثلوا فيلم.

- وكانوا بيروحوا فين؟

- أماكن عاديه ..أسواق ...مولات.. فنادق... يخت في النيل...

- طيب كنت بتشوف أي شيء غير عادي في الأماكن اللي بيروحوها؟

- لا أبدًا.

- طب مفيش أي حاجة لفتت انتباهك انت ورجالتك؟

- لا فيه؟

- إيه هي؟

- فيه حاجة كانت بتبقى معاهم كل يوم.

- إيه؟

- شنطة سمسونيت لونها أسود.



- شنطة سيمسونيت؟!

- مفرقتهمش ولا يوم.

- وبالنسبة لدكتور أشرف ودكتورة علا؟

- مفيش أي حاجة تستدعي المراقبة كل شيء عادي وبلغنا سيادة اللواء

بكده ورفع عنهم المراقبة. تحب حضرتك نستصدر أمر من النيابة بالقبض على أمير وأبو الوفا.

- لالالالالالالالا..هعمل بيهم إيه هتقبض عليهم بتهمة إيه؟

- يعني يا فندم لو عاوز نضغط عليهم ونخليهم يعترفوا.

- سيادة النقيب ...انت عارف اني مبحبش الأسلوب ده في الشغل ..عارف ولا لأ؟

- أسف يا فندم.

- خليكم وراهم من بعيد ورجع المراقبة على أشرف وعلا.

- تاني يا فندم؟

- تاني يا حضرة النقيب!

- أوامرك ..بعد إذنك

كان أمرًا عجيبًا للقناص..ما هذه الحقيبة التي لا تُفارِقُهم أبدًا...لم يدرِ حينها أنها ذلك الجهاز اللعين المُحرِّر لقرناء الجن...نظر لصورنا



بيده متفحصًا إياها ..شعر القناص باقترابه من فَكِّ طلاسم ذلك اللغـز اللعين...

رن هاتفه المحمول ..كان عـلى موعـد مـع مفاجـأة جديـدة وكـأن القدر يقدم له قرابينه...

نقل ميرهان سميح زوجة دكتور أشرف سعيد متأثرة بجراحها إثر طلق ناري بالكتف بعدما عثر عليها فاقدة الوعي بفيلتهـا ..لغـز جديـد قد ينضم لكتيبه ألغازه ..لم يدرك حينها أن ذلك اللغز هـو القـشة التـي قسمت ظهر البعير..ما حدث لميرهان ما كان إلا بدايـة للنهايـة...نهايـة حيرتـه...ومفتاحًـا يدخلـه الـصندوق الأسـود لتلـك الجـرائم ..إنها...المفتاح السحري.





الاعتراف

(اليوم الخامس والثمانون)

كنت واقفًا على بابها تلك الليلة..لم أستطع الانتظار لـصباح اليـوم التالي ...حررت القرين رقم ٥٠ بالقرب من جبل المقطم بإحدى الشقق القريبة ...وهرعت لأدقَّ بابها والشوق يمضغ قلبـي...فتحـت ملاكـي باب فيلتها لأقفز ببحر عينيها على الفور وكأنني أحتضنها بكل ما لـدي من قوة ..نظرتُ لها مادًّا بوكيه الورود التي اخترتها لها بعناية...

- وحشتيني.

- وإنت كمان.

- وحشتك؟

سألتُها فَرِحًا.

- شهر ونص؟



- كتير؟

- مقولتليش إنت جاي النهارده؟

- حبيت أعملهالك مفاجأة.

- أحلى مفاجأة.

- بجد؟

قضيت تلك الليلة معها حتى بعد منتصف الليل ...تحدثنا بكل شيء..الكلام والحكي لا ينضب معها..جلسنا بحديقة فيلتها والزهور حولنا تبتسم لنا فَرِحَةً بلقائنا...هكذا كنت أراها...كنتُ أشعرُ دائمًا أنني لا أريد أن أكفَّ عن الكلام معها...هل شعرت من قبل أنك ثرثار؟ كنتُ كذلك وهي تستمع لي ...وكلما نظرت بعينيها الساحرتين زاد كلامي ..وكأنني كتاب مفتوح أمامها ...رغبتْ أن تعرف عني كل شيء..حتى علاقتي السابقة مع حبيبتي الراحلة ...الشيء الوحيد الذي صارعت نفسي كي لا أخبرها به هو تلك المهمة القذرة التي أقوم بها ...المهمة الدامية اللعينة..كانت تربت على يدي بحنان منقطع النظير..

امتلأت عيناي بالدموع وأنا أتذكر تلك الفترة التي طالما عانيت فيها من فراق منى السماك،

كانت تستمع لي مبتسمة كالملاك وأنا أُلقي بهمومي وذكرياتي المؤلمة في أحضان عينيها.

- أصعب حاجة في الدنيا إنك تعيشي جسد بس من غير روح



بيبقى النفس اللي داخل بيجرح أوي...واللي خارج بيجرح أكتر حتى الموت بيبقى شيء اعتيادي عايشاه كل يوم ..كل ساعة.. كل لحظه ...

- للدرجة دى كنت بتحبها؟

انسالت الدوع من عيني:

- كانت سبب وجودي. أحيانًا كتير كنت بتخيل إني أنا وهي حبينا بعض في زمن تاني ..زمن بعيد عارفه لما تشوفي حد وتحسي إنك شوفتيه وعاشرتيه زمااااااااااااااااان أوي بس ذاكرتك مش قادره تفتكره ...

- فاهماك.

- كل لحظه معاها كانت تساوي العمر كله زمان أوي أمي حكيتلي حكاية أثرت

فيا أوي.

ابتسمت لي متسائلة:

- حكاية إيه؟

- ربنا بعد ما خلق سيدنا آدم مسح على ضهره بإيده اليمين فخرج من ضهره كل البشر إلى يوم القيامه في ساحة كبيرة أكبر من أي حجم ممكن عقلنا يوصله...كل البشر..كل العصور كل الوشوش شافت بعض من قبل ما تتولد ..زحمه كبيرة والكل ساكت وبيبص لبعضه ...كله فاهم هو فين وقدام مين.

- وليه أثرت فيك؟



- عشان عارف إن فيه يوم تاني شبه اليوم ده هشوفها فيه.

- يوم إيه؟

- اليوم اللي الكل هيبقى واقف مستني مصيره ..بعد ما كل حاجة تنتهي وتفنى، لكن اللي في قلبي لا يمكن يتمسح أو ينتهي .. يوم القيامة.

أمسكتُ يدي علا حينها وقبلتها بحرارة شديدة..نظرت إلي متعجبة..نظرتُ إلى عينيها مبتسمًا وكأنني أبكي لفرحي بها.

- لو معانا دلوقتي هتكون مبسوطة أوي.

- ليه؟

- عشان شوفتك وعرفتك ...عشان حبيتك.

قَبَّلتُ يدي هي الأخرى ونظرت بعيني متنهدة:

- هو لسه فيه بني آدمين زيك كده؟

- مش فاهم.

- محدش بيحب بالصدق ده كله وبيفضل مخلص للى بيحبه حتى بعد ما يموت إنت إيه؟ ملاك؟

أجبتها وعذاب الضمير يؤلمني...أنا أحقر من ذلك بكثير..لم تنضب دماء الضحايا الخمسين من يدي حتى هذه اللحظة...شردتُ مُتنهدًا:



- وليه متقوليش شيطان كان نفسه بيكفر عن ذنوبه.

كانت تحاول مواساتي ...

- اللي كان بيعمله أبوك إنت ملكش ذنب فيه متفضلش تأنب نفسك على حاجة انت ملكش يد فيها ...كل واحد بيتحاسب على أفعاله هو بس...

ساد الصمت بيننا لحظات..أدركت حينها أنني لو مكثت أمامها أكثر من ذلك سأعترف لها بكل شيء..عليَّ بالرحيل تلك الليلة لأستعيد قوتي المهزومة أمام عينيها ...سألتُها:

- هي الساعة كام؟

- يااااه الساعة ١.

- الكلام معاكي مبيخلصش تصبحي على خير.

نهضت لأصافحها..قَبَّلْتُ يدها وانصرفتُ...نادتني ..التفتُّ لأرى بابتسامتها الرائعة

- هشوفك بكره؟

أشرتُ لها بالإيجاب مبتسمًا.

تحركت للخارج..نادت عليَّ مرة أخرى..

- أمير...

التفتُّ لها وابتسامتي تزداد..



- عمري ما هطلب منك تنساها.

قمة الرومانسية أن تعشق اثنتين تعشقان حبك لهما ...ابتسمتُ والدموع بعيني وانصرفتُ ...أشعر لأول مرة بحياتي أنني لا أحتاج ذلك البيت اللعين والمال القادم منه ...أشعر أنني وجدت الكنز الحقيقي بتلك الحياة..حقًّا من يحب بهذه الدنيا فقد امتلكها ..الحب هو الكنز الخفي إن صادفْتَهُ إياك إن يفلت منك مهما تكن الظروف...

❋ ❋ ❋

سقط أشرف سعيد مهران في بحر من الخمور تلك الليلة..كان بذلك الملهى الليلي الذي ذهبتُ إليه من قبل لمقابلة ذلك العباس أبي خطوة... جلس بمفرده ساعات يبكي أحيانًا، ويضحك أحيانًا وكأنه قد جُنَّ..كان عباس أبو خطوة جالسًا مع بعض الفتيات بالقرب منه..يشاهِدُه ويُتابِعُه قَلِقًا لحاله..اقتربَ منه ليُحدِّثَه:

- إيه يا دكتور ...سهران لحد دلوقتي!

نظر إليه أشرف متعجبًا وكأنه يعرفه مسبقًا

- ليه؟ إنت عاوز إيه؟

- سلامتك يا باشا أنا بس بطمن عليك.

- اطمن أنا زي الفل.

حاول أشرف النهوض حينها ولكنه سقط على منضدته..سانده عباس.



- الله الله ...ده انت سكران خالص تحب أوصلك البيت.

نهض مرة أخرى ونجح بالوقوف بصعوبة ناظرًا لعباس:

- بقولك إيه يا عباس خليك في حالك.

- ده أنا قصدي نخدم بس يا دكتور.

- يا عم مكنش أم ترميمات عملتها في المستشفى إنت هتصاحبني؟

- أنا مش هزعل منك عشان عارف إنك مش في وعيك.

- طب سيبني بقه وحِل عن سمايا.

تركه عباس لينصرف مُترنِّحًا ...خرج أشرف من الملهى الليلي وأبو خطوة يتابعه...أخرج هاتفه المحمول وأجرى مكالمة بصوتٍ مُنخفضٍ.

انطلق أشرف هائمًا على وجهه ..لا يصدق ما مَرَّ به اليوم...أصبح في عِداد المجرمين والقاتلين..لم يقصد أن يقتلها.. ..اكتشفت ميرهان بعض الصور الخاصة بعلا على اللابتوب الخاص بأشرف....هي من أشهرت ذلك المسدس بوجهه..وكان عليه أن يُدافِعَ عن نفسه...هجم عليها واشتبكا بعنفٍ شديدٍ..وفي لحظة خرجت تلك الطلقة لتسقط غارقة في دمائها ..ترك المسدس بجوارها وهَرَبَ ..الخمر تتلاعب برأسه ..الحزن والحرمان يعتصران قلبه..تتساقط دموعه بغزارة..كل ما يفكر فيه الآن هو حبه المحروم لعلا ...لماذا يستكثرون عليه ذلك الحب الصامت عن بُعْدٍ.

طرأت حينها تلك الفكرة برأسه وسيطرت عليه...عليه أن يخبرها بحبه وليحدث ما يحدث..لن يتعذب أكثر من ذلك..لن يَصْمُتَ...لن



يترك غيره يفوز بقلبها..انطلق بسيارته إلى فيلتها..يعرفها جيدًا ...لطالما راقبها وعَدَّ عليها أنفاسها هناك...لطالما استمتع بعبقها المتطاير عن بُعْدٍ إليه ..

كانت الساعة تقترب من الثالثة فجرًا..دقَّ جرس باب فيلتها..لم تكن علا قد خَلَدَتْ بَعْدُ إلى النوم..كانت تفكر هائمة بي شاردة بعلاقتنا معًا..انتفضت مُتعجبةً، وارتدت روبًا يخفي مفاتنها، وفتحت الباب لأشرف مُتعجبةً للغاية ..لم يعطها فُرصةً لتأجيل حوارهما أو رفضه ..دخل الفيلا عُنوةً دون حتى أن تسمح له بذلك...

-إيه ده فيه إيه؟ أظن ده مش وقت تزورني فيه أبدًا.

خمس دقائق وأشرف يهزي بكلام متناقض لا يُفهمُ مُطلقًا...كان يحاول الاعتراف لها بحبه

- دون جدوى..اقتربت منه علا:

- دكتور أشرف لو سمحت أنا مش فاهمة أي حاجة.

نظر إليها بحُبٍّ شديدٍ:

- مش قادر أمنع نفسي ..كل ما أنسى وأقول خلاص بعدت ألاقيني غارز أكتر واكتر أنا..بحبك.

قالها وهو يبكي..قالها والدموع تنهار من عينيه...صدمت علا من ذلك على الرغم من توقعها لتلميحه المسبق عدة مرات لكنها لم تتوقع أن يصل حبه لذلك الحَدِّ الشديد..



نظرت له مصدومة:

- أنا؟

-بعـشق نظراتـك...لفتـة عنيكـي نفـسك الـلي خـارج بحـسه بيحضني، بعشقك.

كان يقترب منها راغبًا بتقبيلها..عَنَّفَتْهُ علا وابتعدت بعصبيةٍ:

- دكتور أشرف أنا مش عارفه أقولك إيه؟

اقترب منها:

-قوليلى إنك بتحبيني زي ما بحبك.

أدارت ظهرها له...

-إنت أكتر واحد عارف إن ده مينفعش.

صرخ عاليًا حينها:

-تعبت...تعبت من الكلمه دي مينفعش..مـش ممكـن...اسـمع الكلام...وضعك بيحتم عليك ملعون أبو الوضع اللي يبعدني عنك.

اقترب منها مُحاولًا احتضانها من الخلف:

-أنا بحبك .. بحبببببك.

ابتعدت عنه مرة أخرى:

-دكتور أشرف لو سمحت أنا هعتبر نفسي مسمعتش الكلام ده كله.



تغيرت ملامح وجهه إلى الغضب ..أمسكها مـن كتفيهـا نـاظرًا إلى عينيها بعصبيةٍ:

-إنتي بترفضي حبي؟

-أرجوك يا دكتور.

-إنتي هتعملي زيهم؟

- زي مين؟

-اسمعي أنا بحبـك وغـصب عنـك هتحبينـي وهنمـشي سـوا وهنتجوز.

صرخت به بعدما أزالت يديه بصعوبة عن كتفيها:

-إنت سكران.

برقت عيناه مستمرًّا بعصبيته الشديدة:

- هو ده جزاتي بعد كل اللي عملته عشانك؟ ده انا قتلت ميرهـان عشانك.

صُدِمَت علا مرة أخرى:

-إيه؟

هبط أشرف تحت قدميها محتضنًا إياها باكيًا ..

-أيوه قتلتها ..كان لازم تموت، كانت واقفة بيني وبينك حـاجز بيخنقني يوم ورا يوم، كان لازم أقتلها واهد الحاجز ده واجيلك.



ابتعدت عنه بصعوبة:

-إنت مجنون!

نهض ناظرًا لها كالمجنون ..لم يعد يتحكم بأي شيء ..انفلت زمام قوله تمامًا..

-وعارفه قتلت مين كمان؟

اعتراف خطير لا يدرك أشرف مدى خطورته...فَقَدَ سيطرته على نفسه نهائيًّا..كبرياؤه المجروح جعله كالمجنون...كيف ترفض علا حُبَّه بعد كل ما فعله لأجلها؟! دُمِّرت حياته من أجلها..قَتَلَ زوجتَه بنت الحَسَبِ والنَّسْب لأجلها حتى وإن كان دون قصد، لكنها كانت السبب...وليس ذلك فقط، فمن قَبْلِها قَتَلَ صديقَه ...تتابعت المشاهد برأسه المخمور لتخرج على لسانه مباشرة دون المرور على عقله..تذكر حينما اختطف دكتور هشام الشناوي بذلك المخزن المهجور ليهدده بالابتعاد عن علا ...تذكر تلك النظرة الحادة بعينيه حينما رآه..

-إزاي ماخدتش بالي؟ أول مرة في حياتي أطلع مغفل

- شوف يا هشام... لو سمعت بس إنك فكرت مجرد تفكير إنك تضايق دكتورة علا تاني مش هقولك هعمل إيه؟

- إيه؟ إنت بقه الحب الجديد؟ ولا الحب القديم وأنا بقيت الجديد؟

- أنا مش عاوز أكرر كلاميمرتين علا بالنسبه لك خط احمر لو عديته يبقى انت اللي حكمت على نفسك.



بصق هشام حينها بوجهه أمام هؤلاء الرجال المدججين بأسلحتهم...تذكر أشرف غضبه الشديد حينها...لم يتمالك نفسه وأمسك سكينًا كان بيد أحد هؤلاء الرجال وذبح هشام دون تَردُّدٍ...ذبحه وسط ذهول هؤلاء الرجال..خرجت دماؤه كالنافورة بوجه أشرف ليموت في الحال...كان يقف أمامه ممسكًا بالسكين الملطخ بدمائه لا يدري كيف فعل ذلك...ذبح بيده صديقه لسنوات في لحظة غضبٍ...

امتدت إحدى الأيادي لتمسك كتفه...التف مفزوعًا حينها ليرى من يقف خلفه تفاجأ حين رآه...آخر شخص يتوقع أن يراه في ذلك المكان..تساءل مرارًا وتكرارًا عن كيفيه معرفته بذلك المكان لكنه لم يجد إجابة لذلك..إنه والد زوجته فهمي سميح ..وقف ينظر إليه ودماء هشام تقطر من السكين بيده...ألقاها على الأرض مرعوبًا..لم يكن فهمي بمفرده، بل كان بصحبة بعض رجاله ..أشار لهم لينهوا كل شيء حينها...قرر فهمي أن ينقذ أشرف ...أمسك السكين ببقايا كيس شفاف كان على الأرض، ووضعه بجيبه ...أمر رجاله بنقل جثة هشام إلى إحدى السيارات بالخارج وينصرفون به ..هم يدركون ماذا يفعلون ليطمسوا تلك الجريمة لتبدو جريمةَ قَتْلٍ بغرض السرقة...أعطى هؤلاء الرجال المشتركين في خطف هشام بعض الأموال ..هؤلاء المستأجرين من أشرف ..وحَظرَ عليهم النطق بأي شيء مما رأوه بذلك المكان..وكأنهم لم يحضروا إلى هنا مسبقًا...وانصرفوا بسيارتهم ولم يبقَ سوى فهمي وأشرف ..



وقف أشرف حينها منهارًا خائفًا أمام والد زوجته الذي سيدين لـه بإنقاذه طوال عمره، نظر إليه فهمي بعينين ثاقبتين:

-من صغرك وانت اللي بتعوزه بتعمله ..اللي بتطلبه بتاخده، أنـا وابوك صحاب مـن وانـت قـد كـده وبعتـبرك ابنـي الـلي مخلفتـوش، جوزتك بنتى وبقينا عيله واحدة، طول عمرك مناخيرك فوق، اللي كان بيدوسلك على طرف كنت بتقلب عليه الدنيا... لكن أول مرة تخرجـه من الدنيا كلها، مش هسألك ليه عملت كده...

-أنا...

قاطعه فهمي ناظرًا إلى عينيه:

-إنت مجيتش هنا من أصله، تروح دلوقتي تاخـد دوش سـاخن، وتسمع مزيكا هاديه وانت بتتعشى، وممكن كمان تاخد ميرهان وتخرج في أي مكان شاعري.

-طب و...؟

كان يقصد جثة هشام...ماذا سيفعل بها..؟

أجابه فهمي دون حتى أن يكمل سؤاله:

-البوليس أكيد هيسئلك وهتقوله الحقيقة.

ساد الصمت بينهما ..قطعه فهمي ناظرًا بعينيه:

-عارف الحقيقة؟



أشار إليه بالنفي:

-أنا هقولك تعمل إيه بالحرف الواحد.

-إنت عرفت منين إني هنا؟

سأله أشرف:

-سؤال ساذج عيب تسأله... وعيب حد في مركزك يأجرله 4 بلطجيه، احمد ربنا إني جيتلك في الوقت المناسب.

كان يوما عصيبًا في حياة أشرف ..لم يتخيل مطلقًا أنه سيتكرر مرة أخرى ...ومع من...؟ زوجته..ابنة ذلك الرجل الذي أنقذه من جريمته الأولى..ذلك الرجل الذي رتَّبَ كل شيء ليبدو قتل هشام بغرض السرقة ..ذلك الرجل الذي حَفَّظَه سيناريو محكمًا قَصَّه على ضابط المباحث القناص حين سأله عن علاقته بهشام...لم يتخيل أنه سيعترف بكل ذلك لعلا المذهولة مما تسمع..ألهذه الدرجة فَقَدَ السيطرة على نفسه؟! كان يبكي بشدة بجوارها شاردًا..

- واتلف حبل المشنقة حوالين رقبتي ودراع المشنقه في ايد واحد بس، فهمي سميح... عرفتي ليه أنا بتعذب كل ما فكر أسيب بنته ...لكن خلاص قتلتها وجيتلك وهنكون لبعض طول العمر.

سيطر الذهول على علا تمامًا ...ابتعدت عنه:

-أنت أكيد مجنون!

نهض ناحيتها ..حاول تقبيلها عُنوةً...



-مجنون بحبك!

أفلتت منه بصعوبة:

-أوعيييييييييي.

هاجمها مرة أخرى ليُقبِّلها:

- بحبك يا علا..بحبك، مش قادر ..هنسافر بعيد سوا.

-إوعييييييييييييي.

هربت منه وأمسكت سكينًا كان بطبق الفاكهة بصاله فيلتها ..شهرته بوجهه

- خطوة كمان وهقتلك يا دكتور.

لم يصدق أشرف ما تراه عيناه..حتى علا تلك المخلوقة الرقيقة تبتعد عنه رافضة حبه، بل تفضل قتله على لمسه لها وتقبيله ..نظر إليها بذهول:

-هي حصلت لكده؟

حاولت علا السيطرة على غضبها:

- وجودك هنا غير مُرحَّب بيه.

-ماشي يا علا ..ماشي، أنا همشي بس راجعلك تاني، راجع.

اتجه أشرف حينها بمنتهى العصبية إلى باب الفيلا...نادته علا فالتفت لها:



- دكتور أشرف، أنا مسمعتش أي حاجة من اللي انت حكيتها ولا فاكرة منها ولا كلمة.

نظر إليها بحدةٍ وانصرف..أغلق الباب خلفه بقوة ..جلست بعدها على الأرض مرتبكة..عليها أن تنسى كل ما استمعت له تلك الليلة...لديها ابن ترغب في حمايته..لم تتعود أن تدخل نفسها بالمشكلات والمصائب..ستنسى حتمًا..ولكن هل سينسى هو؟ حين يفيق هل سينسى أنه اعترف لها بجريمة ستطيح برقبته إن نطقت بشيء؟ سيطرت الحيرة على عقلها ..تَبًّا لتلك الليلة ..تَبًّا لأشرف...تَبًّا لذلك..الاعتراف.



أَصْفَعُ نفسي

(اليوم الخامس والثمانون)

اقتربت الساعة من الرابعة فجرًا ..

الانتقام...كلمة لن يفهم معناها سوى من اكتوى بعذابها...جلس فهمي سميح بجوار ابنته الغائبة عن الوعي بعد استخراج تلك الرصاصة من كتفها اليسرى...عيناه ممتلئتان بالانتقام ...ترى ذلك واضحًا للغاية حين تنظر بهما...لا يسمع بأذنيه إلا جملة واحدة فقط.

- إلحقني يا بابي أشرف قتلني.

نجحت ميرهان في الاتصال به بعدما هرب أشرف جريًا مُعتقدًا موتها..اتصلت به تصرخ لينجدها وغابت بعدها عن الوعي..

كان يلوم نفسه ..كيف ترك ابنته هكذا تضيع من بين يديه ضحيةً لمصالحه المشتركة مع سعيد مهران والد أشرف...صراع شديد بداخله بين الأبوة والمصلحة...قلبه يتأجج مُشتعلًا ولن يريحه أي شيء سوى الانتقام...الانتقام الشديد.



لن ينتقم منه بإبلاغ الشرطة عن محاولته لقتل ابنته...لن يُشفي ذلك لهيبَ قَلْبِه..أنكر أمام النقيب شادي منذ ساعات معرفته واتهامه لأي أحد ...بعدما حضر شادي على الفور لأخذ أقواله بمكتب مدير ذلك المستشفى مثلما طلب منه القناص.

تنهد فهمي حينها ممسكًا بسيجاره الفخم ناظرًا لشادي:

- أنا ماليش أي أعداء.

- يعني مبتوجهش اتهام لأي حد؟

نظر إليه بحدةٍ شديدةٍ:

- أظن أنا كلامي واضح. المسدس خرج منه رصاصة بالغلط وهي بتنضفه

- طيب هنقدر إمتى ناخد كلمتين من مدام ميرهان ونقفل المحضر.

نهض فهمي حينها لينهي حديثه معه:

- يا حضرة النقيب ..أعتقد لازم يكون فيه تقدير للوضع اللي قدامك، هي لسه خارجه من العمليات وكان من الذوق إنك متجيش أصلًا النهارده.

- أنا بنفذ شغلي يا فهمي بيه.

- وأنا معنديش وقت لأكتر من كده.

-ع العموم إحنا مقدرين ...بعد إذنك وهنرجع تاني.



استأذن بالرحيل حينها..أصَرَّ فهمي على الانتقام بطريقته..

بدأت حينها ميرهـان في الإفاقـة..نظـرت لوالـدها بـالقرب منهـا متوجعةً...انتفض لها مُقبِّلًا وجنتها فَرِحًا بها...همست له متوجعةً:

- لازم تمحيهم من على وش الأرض.

- ششششششش..أنا عـاوزك تريحي نفـسك خـالص ومتقلقـيش، واوعي تتكلمي عن اللي حصل مع حد

دمعت عيناها:

- قولتلك بيخوني مصدقتنيش.

- أنا أسف.

قبلها محتضنًا إياها والدموع بعينيه:

- لازم يموت يا بابي ...لازم.

* * *

كنتُ فَرِحًا للغاية تلك الليلة..وقفت بالساعات أنظر إلى مياه النيل مبتسمًا لوجهها الجميل ...أراه أمامي طوال الوقـت...بتلـك الابتـسامة التي سرقت لُبِّي وعقلي وقلبي..

عُدتُ إلى البيـت لأجـد أبـا الوفـا بانتظـاري...احتـضنته بـسعادة ..كنـت أرى كـل شيء حـولي يـضحك سـعيدًا ...نظـر إليَّ أبـو الوفـا مُتعجبًا...

- حمد الله ع السلامة يا صاحبي



- الله يسلمك إنت لسه صاحي؟

- هو أنا اقدر انام إلا اما اطمن عليك.

- تعيش يا أبو الوفا.

- أنا جايبلك معايا هديه هتدعيلى اما تشوفها.

تعجبتُ ...تلك المرة الأولى التي يهاديني فيها أبو الوفا..نظرت له متسائلًا:

- هديه إيه؟

- إظهر وبان عليك الأمان.

قالها بصوتٍ عالٍ..خرجت على إثرها تلك الفتاة من غرفتي ...إنها هي..نفس الفتاة العاهرة التي قابلتُها مسبقًا بتلك الغُرْزة ...تلك الفتاة الراقصة التي أتت معي وشاركتني هذه الغرفة..كنتُ قد نسيتُها...نسيت ضعفي ولذتي معها...أو بمعنى آخر كرهتُ لذتي تلك التي شعرت بها معها...اللذة المزيفة..

نظرتُ إليها وهي تتمايل ناظرة إليَّ بشهوانيةٍ ...أبو الوفا يبتسمُ بخُبْثٍ..ملابسها تفضح جسدها أكثر مما تستره..

شعرت بالغثيان...لا أدري لماذا..صرخت بها وطردتها ...وكأنني أطرد نجاستي معها..

لا احتملُ أن يُدنِّس أيُّ شيء حبي الطاهر لعلا..سأظل وفيًّا لها مدى الحياة...



طردتُها وسط تعجب أبي الوفا ...اقترب مني وأنا بقمةِ غضبي:

- خلاص بقه يا صاحبي أنا كان قصدي أفرفشك وأغيرلك المود.

نظرت له بحدةٍ مُتناهيةٍ:

- أنا عاوز افهم إنت إمتى هتنضف وساخه ونسوان وقرف.. إيه؟

صرخت به بغضب شديد..للحق لا أدري لماذا فعلت ذلك وكأنني أحاسبه عما أعيشه دون ذنب...نظر إليَّ مُتعجبًا

- دلوقتي بقت وساخه؟! مانت كنت معاها قبل كده وكانت فُل.

صرخت فيه:

- إنت ليه بتحاول توسخني؟

ابتسم لي ساخرًا:

- بقولك إيه يا صاحبي ...نصيحه من واحد بيحبك وبيخاف عليك.. بلاش تعيش في الأوهام.

- أوهام؟

- تعالى كده ..... قوم معايا.

جذبني من ذراعي عنوةً...

- سيبني يا أبو الوفا.

- قوم معايا بس.



أدخلني غُرفتي ووقفنا أمام مرآتي..

- بص ..شايف.

- شايف إيه؟

- شايف الدم اللي في إيدك؟

نظرت إلى يدي بتلقائية:

- دم إيه؟

- دم خمسين بني آدم، خمسين بني آدم إحنا قتلناهم، خلَّصنا عليهم من غير ما نسمي على، حد فيهم وهنقبض التمن، يعني احنا قتالين قتله، مجرمين بالأجره ..أنا ...وانت.

كلماته كانت كالرصاص أصابت قلبي..أبو الوفا يُسْمِعُني ما كنت أهرب منه طوال تلك المدة..يواجهني بحقيقتي ..دارت الدنيا بي ...استمعت لنفس الصوت اللعين مجددًا.

صوت دق طبول الزار...دخان كثيف ملأ صالة البيت..رجال يرتدون السواد ممسكين بالدفوف يدقون عليها لحنهم القذر..تحركت وسطهم مذهولًا والدموع بعيني...وقف أبو الوفا ناحيتهم ناظرًا إليَّ بعينين ممتلئتين بالحدة:

- بلاش تعيش في وهم القديس اللي مبيغلطش ..إياك تفتكر إن ربنا هيتضحك عليه ويقبل توبتك بعد ما تقبض التمن.

كلماته تكاد تكتم أنفاسي..دقات طبولهم تصمُّ أذنيَّ..



تتسارع..الرعب يتملكني...إنها الحقيقة العارية..أنا قاتل قذر..مهما أحاول تجميل ذلك ...

تسارعت دقاتهم أكثر وأكثر..زاد الدخان أكثر وأكثر..دماء كثيفة تطأ بها قدماي..أنظر تحتي لأجد تلالًا من الجثث حولي..إنهم هم...هؤلاء الضحايا المقتولون بيدي ..بتلك الكف اللعينة...كف يدي اليسرى..الدماء حولي بكل مكان تغطي قدميَّ..دقات دفوفهم تزداد..أنفاسي تتقطع..دموعي تنسال أنهارًا...أبو الوفا يمد يده بتلك الدماء لتصبغها ناظرًا إلى عيني.

- إحنا الاتنين أوسخ من بعض، إحنا الاتنين سفاحين، إحنا الاتنين أوسخ من بعض، أوسخ من بعض.

انهرتُ..وضعت يدي الملطخة بالدماء فوق وجهي..اختفى صوت الزار فجأة..أزلْتُ يدي لأجِدَ أبا الوفا بجواري أمام المرآة كما كُنَّا بغرفتي..لم أعد أعرف الحقيقة من الأوهام...ستقتلني تلك الخيالات يومًا ما...نظر إلي أبو الوفا بحدة وسخرية ممتزجتين:

- والدكتورة اللي غيرتك بالشكل ده، سيبك منها وخليك في دنيتنا اللي، عدينا نصها ولسالنا النص التاني، عشان نحقق أحلامنا

نظرتُ إليه ...رأيتُ الدماء تقطرُ من يده...كنتُ فاقدًا للاتزان..تنهدتُ وكأني أبصقُ بوجهه:

- أنا مشفتش أوسخ منك.

ابتسم بسخريةٍ ناظرًا إلى عيني:



- الطيور على أشكالها تقع يا ...صاحبي.

لم أشعر بنفسي حينها إلا وأنا أصفعه بكل قـوتي...أصـفعُ سـفالتي وقذارتي...أصفعُ جرائمي المشتركة معه..أصفعُ نفسي.



أوراق مَخفيَّة

(اليوم السادس والثمانون)

مضت تلك الليلة بصعوبة بالغة...حاول القناص النوم بمكتبه فلم يستطع..منذ عودته من أزمته الصحية وهو متوتر للغاية...يتحرك بأضيق الحدود...يعلم أنهم يريدون قنصه مرة أخرى..يريدون إبعاده بأي طريقة..حتى زوجته وطفلاه أخفاهما بمكان بعيد ومنعهما من الاتصال به إلا للضرورة القصوى..حاوطته تلك الألغاز ...كادت تفتك برأسه ..لغز الجريمة القديمة..القتلى الخمسة وبعدها دكتور هشام المذبوح ..

وانتحار المتهمين الثلاثة المثبت براءتهم بعد ذلك بالمستشفى... ومدير تلك المستشفى دكتور أشرف وزوجته المصابة برصاصة ليلة أمس...مَنْ حاول قتلها؟ لم يصدق رواية فهمي سميح والدها...ما علاقة هؤلاء بكل تلك الجرائم؟ مَنْ ذلك الخفي الذي أجبر محمود إمام



على تهريب الدمنهوري تاجر المخدرات..لماذا طلب منه وقف مراقبة أبي الوفا وأشرف وعلا ومراقبتي أنا أيضًا؟ جرائم..دماء مُهدَرَةٌ لا تجد من يأخذ بثأرها...كاد رأسه أن ينفجر..دق الباب ليدخل النقيب شادي مبتسمًا:

- صباح الخير يا فندم. سعادتك كنت بايت هنا ولا إيه؟

نهض حسام من على أريكته الخاصة، وفتح شباك مكتبه ليدخل ضوء الصباح ليضيء وجهه:

- صباح الخير يا حضرة النقيب.

- أطلب فطار لسعادتك؟

- لأ.

- ولا قهوة؟

- لالا.

- سعادتك فايق يعني؟

كانت ملامح السعادة على وجه شادي ظاهرة للغاية..نظر إليه حسام بترقُّبٍ

- فيه إيه يا شادي؟

- اتفضل يا فندم.

ناوله شادي ظرفًا كبيرًا مفتوحًا وبه ورقة صغيرة..وسكين ملطخ بالدماء المتخثرة الملتف بغلاف شفاف حوله..نظر حسام لشادي المبتسم



.. أخرج القناص الورقة ليقرأها ...كان بها ما لم يصدقه أحـد...صـباح رائع ينبئ بانتهاء حيرته ..قرأها بصوت عالٍ:

– لو بتدور على اللي قتل الدكتور هشام فريد الشناوي ..ده سلاح الجريمة، وعليه بصمات القاتل .. وعـشان متـدورش كتـير هـشاورلك عليه، القاتل هو دكتور أشرف سعيد.

إمضاء

مجهول

تنهَّد حسام مستنشقًا هواء ذلك الصباح، وكأنه لم يتنفس منذ زمـن ..نظر لشادي بلهفة شديدة متعجبًا:

– مش ممكن ...جيه إزاي ده؟

– لقيته الصبح على مكتبي عـسكري المكتـب بيقـول واحـد جابـه وقاله يحطه على مكتبي.

أمسك حسام السكين مفكرًا:

– اشمعنى الدليل ده يظهر دلوقتي بالذات؟ وياترى مين اللي كـان شايله معاه الفترة دي كلها ؟

نظر لشادي سريعًا وناوله السكين:

– خد يا شادي الحِـرز ده ابعتـه عـلى المعمـل الجنـائي حـالًا خليـه يتأكدلنا من البصمات اللي عليه

بأسرع وقت ممكن.



- نطلع أمر من النيابة بالقبض عليه يا فندم؟

- لا هنستنى التقرير الأول وبعدها نتحرك عشان تبقى القاضِية، فاهمني؟

- فاهم يا فندم وعارف هو مين وأبوه مين.

امتلأت عيناه بالتحدي حينها ...

- لا أنا ميهمنيش إن ابوه من عناتيل البيزنس والسلطه في البلد، القانون فوق الكل، أنا أقصد عشان، مياخدش حذره وألف ايد تتمدله وتخرجه.

استكمل شادي بنفس ابتسامته الواثقة كالصقر:

- بالمناسبة دي دكتور أشرف كان عند دكتورة علا امبارح الفجر وخرج من عندها منفعل جدًّا.

- امممم..ساب مراته في العمليات وراح لعلا!

- أنا مشفتهوش في المستشفى أصلًا يا فندم.

- وراح على فين بعد علا؟

سأله حسام بشغف.

- معرفش.

- لا من هنا ورايح عاوزك تعد عليهم أنفاسهم ..القضية بدأت ملامحها، تبان وطالما مسكنا طرف الخيط ده الباقي هيكر وراه أسرع مما تتخيل.



- حاضر يا فندم..بعد إذنك

تركه شادي لينفذ أوامره بمنتهى السرعة...امتلأت عينا حسام بالتحدي والفرحة في نفس الوقت...اقترب من فَكِّ طلاسم أحد ألغازه...مقتل دكتور هشام..أدرك أنه لم يخطئ يومًا حينما قاده حِسُّه البوليسي لتورط أشرف بشيء ما، ومن يدري قد يكون أشرف هو القاتل لكل هؤلاء؟ من يدري؟

❊ ❊ ❊

شعرتُ بالاختناق الشديد بعدما تركني أبو الوفا وخرج بلا عودة..انتهى كل شيء بصفعي إياه...لو كنتُ مكانه لقتلتني ..على ماذا أُحاسِبُه وأنا مثله تمامًا...أنْهَلُ معه من نفس النهر القذر..نهر الدماء التي فجَّرْتُها بيدي ..أشعر أنني التفُّ بدوامة دون نهاية...تائه ...روحي تصرخ بكل ما لديها من قوةٍ...تختنق...تقترب من الموت...تحتاج إلى من يمُدُّ يده لها لينقذها مني..من داخلي...الروح والنفس..صراع رهيب بداخلي...روحي تشمئز من نفسي ...أنا ذلك الكريه المدنس بكل الخطايا الممكنة...لا أحتمل أن أكمل ذلك الطريق الدامي على جثث الأبرياء، ولا أقوى على الاعتراض والرفض...نفسي تصرخ هي الأخرى..تتمنى أن تولد من جديد بجسد آخر ..بقدر آخر غير قدري..تَبًّا لي ..نفسي وروحي يحتقران كل دقيقة مكثتا فيها بداخلي...منتهى القسوة.

بكيت وبكيت لعل بكائي يُطهرني دون جدوى...والله لو بكيت هكذا ما تبقى من عمري لن تُمحى تلك الخطايا التي تغرقني وتُكبِّلُني



..يومًا ما سترحل روحي عني وستعذب نفسي بمفردها جزاء لأعمالي السافلة..يومًا ما سيطهرني الجحيم ليل نهار بين نيرانه المتأججة...يومًا ما سأموت.

خرجتُ هائمًا على وجهي بالشوارع مع شروق الشمس...أبحثُ عن نفسي الهاربة من عذاباتي فلا أجدها...هل شعرت من قبل بالخواء؟ الخراب؟ أنا خرب ..خاوي ..كمدينة دُكّت من ألدِّ أعدائها لا تشتمُّ فيها سوى رائحة الدماء والبارود، ويخيم الصمت القاتل كل أرجائها...هكذا كنت.

قادتني قدماي مترددًا بعد طول تفكير لفيلا علا..سأخبرها..لا أقوى أكثر من ذلك ..ولتفعل ما تفعله بي حتى وإن كانت ستسلمني للشرطة..فاض بي الكيل..سأخبرها فقط أنني لم ولن أحب غيرها ولتغفر لي يومًا ما..

فتحت علا الباب وعلى وجهها الإرهاق الشديد..كانت بملابس الخروج .. يبدو أنها تستعد لإيصال إياد لحضانته..نظرت لي متعجبة من حالتي المزرية التي تراني بها..أي شخص ينظر لي يتنبأ بمصيبة كبيرة وقعت فيها...

أخبرتها بكل شيء وأنا أغالب دموعي...كل شيء..منذ اليوم الأول الذي وطئت فيه قدمي أرض ذلك البيت الملعون مجددًا..

طردتني ...لها كل الحق في ذلك...لكنني لا أحتمل تلك النظرة بعينيها...منتهي القسوة أن تشعر بحبك الوحيد بتلك الدنيا يلفظك بعيدًا حتى وإن كنت أنت المخطئ ..



- بره.

- أرجوكي سامحيني ..

- أسامحك؟هي دي كل مشكلتك؟

إنت مش عارف إنت إيه؟ إنت قاتل محترف.

طعنتني بقلبي هذه المرة ...كلمتها كانت أقوى من كل ألم مررت به بحياتي ..امتلأت عيناها بالدموع.

- معقول اتخدعت فيك بالسهولة دي! معقول قدرت تضحك عليا وتفهمني إنك ملاك بريء محتاج اللي يساعدك! بره...

- غصب عني.

- برررررررررره! واوعى أشوف وشك تاني.

تركتُها وخرجتُ..خرجتُ مُحمَّلًا بدماء قلبي الصارخ بقذارتي..ومن شارع إلى شارع، والشمس تحرق رأسي..تمنيت أن أصاب بضربةٍ شمس وأموت وتنتهي عذاباتي مؤقتًا....لكنني إن مت سأتعذب بالجحيم لما فعلته يداي..العذاب يحيط بي بكل جانب..الموت والحياة..الدنيا والآخرة...آآآآآه ..صرخات مدوية أرغب في إطلاقها هباء ..أعلم أنني لن أستريح مهما صرختُ عاليا...اللعنة والعذاب سيلتهمانني مهما أفعل ...لا أدري كم مر من الوقت وأنا على هذه الحال...كالمجنون أهذي بشوارع العاصمة...نفذ لأذني ذلك الصوت وكأنه يدٌ تربت علي بحنان شديد ..نظرتُ أمامي لأجد نفسي أمام



مسجد الحسين...قادتني قدماي إلى هنا مرة أخرى...يا ليتني لم أخرج من ذلك المسجد يومها...يا ليتني لم أعد إلى البيت الملعون..يا ليتني سافرتُ بعيدًا...

- يقول لي المعشوق لا تخشَ بعدي أبدًا

إذا أردت القرب مني فنادني

أنا يا رسول الله ..إني مُغرمٌ

أُجيبك من بعد وإني جليس من

بحبك مشغول بذكرك مجنون

بحبك مشغول بذكرك مجنون

الله ...إذا أردت القرب مني فاذكرني

لعلني أختبأ وسط هؤلاء المتمايلين برؤوسهم...لعلني أقذف همومي وآثامي بجوارهم... لعلني أشعر بالأمان المفتقد..كنتُ آمل ذلك..لكني عجزت عن الانضمام إليهم...قلبي يجرجرني بعيدًا عن ذلك الخشوع النقي..لا أستحق أن أبقى بجوارهم..لا يستحقون أن أصمهم بعاري ...سقطت بأحد الأركان أبكي وأبكي وأبكي ...أصواتهم وإنشادهم يذبحني..

- أنا يا رسول الله إني ...مغرم

الله أجيبك من بعد..وأنا جليس من

بحبك مشغول ...



أنا يا رسول الله إني مغرم

أنا يا رسول الله إني مغرم

الله سلام على الرسول إني مغرم

اقترب مني شيخ طاعن بالعمر..وضع يده على كتفي وجلس بجواري...نظرت بعينيه وبكيت كثيرًا...وكأنه قرأ ما بداخلي من عذاب أليم...

قصصت له كل شيء ...كل قطرة دم أرقتها بطمعي بتلك الأموال المُدَنَّسة...كل خطيئة أقدمت عليها قصدًا ..كنتُ أحكي له ودموعي لا تكف...استمع لي وعيناه ممتلئتان بالشفقة تجاهي..انتهيت ولم ينتهِ عذابي...نظر لي بعينيه الخاشعتين.

- شوف يبني...ربنا سبحانه وتعالى لما طلب من الملايكة أن تسجد لسيدنا آدم أبو البشر سجدوا جميعًا إلا إبليس ...كان من الجن أبى واستكبر، ربنا لعنه في كل كتاب ليوم الدين ليه لعنه؟ لأنه افتكر نفسه خلق أفضل وأسمى من آدم، مناخيره كانت في السما، كِبْر والعياذ بالله وده طبع الجن يا بني اللي انت حكيته ده ميخششش المخ، صحيح لكن أنا ديمًا بؤمن بالغيبيات، يمكن يحصل ويمكن لا الله أكبر وأعلم لكن اللي اقدر اقولهولك يا بني إن الجن خلق مالوش أمان، غدار بطبعه، صحيح فيه منهم الجن المسلم، لكن فيه برضه اللعين، فيه منهم الشياطين .. زينا برضه كده فيه مننا الناس الطيبين وفيه مننا الشياطين، ربنا ينجيك من شياطين الإنس والجن يا بني.



نظرت له والألم يعتصر قلبي ...دموعي لا تتوقف.

- أعمل إيه يا سيدنا؟

- ربنا سبحانه وتعالى غفور رحيم، عمره ما بيقفل بابه قدام عبد من عباده أبدًا..ارمى ورا ضهرك، واستقبل وجهه الكريم بدموعك دي مرمغ وشك في رحمته، واطلب منه يسامحك وينجيك.

تنهدت محاولًا التغلب على دموعي فلم أستطع:

- لما عملت كده لبسوني قضية قتل ودخلوني مستشفى المجانين ولما وافقتهم خرجوني من ده كله.

نظر لي والحيرة تملأ عينيه ..

- لا حول ولا قوة إلا بالله. الله وحده هو القادر الجبار. الله وحده هو الناطق بكن فيكون. استغفر ربك وتوكل عليه، الله ملاذك ...الله ملاذك، لا إله غيره سبحانه.

استمر بكائي وكأنني ولدتُ باكيًا..أمسك الشيخ بيدي بحنان شديد...نهضتُ معه ...كان يحاول أن أنشد معهم...نظرت بعينيه وكأنني أخبره أن ذلك الخشوع محرم عليَّ، لكنه أصر على ذلك مبتسمًا لي وكأنه يقول لي شيء واحد فقط ...الله غفور رحيم...حقًّا..هل يمكن أن يغفر الله لي كل تلك الخطايا وكل هذه الدماء التي أُوصَمُ بها؟ وقفت وسطهم أهمسُ بكلامهم وإنشادهم الرائع.

- أنا يا رسول الله إني مغرم

أنا يا رسول الله إني مغرم



أنا يا رسول الله إني مغرم

أنا يا رسول الله إني مغرم

أنا يا رسول الله إني مغرم

أنا يا رسول الله إني مغرم

يقول لي المعشوق لا تخشَ بعدي أبدًا

إذا أردت القرب مني فنادني

أنا يا رسول الله ..إني مُغرمٌ

أُجيبك من بعد وإني جليس من

بحبك مشغول بذكرك مجنون

بحبك مشغول بذكرك مجنون

الله ...إذا أردت القرب مني فاذكرني

أنا يا رسول الله.. إني مغرم

أنا يا رسول الله.. إني مغرم

أنا يا رسول الله.. إني مغرم

عيناه تتابعانني فَرَحًا بإنشادي...كنت أتمايلُ بكل ما لديَّ من قوة...وكأنني أحاول أن أرمي تلك الآثام بعيدًا عن جسدي..ظللت هكذا طوال اليوم...أعيش في رحاب الخاشعين ...لعلني أتطهر.

* * *



انطلق القناص سريعًا على رأس قوة من الأمن المركزي وبجواره شادي ذلك النقيب الرائع لدى لحسام...معلومات جديدة غاية في الأهمية جلبها شادي بنهاية ذلك النهار ...

معلومات تخص أحد المشتبه بهم لدى القناص..إنه أبو الوفا...تنهد القناص وهو يشاهد هاتين الصورتين اللتين التقطتهما تلك المجموعة الذكية التي تراقبنا دون أن نلاحظ وجودهم...

صُدِمَ حسام حين رأى تلك الصورة وهو يستمع للمعلومات التي حصل عليها شادي.

- أبو الوفا كان امبارح في عيادة نساء في الدقي وكان معاه اللي في الصورة الأولانيه دي

منقبة ..وبعد ما خرج من العيادة الأمين قدر يعرف إن المنقبة دي مراته وحامل في شهرين، ورصدنا المكان اللي مسكنها فيه.

- فين؟

- حوش ترب في المجاورين. الصورة التانية دي بقه سعادتك، ليها وهي من غير نقاب قدرنا نصورها وهي قاعدة مع واحدة جارتها في الترب بتحكي.

برقت عيناه حين رأى صورتها وتحقق منها غير مصدق أنه يراها...أمر شادي حينها باستصدار أمر من النيابة بالقبض على أبي الوفا وزوجته تلك، دون أن يشرح له شيئًا...سارع شادي بذلك في أقل من ساعة وخرجا معًا على رأس تلك القوة إلى تُرب المجاورين ..



واقــترب كــل شيء أن ينكــشف ...وبــدأت خيــوط الجريمــة تتضح...ترى ذلك في عيني حسام المبتــسمتين بانتــصار..ســأله شــادي وهما بالطريق:

- تسمحلي أسألك سؤال يا فندم؟

نظر إليه القناص منتظرًا سؤاله:

- ليه أمرت بالقبض عليهم مع إني معملتش كده مـع أشرف؟ أنـا أسف يا فندم بس الفضول هيموتني.

ابتسم له حسام:

- أشرف وراه اللي يحميه زي ما قولتلـك وميـنفعش معـاه سياسـة نقبض عليه ونضغط لحد ما نخرج منه اعتراف، لكـن أبـو الوفـا والـلي معاه دي بسهوله هنقـدر نعمـل معـاهم كـده ده غـير انهـم مـن نوعيـة الصغيرين اللي لو مشتركين في مؤامرة واتكشفوا بيكون التخلص منهم أسهل من حمايتهم وإنقاذهم بكتير، فهمت؟

فكر شادي قليلًا وسأله مرة أخرى بشغف:

- هو ليه سعادتك رابط القضيتين ببعض؟ ليه ميكونش قتل هشام ده حاجة والجرايم التانيه دي حاجة تانيه؟

نظر حسام للأفق شاردًا متنهدًا:

- من أول ما اشتغلت في القضية دي وأنا حاسس إن كـل الجـرايم دي مربوطة بخيط واحد ...خيط واحد رابط خيوط الناس دي كلها في



بعض، أمير وأبو الوفا في خيط، علا في خيط، أشرف وهشام في خيط، فهمي سميح في خيط، وكلهم مربوطين في خيط واحد كبير، وطالما مسكنا طرف خيطين منهم، هنوصل للخيط الكبير في أي لحظه.

كان الإعجاب ظاهرًا بعيني النقيب شادي:

- والله يا فندم أنا كنت بسمع كتير عن سعادتك وذكائك في الشغل لكن مكنتش اتوقع كده.

كانوا قد وصلوا للهدف المطلوب...سكون تام بترب المجاورين..تنظر إليهم الناس بترقُّبٍ شديد..الأطفال والنساء ارتعبن من الشرطة...هكذا هم دائمًا...الشرطة عندهم لعنة لا يحبون رؤيتها أو الاحتكاك بها...تسلل الجنود سريعًا لذلك الحوش المطلوب..بغمضة عين تم اقتحامه وكسر الباب الداخلي له..دخل القناص وسط رجاله.. إنه أبو الوفا يقف رافعًا يده ..لم يتوقع قط هذا الهجوم المباغت...باغته القناص هذه المرة دون أن يترك له فرصة للهروب كما سبق وفعلها..كانت بجواره مرتدية نقابها..عيناها مرتعشتان ..اقترب منها حسام مبتسمًا

- شكلكوا كنتوا خارجين، معلش بقه هنعطلكوا عندنا خروجه أحسن، بس مش هينفع فيها نخرج كده، النقاب مش هينفع.

مد يده وأزال نقابها ...كتم أبو الوفا أنفاسه حينها...انكشف أمره ..فكر في تفسير فوري يخبرهم به لما يرونه الآن...كانت هي..يسرا عباس سيد..تلك المنتحرة بغرفتها بالمستشفى..أو هكذا خدع



الجميع... ما زالت على قيد الحياة ...ما زالت تتنفس..وبقي سؤال واحد ..من تلك التي اعتقد الجميع أنها هي منتحرة بغرفتها؟

ستكشف الأيام القادمة عن مزيد من الحقائق الخفية..ربما لن تحمل سوى كشف هذه الأوراق التي بذل الكثيرون منتهاهم لإخفائها..أوراق تكشف ألاعيبهم...أوراق مخفية.





حَلاوةُ رُوحٍ

(اليوم السادس والثمانون)

يسرا عباس سيد..هكذا نطقت اسمها محاولة التغلب على دموعها وارتجافتها بذلك التحقيق الجديد الذي تهابه كثيرًا..كانت تنتظر حدوثه بأي وقت، كملك الموت يسلبك روحك دون ميعاد مسبق..آجلا أم عاجلًا ستنكشف ..شردت بتلك الليلة...ليلة انتحارها الزائف الذي لم تعلم عنه شيئًا مطلقًا..كانت بغرفتها تعاني رعشاتها وآلامها اليومية من تلك الشحنات الكهربائية المكثفة التي تختزنها بجسدها إلى الآن..جلست تبكي حالها بأحد أركان غرفتها بالمستشفى بعد منتصف الليل..سكون يكاد يقتلها كل ليلة...خوف يمزقها ...تشعر بهم حولها بكل مكان يسخرون منها...يستهزئون بسذاجتها حينما اعتقدت أنها ستنجو منهم بتلك السهولة...يد ما تفتح باب غرفتها...نظرت ناحيته بقلق ورعب ..دخلت تلك الممرضة المختفية من تلك الليلة...الممرضة قريبة الشبه بيسرا ..سلوى ...دخلت والشر بعينيها...



ارتجفت يسرا بمكانها خوفًا من جلسة جديدة للكهرباء..لم تعد تحتمل أكثر من ذلك...اقتربت منها سلوى ومدت يدها ناحيتها ..صرخت يسرا:

- إيه؟ عاوزين مني إيه تاني؟ كفايه كهربا بقه ...حرام عليكم أنا تعبت ..أبوس إيدك كفايه كهربا.

تراجعت قليلًا ونظرت لها مفكرة..أخرجت من جيب البالطو الخاص بها حبلًا سميكًا، نظرت لها يسرا مرتجفة لا تفهم ما تنوي فعله سلوى...اقتربت منها ولفت ذلك الحبل السميك حول رقبتها...بدأت بخنقها ..حاولت يسرا الإفلات منها والصراخ دون جدوى...ضَعُفَت قواها وكادت أن تلفظ أنفاسها الأخيرة...شخص ما ضرب سلوى على رأسها فسقطت فاقدة وعيها...التقطت يسرا أنفاسها بصعوبة بالغة ..نظرت لذلك الشخص الذي أنقذ حياتها..إنه أبو الوفا ..عيناه ممتلئتان بكل حُبٍّ لها...

اقترب منها محاولًا تهدئتها..كانت ترتجف بكل جسدها...همس لها:

- متخافيش..مفيش وقت، اسمعي ..انتي لازم تخرجي من هنا.

نظرت له متسائلة:

- أهرب؟

- هيقتلوكي.



- هما مين؟ مين اللي عاوز يموتني؟

كاد قلبها أن يهربَ من بين ضلوعها رعبًا...نظر إليها بتوتر هامسًا مشيرًا ناحية سلوى الفاقدة للوعي..

- مش عارف ..أنا كنت ههرب ولقيت دي بتتسحب ناحية أوضتك، ومعاها الحبل ده خفت عليكي.

- وهي عاوزه تموتني ليه؟ أنا مش فاهمه حاجة.

- مش لازم نفهم دلوقتي.

بدأ أبو الوفا بخلع ملابس سلوى أمام عيني يسرا...سألته متعجبة:

- إنت بتعمل إيه؟

- اقلعي هدومك بسرعة.

الخوف أحيانًا يدفعك لفعل أشياء لا تتخيل مطلقا أن تُقْدِمَ عليها بحياتك..بدلت ملابسها مع سلوى...ساعدها أبو الوفا بذلك سريعًا... طلب منها الخروج بثقة من الباب دون أن تتحدث مع أحد .. خرجت سريعًا متوترة للغاية..المستشفى هادئ تمامًا...فردا الأمن نائمان بغرفة الأمن الخارجية..تعجبت حين رأت ذلك..انطلقت من باب المستشفى كالطير المنطلق من محبسه..استوقفت تاكسي أخبرته عن وجهتها كما أخبرها أبو الوفا...ترتجف بشدة شاعرة بأن أحدًا ما يلاحقها..عيونهم تطاردها بكل مكان..وصلت لذلك الحوش الخاص بأبي الوفا..كلماته تتردد بأذنيها طوال الطريق..



- حوش رقم ٣...ترب المجاورين، فوق الباب على اليمين هتلاقي، علبة صغيرة داخله في أسياخ الباب .. مدي إيدك جواها ..هتلاقي المفتاح، ومفتاح الأوضة تحت مشايه قدامها.

نزلت سريعًا من التاكسي وأبلغته بأنها ستجلب له المال من الداخل ...دخلت سريعًا بنفس الطريقة التي أبلغها بها أبو الوفا..غرفة واسعة كاملة بكل شيء..أرضيتها من السيراميك الفاخر ...تليفزيون ٣٢ بوصة ...ثلاجة كبيرة ممتلئة بالأطعمة من كل صنف ونوع..بوتاجاز حديث وبجواره أنبوبة غاز ممتلئة عن آخرها...سرير كبير مراتبه ناعمة ومريحة...مدت يدها تحته لتجد بعض النقود ..انصرف التاكسي بعدما حصل على ثمن تلك التوصيلة مضاعفة بتلك الساعة المتأخرة من الليل..استلقت ليلتها على ذلك السرير ونامت ..لم تخرج من تلك الغرفة مطلقًا..قضت أيامها هناك مرتعشة خائفة من كل شيء..ظلت هكذا حتى وقف أبو الوفا أمامها مبتسمًا بعد عدة أيام..لم تعرف عددها...فقدت الإحساس بالزمن..شعرت ببعض الأمان حين رأته ..كان المنقذ الوحيد لها ..هو من قدم لها الحماية ...هو من مد لها يده بلحظات حياتها الأخيرة...لولاه لكانت الآن بعداد الأموات...لكن ظَلَّ إحساسُها بالرعب والخوف ملازمين لها دومًا..شعرت أنها هالكة لا محالة...كادت تصرخ من الخوف...نظر إليها أبو الوفا حينها محاولًا طمأنتها..

- ممكن اعرف انتي إيه اللي موترك بالشكل ده؟

- ليه؟ كل ده وليه ؟ جريمة معملتهاش واتدبست فيها، ومستشفى مجانين وهربت منها، ومحبوسه بين اربع حيطان، وناس عاوزه تقتلني مش عارفه ليه.



- لأ عارفة.

- ليه؟

سألته بشغف مرتعشة...همس لها بجديه شديدة

- انتي ناسيه الجن.

- إنت عاوز تقول إن الجن هو اللي حرك الممرضة دي.

- ممكن أوي يكونوا لبسوها واتحكموا فيها عشان تقتلك.

- إشمعنى انا؟

- محدش يقدر يعرف هم بيفكروا في إيه؟

كانت تذرع الغرفة ذهابًا وإيابًا تفكر متوترة..نظرت لأبي الوفا:

- بس الخمستاشر يوم اللي قالواعليهم عدوا ..ياترى ناويلنا على إيه تاني؟

اضطجع أبو الوفا إلى الخلف متعبًا:

- أنا هربت امبارح بالليل ...طالما محدش مصدقنا لازم نهرب، نهرب بعيد ..بعيد أوي.. المهم انتي خليكي ديمًا جوه البيت هنا واوعي تخرجي أبدًا مهما غبت عنك. خدي التليفون ده هكلمك عليه واطمن عليكي.

ناولها تليفونًا محمولًا بيدها.. اقتربت منه هامسة مرعوبة:

- وهما هيسيبونا ..دول أكيد شايفينا دلوقتي أو بيدبرولنا مصيبة تانيه، أنا خايفة.



ربت على يديها بحنان شديد:

- متخافيش طول مانتي معايا.

أفاقت من شرودها ودموعها الغزيرة على صوت حسام شوكت الجالس أمامها :

- يسرا..يسرا.

- أيوه.

- هديتي؟

حاولت يسرا التحكم بدموعها قليلًا دون جدوى.

- أنا معملتش حاجة والله، مقتلتهاش وقولت كده ميت مرة، محدش صدقني.

- هي مين؟

- بتعه ...والله ما قتلتها.

ابتسم حسام لها بثقة ساخرًا:

- مانا عارف، هو أبو الوفا مقالكيش إنك طلعتي براءة؟

سيطر الذهول عليها:

- براءة؟

- أه، وهو كمان طلع براءة ..كلكم.



لم تصدق ما تسمعه الآن..كررته على القناص لتتأكد:

- يعني انتوا عرفتوا إني مقتلتش بتعه؟

- بقولك براءة!

- والمستشفى؟

- قصدك تقرير المستشفى؟ لا مهو التقرير مطلعش لأن فيه تقرير تاني سبقه ولغاه.

- مش فاهمة.

اقترب منها حسام ناظرًا بعينيها:

- محدش بيقول على حد ميت إذا كان عاقل ولا مجنون وخصوصًا إذا كان منتحر.

- أنا مش فاهمه حاجة.

- شوفي يا يسرا ..انتي موقفك صعب، ومن مصلحتك تحكيلي كل حاجة، كل تفصيله مهما كانت صغيرة عشان أعرف أساعدك.

على الرغم من انهيارها وذهولها الدائمين استطاعت سرد أحداث تلك الليلة وما بعدها على مسامع القناص المنصت إليها بتركيز شديد....تارة تبكي، وتارة ترتجف خوفًا، وتارة تصمت، ...كان حسام صبورًا للغاية..إحساسه البوليسي الذي لا يخطئ دومًا يشعره بصدقها...



استكملت حكايتها وهي تغالب دموعها...

- مكنتش بخرج أبدًا... وكان أبو الوفا بيغيب أحيانًا بالأسبوع والزهق كان بيموتني مكانش بيهون عليا غير واحدة جارتي اتعرفت عليها وكانت بتجيلي تسليني، مهو مش معقول اقعد بين اربع حيطان لوحدي، ده حتى لما كان أبو الوفا بيجي كان بيبقى مستعجل، كان مفهمني إن بعد كام شهر هنهرب بره مصر وإنه بيجمع الفلوس اللي هنهرب بيها وبيظبط طريقة خروجنا من غير ما حد يحس، بس أنا مكنتش قادرة.

- انتي حامل؟

قاطعها القناص بذلك السؤال فجأة. ابتسمت ابتسامة باهتة:

- أبو الوفا بقه هو الوحيد اللي واقف جنبي وبيحميني من خطر وعدو مخفي محدش شايفة.

تنهد حسام محاولًا الضغط عليها للتأكد من روايتها تلك...

- ومسألتيش نفسك هو ليه مهربشى معاكي يوميها؟

- معرفش.

- ومقالكيش هو هرب ازاي بعد كده زي ما قالك؟

- معرفش.

- وأصلًا يوم ما دخل عليكي كان هيهرب ازاي؟

- كنتُ ديمًا بسأله ومكنش بيجاوبني وبيغير الموضوع.



- تفتكري ليه كدب عليكي ومقالكيش إنه طلع براءة؟

- معرفش.

- وانهم افتكروا إنك انتحرتي في أوضتك في المستشفى.

- معرفش.

- ليه مقالكيش إن توفيق وسمير هما كمان انتحروا؟

- انتحروا؟

تذكَّرت فجأة ذلك الحبيب القديم القابع بقلبها..توفيق..لم تتمنَّ له مُطلقًا تلك النهاية ...

انهارت دموعها أكثر وأكثر..نظر إليها القناص بعصبية شديدة:

- مش معقول متعرفيش كل ده.

- والله ماعرف غير اللي قولتهولك.

اضطجع حسام بكرسيه للوراء ونظر إليها بحدة:

- يسرا انتي متهمة بقتل المجنى عليها سلوى عبد الرحيم السيد المرضة المسئولة عن الدور التاني في المستشفى اللي اوضتك كانت فيه.

كانت تشعر بذلك...تلك هي المصيبة الجديدة المدبرة لها من الجان..كانت خائفة طوال الأيام السابقة من تلك الفكرة..كانت ترادوها دومًا ...قُتلت المرضة سلوى بغرفتها، وسيتهمونها مرة أخرى فيها..سيقولون قتلتها وهربت ..لم يكن صعبًا على القناص ربط اختفاء تلك المرضة بهروب يسرا ..طلب من رجاله فورًا استخراج جثتها



للتأكد من صاحبة تلك الجثة...تأكد بساعات قليلة قبل التحقيق أنها للممرضة سلوى..كل من يعمل حوله بتلك القضية كانوا كخلية نحل...سرعة رهيبة في التحقيقات والنتائج...وكأن الله سخر الجميع له ليصل للحقيقة كامله قبل فوات الأوان...

صرخت يسرا بأعلى صوتها وأصبحت كالمجنونة ترتجف بشدة:

- مقتلتهاش...مشوفتهاش، حرام بقه..حرام، لأ شوفتها...كانت هتموتني، أبو الوفا ضربها على دماغها. ووقعت وانا أخدت هدومها وجريت، مشوفتهاش ... مشنقتهاش...أنا سيبت أبو الوفا معاها وجريت زي ما هو قالي.. حرام ... حرام.. دي المصيبة الجديدة، صح؟ هم بيتحكموا في كل الناس وبيخلوهم يقعوا في مصايب، خلاص أنا موافقه أشتغل معاهم، موافقه اقتل الناس فين الجن؟ فين أمير؟ فين أمير؟ أنا عاوزه أمير، سيبوني ..سيبوني، سيبوني.

قادها جنديان إلى حجزها الاحتياطي الانفرادي...كانت عينا القناص ممتلئتين بالشفقة لحالها...يعلم جيدًا أنها ضحية لذلك الشيطان المدبر لكل تلك الجرائم..سيتعرف إليه قريبًا وحينها لن يرحمه مطلقًا...نظر للجندي الواقف أمامه:

- هات المتهم التاني.

دخل أبو الوفا مُكبَّلًا ..فَكَّ الجندي قيوده وجلس أمام القناص...متلاشيًا ذلك التحدي من عينيه..عَرَضَ عليه حسام شوكت أقوال يسرا ...وواجهه باعترافاتها..



نظر أبو الوفا للقناص بابتسامة مستفزة.

- محصلش.

تمالك حسام أعصابه ..عليه بالصبر أضعافًا مضاعفة على ذلك اللئيم من وجهة نظره...

- هو إيه اللي محصلش؟

- كل اللي قالته ده محصلش، أنا لا شوفتها ولا روحتلها في أوضتها، إزاي يعني أروحلها والأوضه مقفولة عليا بالقفل من بره، ده كلام ناس مجانين.

بادله القناص نفس الابتسامة السمجة:

- أمال ازاي مسكناها عندك في الترب؟ وازاي اتجوزتها؟

كان مستعدًّا لسرد قصته المزيفة من وجهة نظر حسام..أنصت له بتركيز شديد..حِسُّه البوليسي يخبره بكذبه..يعرف ذلك من عينيه...

- بعد ما خرجنا من المستشفى أنا وأمير وبعدها النيابة كنا ميتين من التعب، أمير قالي إنه هيروح وأنا قررت أروح أزور قبر أمي الأول...كانت وحشاني، بعدها عديت على أوضتي في تُرب باب الوزير، وأنا هناك الباب خبط بفتح ...لقيتها قدامي كانت مفاجأة كبيرة ليا أول ما شوفت يسرا قدامي حية مماتتش مبقتش فاهم أي حاجة، كانت خايفة وبتترعش، هديتها وبدأت تحكيلي، إنها كانت في أوضتها بالمستشفى، وسلوى الممرضة دخلت عليها وحاولت، تخنقها...بس هي قدرت تهرب من بين إيديها وتخبطها على راسها ...فوقعت سلوى



مغمى عليها، بسرعة بدلت لبسها بلبس سلوى وهربت من المستشفى، وهي بتترعش ...كانت مرعوبة وبتترعش، فهمت إن فيه حد دخل بعد ما هربت هي وافتكر إن اللي قدامه دي هي يسرا وقتلها وعلقها في الحبل زي توفيق وسمير.

سيطرت الحيرة على القناص...عاوده الشك مرة أخرى بقصة يسرا...أصبح حائرًا بين القصتين...سأله بنظرة ثاقبة:

- وهي عرفت منين مكان سكنك؟

- كنت قولتهولها مرة قبل كده قبل ما نروح جلسة الجن عند أمير، وقولتلها لو احتاجت أي حاجة

تسأل عني هناك.

- إنت مش كنت بتقول إنك قاعد عند أمير؟

- أه بس الأمر ميسلمش برضه أحيانًا

الواحد بيحب يختلي بنفسه.

- طب وإيه أوضه المجاورين دي؟

- يا باشا كلك نظر..عرسان جداد ولازم أجيبلها بيت برضه تقعد فيه، هو صحيح كان ايجار لكن برضه على قد ما قدرت.

نظر إليه القناص متفحصًا له باحثًا عن سؤال آخر يكشفه به ..قطع شادي تفكيره ...دخل من الخارج واقترب منه هامسًا له ..نهض معه حسام ووقفا بأحد أركان غرفة التحقيق...



- فيه إيه يا شادي؟

ناوله شادي كشفًا كان بيده:

- ده تفريغ بمكالمات الكام شهر اللي فاتوا على موبايل أبو الوفا ويسرا، والاتنين باسمه هو، مفيش أي رقم مشكوك فيه كلها مكالمات لأرقام عاديه، أغلبها بين الخطين، أو بين أبو الوفا ورقم باسم أمير، أو أبو الوفا وأخته سناء، بس فيه رقم متكرر عليه اتصال كتير بين من والى أبو الوفا.

- باسم مين الرقم ده؟

ابتسم له شادي بثقة المنتصر:

- مش هتصدق! كاظم نصر الدين خفاجه

- إيه؟

لم يصدق القناص تلك المفاجأة غير المتوقعة..هل كاظم نصر والد أمير ما زال على قيد الحياة؟ نظر ناحية أبو الوفا بحدة شديدة..هجم عليه بعصبية متناهية وجذبه للحائط بعنف شديد..

- ولاااااااااااااااااااااااااااااا.

صرخ أبو الوفا متوجعًا

- أنا قولت كل حاجة يا باشا.

- انطق يالا ..ازاي بتكلم أبو أمير وهو ميت من خمس سنين ...انطق.



- هو فيه حد بيكلم ميتين يا باشا؟

- وحياه امك لخليك تحصله!

بدأ بخنقه ...كاد أن يكتم أنفاسه حقًّا..

-انطق يالا...إيه الحكاية بالظبط؟ أبوه لسه عايش ها؟ إيه علاقتك بالجرايم دى كلها؟ انطق؟

لم يجد أبو الوفا حَلًّا إلا أن ينطق بالحقيقة...

-هقول يا باشا..هقول على كل حاجة.

تركه القناص ليلتقط أنفاسه الموشكة على الانتهاء...أدرك أبو الوفا أنها النهاية...عليه الاعتراف بكل شيء..فكر سريعًا بذلك...لم يعد هناك مَفَرٌّ..سيكشف لهم السر الذي طالما دفنه بعيدًا داخل صدره...لن يقوى على الوقوف صامدًا أكثر من ذلك...وإلا جاءت نهايته سريعًا..إنها الفرصة الوحيدة..إنها حلاوة روح...



الابْنُ البَدِيلُ

(اليوم السادس والثمانون)

كنتُ مُحَمَّلًا بهموم البشر أجمعين..قد أكون المنقذ الوحيد لهم كما كنتُ نائبًا لعزرائيل..جلستُ بصالة منزلي بالبيت الملعون ساعات طويلة وسط تلك الأجهزة الدامية..أجهزة الخلاص..جلبتهم جميعًا من الدور الثاني لشقتي...كنت أنوي إنهاء كل شيء.. سأحرقهم كما أحرقتُ تلك الكتب اللعينة ذات يوم...تعلمتُ كثيرًا من تلك التجربة..على الأقل لست ضعيفًا كما كنتُ من قبل...سأحرقهم بالجاز كما احترقتْ والدتي.

تذكرت كلمات ناصور مندوب ملك الجان ذلك الحقير ..

- الطاقة الموجهة من الجهاز للقرين لو خرجت في اتجاه غلط هيحصل انفجار ضخم هيكون مداه ١٠ كيلو متر مربع هيقضي على كل شيء حي في النطاق ده..



انفجار ضخم

انفجار ضخم

تكررت كلماته كإنذار تصم أذني...لو أحرقتها الآن سأقضي على منطقة المنيل وما حولها..سيموت كل البشر القابعين حولي ب ١٠ كيلومترات ..إنهم لا يستحقون ذلك..فكرت مرارًا وتكرارًا إلى أن خطرت لي فكرة رائعة..تذكرت ذلك المخزن رهيب الاتساع تحت الأرض السابعة الممتلئ بأجهزة الخلاص الخاصة بالبشر أجمعين..هناك سأموت شريفًا منقذًا الإنسانية ...قررت أن أفتح أحد هذه الأجهزة على حين غفلة منهم ..سينفجر حينها بباقي الأجهزة حتمًا وينتهون للأبد... امتلأت عيناي بالتحدي والانتقام..عليَّ أن أذهب إلى هناك الآن... جلسة الجان...عباس أبو خطوة...تبًّا لذلك...أبو الوفا هو من كان يتصل به...هل سيرد عليَّ أبو الوفا بعد ما فعلته معه..اتصلت به مرارًا وتكرارًا ولا يجيب...لم أمَل المحاولة مراتٍ ومراتٍ حتى تم الرد أخيرًا:

- إنت لسه زعلان؟ أنا عارف إن عندك حق، أرجوك رد عليا أنا محتاجك، إنت فين يا أبو الوفا؟

لم يكن أبو الوفا ذلك المجيب على الجانب الآخر...كان نقيبًا من الشرطة...النقيب شادي..أخبرني بالقبض على أبي الوفا ...هرعت إليه ..سمحوا لي بزيارته على الفور.

يبدو أن جلستنا مُسجلة بصورة ما ..هكذا شعرت من سرعة تلبية طلبي برؤيته، وترك الغرفة لنا بمفردنا...نظر إليَّ أبو الوفا بحدةٍ شديدةٍ:

- إنت عرفت منين إني هنا؟

- كلمتك ع التليفون وردوا عليا قالولي إنك هنا.

- وجاى ليه..جاي تشوفني وانا كده؟

اقتربت منه وقبلتُ رأسه...

- أنا أسف إني مديت إيدي عليك.

امتلأت عيناه بالدموع..أخبرني الضابط شادي بسبب القبض عليه ..كان أمرًا أقرب للخيال بالنسبة لي..يسرا ما زالت على قيد الحياة..ربتُّ على كتفه ناظرًا له بشفقة مًتسائلًا:

- ليه مقولتليش؟

انسالت دموعه لأول مرة ..منذ التقينا لم أره يبكي حتى عند موت والدته..أبو الوفا كان رمزًا للصمود والحدة لديَّ..لم أرَ دموعه مطلقًا حتى ونحن صغار بالمدرسة..كان حادَّ الطباع، صلب المشاعر..تلك هي المرة الأولى التي أراه يبكي على هذا النحو..

سألته مُشفقًا عليه:

- للدرجه دي حبيتها؟

أشار إليَّ بالإيجاب...احتضنته على الفور..وكأني اعتذر له عن صفعي إياه...نظرت إلى عينيه وسألته بشغف كبير:

- قولتلهم إيه؟



لم أرغب أن تشاركني الشرطة بأي شيء ..لن يصدقوا على أي حال ... سيقومون بتعطيلي فقط...لا أريد من يمنعني عن تنفيذ آخر خطة لي على قيد الحياة..تنهد أبو الوفا ناظرًا إليَّ...

- قولتلهم على الحقيقة...وهقولهالك إنت كمان لأني مبقيتش قادر أخبي اكتر من كده.

كان القناص وشادي بتلك اللحظة يعدون علينا أنفاسنا..أراد حسام مطابقة اعتراف أبي الوفا له مع جلستنا الزوجية تلك...لعله يغير أي شيء...

تنهد أبو الوفا بادئًا بسرد اعترافه مرةً أخرى:

- الحكاية بدأت من واحنا في أولى إعدادي.. في يوم إسود رجعت فيه من المدرسة لقيت بيتنا وقع ومات تحتيه أبويا، أبويا اللي كان محوط علينا، محسسنا بالأمان ..راح وراحت، معاه كل حاجة، وكان لازم أشيل مكانه ..الشيله كانت تقيله لكن مفيش مفر، أمي واخواتي اتعلقوا في رقبتي، جريت على المعلم سيد الشرنوبي.

- السمسار؟

- كان صاحب أبويا..كنت فاكر إنه هيساعدني ويراعي العيش والملح، لكنه رمانا وسط الأموات في حوش صغير وقالي مقدرش أعملك أكتر من كده، وفي يوم وليله لقيتني عايش وسط الترب..وسط الموت، الموت اللي على الرغم من قسوته كان أحن عليا من أي حد، اشتغلت صبي تربي..كافحت.. عمر ما حد حس باللي انا فيه...عمري



ما شكيت لحد...كل اللي كان في مخي ازاي اخرج باخواتي وامي من هنا.. إزاي أأمنلهم مستقبلهم، ازاي أرجعهم بنى ادمين من تاني لحد ما بقى عندي ٢٤ سنة.. وفي ليله ..

تذكر أبو الوفا حينها اللقاء الأول بكاظم نصر... قص عليَّ ذلك بالتفصيل...كان بغرفته بحوش المقابر ...فجأة شعر بصوت بالخارج..تسلل برفق.. رأى كاظم نصر ممسكًا بكشاف صغير بيده..واقفا أمام المقبرة ومعه التربي الذي كان يساعده أبو الوفا بعمله..ساعة متأخرة من الليل..صمت تام يُخَيِّم على المكان..تعجب أبو الوفا حينها..كانا يخرجان جثة دُفِنَت صباح ذلك اليوم..رآها أمامه يتفحصانها..سارع الخطى وفاجأهما بوجوده...نظر إلى هاتين العينين الحادتين ..عيني كاظم نصر...تنهد أبو الوفا متذكرًا تلك النظرة الأولى..

- وجت الفرصة شاف فيا الطموح والرغبة إني أعلى لفوق، طلب مني أشتغل معاه، مكنتش بفكر إذا كان ده حلال ولا حرام لأن ببساطه مكنش عندي حق الاختيار، وعرفت إنه أبوك، ودخلت البيت..كان عالم عجيب بالنسبه لى، زار ودخان وناس بتتلوى، تعاويذ وجن وعفاريت ..خطيت برجلي سلمه تانيه لفوق، في عالم جديد ..العالم السفلي، من غير ماخاف ولا اتهزمترددتش لحظة.

كنتُ مصدومًا مما أسمع ...لم أتخيَّل يومًا ما أن أبا الوفا كان بذلك القرب من والدي الكريه ذلك الكاظم نصر...تنهد أبو الوفا ناظرًا إلى عيني:



- أبوك علمني ... وكأنه كان عاوز يسلمنى الرايه من بعده، كنت ليه الابن اللي انت مكنتهوش كنت ديمًا بحس إنه بيتعذب، حاسس بوحده على الرغم إني مكنتش بفارقه ..لقيت فيه الأب اللي إنت ملقيتهوش .. مرت السنين لحد ما...

انسالت الدموع بكثافة من عيني أبي الوفا...سألته بشغف ممتزج بغضب شديد:

- إيه؟

تذكر المقابلة الأولى لناصور..الاتفاق الأول...ذلك الاتفاق الدامي ..كان أبو الوفا معه بذلك الاتفاق تحت الأرض السابعة..كل ما استمع له تلك الليلة كان مطابقًا لما عايشه معي أنا والثلاثة الآخرين..وافق كاظم على الفور حينها ...طموحه القاتل دفعه لذلك..لم ينسَ أبو الوفا تلك النظرة بعيني ناصور ..نظرة الانتصار...أول إنسان يعقد معهم ذلك الاتفاق كان كاظم نصر..إنسان فريد من نوعه ..

نظر إليَّ أبو الوفا والدموع تنساب منه عينيه

- كنت خايف عليه .. لأول مرة أحس بالرعب، بتحط ايدك في إيد عدوك اللي بيوعدك بالأمان، بيوعدك بالحياة الأزليه ولازم تصدقه ..مفيش قدامك غير كده ...متقدرش ترجع خطوات لورا ...ولا تقدر ترجع الزمن وتغير اختياراتك .. بس للأسف ملحقش.

- ليه؟



- السرطان...وحش كاسر هجم عليه من غير ما يحس كان فاكر انهم هيحموه، وفي أقل من أسبوع كان انتهى، انتهي وأخر كلامه كان انت..

- انا؟

نظر أبو الوفا إليَّ ...كانت عيناي ممتلئتان بالاشمئزاز ...

- قالهالى وهو بيموت على إيدي...أبو الوفا...أمير اخوك أكيد هييجي، قوله يسامحني...خليك جنبه، متفارقهوش واوعى يعرف انك، اشتغلت معايا هيكرهك... ومات...ولقيت نفسي وحيد من تاني ...أبويا مات.

ساد الصمت بيننا كثيرًا...مشاعر مختلطة يسيطر عليها الانتقام... زاد ذلك من رغبتي بتفجير كل شيء...لا بد أن ينتهوا للأبد...حتى وإن كانت حياتي هي الثمن...

همس لي أبو الوفا في محاولة يائسة للتأثير على قلبي ...قلبي الممتلئ بالانتقام:

- صدقني يا أمير أبوك كان بيحبك وكان عارف اللي بيعمله غلط عشان كده كان بيبعدك عنه، ياريت تسامحه.

نظرت له بحدةٍ متناهية:

- يعنى مقابلتنا أول ما جيت من السفر مكنتش صدفه؟

- لا...عرفت إنك جاي من الشرنوبي، كنت موصيه لو عرف عنك أي خبر



يبلغني.

- بس أنا مشوفتكش يوم دفنته؟

- لأنك كنت واقف بعيد مكلفتش نفسك تبص حتى مين اللي كان شايله

- مشوفتكش.

- ولا أنا حاولت أكلمك.

- والموبايل؟

أخبرني النقيب شادي بذلك أيضًا قبل دخولي لتلك الغرفة..وكأنه يعيد التحقيق على لساني مرة أخرى...وكأنها المواجهة الأخيرة..أجابني أبو الوفا:

- فاكر المعلم عباس؟

- أ...

قاطعني أبو الوفا قبل أن أنطقها ...المشعوذ..وكأنه يريد إخفاء ذلك ..

- المقاول اللي اشتغلت معاه فترة.

- أه.

- احتواني وسِمعنى ووفرلي شغل قدرت اصرف بيه على أمي واخواتي، موبايل ابوك كان معايا ديمًا، كنت بشحنه وبخليه مفتوح



طول، الوقت مع إني مكنتش برد على أي تليفون بيجيله، كنت عاوز أحس إنه عايش مامتش، لحد ما طلبت من المعلم عباس طلب، غريب وهو بصراحه فهمني الله يكرمه مطرح ما هو قاعد.

- طلب إيه؟

- إنه ياخد الموبايل يخليه معاه ويبقى يرد عليا لما أكلمه عليه، ومع الوقت بقت كل اتصالتنا من على الموبايل ده، وبقيت حاسس إنه موجود حواليا في كل مكان.

- والبيت؟

- مدخلتهوش من يومها إلا معاك.

أمسكته حينها من ياقته بحدةٍ وعصبيةٍ بالغةٍ:

- يعني انت نسخه منه وطول الوقت ده بتضحك عليا؟!

- لا..أنا مقدرتش وبعدت كان قدامي إني أكمل نفس طريقه، لكني بعدت وجريت بأقصى ما عندي.

نظر شادي للقناص بالغرفة المجاورة...استمعا لكل شيء دار بيننا...سأله:

- مصدقه يا فندم؟

- مش مصدق ولا حرف..نفس اللعبة من تاني ..جن واتفاقيه وكلام ميخششش العقل.



- بس ده نفس الكلام اللي قاله لسعادتك، سعادتك شاكك في إيه؟

اضطجع حسام للخلف مفكرًا متنهدًا..سأل شادي:

- بعت للي اسمه عباس ده؟

- أيوه يا فندم راحوا يجيبوه.

- قال إيه عشان يحس إنه لسه عايش ومامتش!

قالها ساخرًا.

- حضرتك مش هتسمع الباقي؟

- اسمعه انت ولو لقيت حاجة تستاهل هاتهالي.

لم تنتهِ جلستى تلك مع أبي الوفا عند ذلك الحد...نزل تحت قدمي متوسلًا لي بدموعه التي لا تنتهي...مرتعشًا خائفًا...

- أرجوك يا أمير، أرجوك سامحني، أنا محتاجك تفضل جنبي، أنا خايف، بيقولوا إني قتلت المرضة اللي اسمها سلوى هقتلها ازاي وانا في أوضتي، مقفول عليا، مش انت عارف إن خروجنا كان مستحيل من الأوضه.. قولهم يا أمير.. قولهم...أنا خايف.. خايف المرة دي يشنقوني.. خايف على يسرا.. خايف على ابني اللي لسه مجاش.. خايف عليك.

أمسكته من كتفيه...جذبته لأعلى ...نظرت بعينيه وهمست له:



- عاوز رقم عباس..

كنتُ أعلم أنهم يسمعوننا...حاولت تخفيض صوتي تمامًا..وبالفعل لم يستطع النقيب شادي الاستماع لباقي حوارنا ..هرع حينها للقناص ليخبره بذلك..كاد أن يُجَنَّ حينها..أدرك بالفعل أن هناك سِرًّا آخر بيننا ...أدرك أننا نخفي شيئًا ما قد يساعده بفكِّ طلاسم تلك القضية...همس لي أبو الوفا مُرتعشًا:

- لا يا صاحبي...لا.. مش هيسيبوك.. إنت ناسي عملوا فينا إيه؟

- أبو الوفا ..ده قرار نهائي إديني رقم عباس.

- إنت بترمي نفسك في النار..غلط ..غلط.

- الغلط إننا وافقنا من الأول.

- مكناش نقدر نقول لأ.

- خايف من إيه يا أخي؟

قلتُها بعصبية شديدة ولكني حافظت على همسي له:

- تموت؟

- مانت ممكن تموت دلوقتي وبحبل المشنقه.

كان مضطربًا للغاية...مرتعشًا ينظر حوله بكل اتجاه..وكأنه يعلم بوجودهم حولنا، أما أنا فلم أعد أكترث لذلك...اعتنقت التحدي لهم بكل جوارحي..اقترب مني هامسًا:



- إوعى تفتكر إن اللي بيحصلنا ده كله بعيد عنهم ..

- قولتلك قبل كده إننا كان لازم نتطهر من ذنوبنا كلها يمكن ربنا يمدلنا إيده وينقذنا من اللي احنا فيه.

- أنا خايف.

- النمرة كام؟

- مش حافظ نمرة ابوك؟

- لا.

- وحتى لو حافظها زمانهم صادروا منه الرقم ده.

- ملوش موبايل تاني؟

- مكتوب في ورقه في جيب البنطلون الرمادي بتاعي عارفه؟ هتلاقيه متعلق في الحمام.

نظرت له مشفقًا عليه حتى بعد كل ما عرفته عنه وعن ماضيه الأسود مع كاظم نصر..انتهت جلستي معه، ولم يبقَ أمامي سوى شيء واحد..خطوة واحدة ليتحرر البشر أجمعون..قد لا يذكرني أحد ..قد يضحكون حين تُحكى قصتي ..قد يعتبرونها درب من الأساطير...ولكنها الحقيقة.. إنسان ضحى بنفسه لأجل البشرية كلها..تلك هي الحقيقة...خرجت من غرفة التحقيق وبداخلي بركان ثائر..لن يقوى أحد على إخماده أو تهدئته ..نيرانه المتدفقة ستحرقهم قبل أن تلمسني ...لأول مرة أشعر أنني حر طليق..لأول مرة تتصالح نفسي



وروحي معًا..لأول مرة أشعر أنني إنسان ..حتى وإن كانت ليلتي تلك هي آخر ليلة بعمري، ولكنني أعيشها بشرف وحرية...مرفوع الرأس...لم أشعر حينها بعباس أبي خطوة الواقف على باب مكتب النقيب شادي...لم أره... إنه أبو خطوة المؤكِّد لكل كلمة قالها أبو الوفا بخصوص موبايل كاظم نصر...

اقتربت من باب الخروج...استمعت إلى صوت أحدهم يناديني...

- أستاذ أمير.

كان ذلك هو القناص..

نظرتُ له ..اقترب مني بعينين ثاقبتين..

- ممكن نتكلم مع بعض شويه؟

كانت الساعة تقترب من الخامسة عصرًا..عاد أبو الوفا لزنزانته الانفرادية مرة أخرى ...عاد ليبكي حاله ..خائفًا على يسرا وابنه الصارخ بأحشائها بغدر والده...لم يقوَ على ذكر الحقيقة كاملة..لم يكن هناك مخرج أحسن من ذلك..جلس مهمومًا بأحد الأركان منتظرًا مصيره..متمنيًا أن ينقذه أحدهم ..ربما ينقذه قرين كاظم نصر الذي تحرر لحظة موته من جسده...لعله يكون له الأب المنقذ الآن كما كان له حينها..الابن البديل.





المَرَّةُ الأخيرةُ

(اليوم السادس والثمانون)

واقترب الحل...ذلك ما تراه بوجه حسام شوكت ..عيناه توحيـان بالسعادة والانتصار..عاد القناص إلى مكتبـه بعـد غيـاب طـال لأربـع ساعات متواصلة...خرج فجأة ولم يبلغ أحدًا بخروجه..لم يجب حتـى على هاتفه المحمول..ساور القلق النقيب شادي لعل أحدهم تخلص منه مرة أخرى ...يعلم جيدًا أن هناك مَنْ يتربص بـه بالخفـاء...لكنـه عـاد بسلام.

سأله شادي بلهفة حين رآه:

- حسام باشا .. روحت فين؟

- بعدين أقولك.

أجابه بابتسامةٍ واسعةٍ.



- طيب ...أمر النيابه جاهز.

- جهز قوة ويالا بينا.

- تمام سعادتك...بالنسبه ليسرا وأبو الوفا.

- فيه أي حاجة مهمه لفتت نظرك في مقابلة أبو الوفا مع عباس.

- خالص...مقعدتش عنده ربع ساعه على بعض.

- بكره حولهمع النيابه وقفل محاضرهم.

- بس كده هيخرجوا يا فندم ..متنساش سعادتك إن تقرير الطب الشرعي عن جثة سعاد مقالش جديد.. ومفيش أي دليل ملموس ضدهم.

أجابه القناص بنفس الابتسامة الواثقة:

- أنا عايزهم بره.

- أنا مش فاهم حاجة.

- قولتلك بعدين.

دقات على باب مكتبه..دخل أمين الشرطة ملهوفًا مرتبكًا ...

- لو سمحت سعادتك يا فندم فيه مصيبة.

الزنزانة الانفرادية الخاصة بيسرا...انتقلوا لها سريعًا..يسرا عباس سيد .. افترسها رعبها..قررت أن تنهي معاناتها بنفسها..عادت لصفوف الأموات من جديد..ولكنها بجسدها هي تلك المرة...



وانتحرت يسرا..غارقة بدمائها المتدفقة من كف يدها..قطعت شريانها ببقايا زجاجة فنيك كانت ملقاة بالزنزانة...غافلت الجميع وانتحرت..فارقت حياتنا تلك للعالم الآخر لعله أحن وأرحم عليها مما نحن فيه..قتلت نفسها وابنها المسكين ..لم يقترف أي ذنب بحياته التي لم تبدأ بعد إلا أن والده كان أبا الوفا ...مات قبل أن يُولَد...انهار أبو الوفا حين أخبروه بذلك...فقد أمله الوحيد للنجاة...ابنه المقتول بأحشاء حبيبته وزوجته..أصبح كالكلب الأجرب دخل الدنيا وسيخرج منها وحيدًا كجذع شجرة مقطوع منذ زمن تأكله الدود...يبكي ويبكي ويبكي لا يكف مطلقًا لعل بكاءه يمحو خطاياه..لعله يشفع لهما ..إنه الآثم الأكبر...إنه صاحب الذنب الوحيد وليس هي...

خرج القناص سريعًا بعدما أمر بتحويل الجثة إلى المشرحة لإتمام إجراءات دفنها..

وبدأ البحث عن المجرم الهارب...الدكتور أشرف سعيد مهران..المختفي تمامًا..لا وجود له بفيلته الخاصة، ولا بالمستشفى، ولم يتبقَّ سوى منزل والده رجل الأعمال سعيد مهران..ذلك القصر الضخم الأشبه بالقلعة الحصينة...لا يملك القناص أي وسيله قانونية لاقتحام ذلك القصر المنيع...إذن النيابة يعطيه الحق بالقبض على أشرف فقط، وليس تفتيش قصر والده..وليس هناك وقت للانتظار ...أمر رجاله وقوته الشرطية بالتَّوجُّه إلى هناك ...لكن الحظ حالفه هذه المرة..بلاغ على الجهاز اللاسلكي من قوة المراقبة الخفية أمام البيت الملعون..



- الهدف ظهر قدامي يا فندم ...

الساعة تقترب من الثانية عشرة ليلًا..كان أشرف واقفا هناك ...بالقرب من البيت الملعون..كان يتتبعها والشر يتطاير من عينيه...إنها تحب غيره... رآهم مرارًا وتكرارًا...كان يرقبها حين شاهد نظرات الحب بأعينهما بحديقة فيلتها ليلة عيد ميلاد إياد...مزقت تلك النظرات قلبه..أدرك حينها أنها تحبه وتعشقه...أصبح كالمجنون غير قادر على التمييز..غيرته على علا غلبت عقله.

سارعت قوة الشرطة وعلى رأسها القناص لمنطقة المنيل..إنها فرصة ذهبية للقبض عليه...بعيدًا عن نفوذ والده.

❋ ❋ ❋

وسقطت الأقنعة...جلست وسط تلك الأجهزة الشبيهة بالحقائب السيمسونيت أنظر إليها شاردًا...مر أمام عيني كل ما عايشته ومررت به طوال حياتي...شريط أسود..حياة ممتلئة بالحزن والمصائب المتعددة...دقات رقيقة على الباب ...من سيأتي بتلك الساعة المتأخرة من الليل...

فتحت لأراها أمامي..علا تلك الحبيبة الغائبة..لم أقوَ أن تلتقي عيناي بعينها ...

نظرتُ إلى الأرض ..تضاءلتُ أمامها...مدت يدها ورفعت وجهي عاليا...نظرت إلى عيني بقوةٍ وكأنها تعود من جديد الباعث الأوحد على الحياة:



- مش لازم تبص في الأرض مش لازم تتكسر.

خرجت الدموع من عيني وكأنها تـصرخ عاليـة راغبـة باحتـضانها والشعور بحنانها المفقود..

- انتي اللي بتقولي كده؟

دخلت البيت وأغلقت الباب...نظرت للأجهزة ثم نظرت إلي:

- أمير ..إنت عارف أنا جايه ليه؟ هتستعجب إني بقولـك الكـلام ده يمكن عشان رساله الـدكتوراه بتـاعتى خليتنـي قريبـه أوي خليتنـي اشوف اللي ماحدش شايفه واحس بيه.

اقتربتُ منها...جلست بجوارها وسـط تلـك الأجهـزة المتنـاثرة.. نظرتُ إلى عينيها الساحرتين مستعدًّا لحديثها ..تنهدت ناظرة إليَّ لتقصَّ عليَّ خُلاصة تجربتها ودراستها...لم أسأل نفسي حينهـا مـا المغـزى وراء ذلك...كفاني فقط أنها أمامي مرة أخرى بعدما توقعتُ غيابها للأبد...

- زمان بعد ما إبليس اتطرد من الجنه، ومن رحمة ربنـا..نـزل عـلى الأرض، لملم شتات الشياطين والجن اللي كانوا عايشين قبل خلق البنـى آدمين واتطردوا مـن الأرض بعـد حـرب كبـيرة مـع الملايكـه ... لملـم شتاتهم وأنشأ مملكته الجديدة مملكة الشيطان ..بعيد عـن أعـين أي بـشر ..أسس لعرشه على المياه.. اللي بتحرسه الحيـات، وبـدأ خطتـه الأبديـة خطته اللي قايمة على حاجة واحدة بس انه يتشفى في البني آدمين.

كانت تهمس لي وكأنها خائفة من أن يسمعنا أحدهم...



- عدو خفي لا يمكن في يوم من الأيام يكون صديق مهما كانت المصالح المشتركة، فاهمني يا أمير؟

أشرتُ إليها بالإيجاب ...نهضت تسير أمامي متوترة..نظرت إليَّ بعد لحظات:

- أول درس ..إوعى تآمن أو تصدق لعدو أكتر حاجة بتفرحه هي هلاكك، فيه حكاية كانت جدتي ديما بتقولهالي معرفش إذا كانت حقيقية ولا لا، بعد ما مات سيدنا آدم ..بعد ما عاش على الأرض ٩٥٠ سنة افتكر وقتها إبليس إن البني آدمين خلاص انتهوا وقرر يظهرلهم ويحاربهم ودارت بين الاتنين معركة عظيمة، جيش الشياطين بقيادة إبليس وجيش البشر بقيادة واحد من أحفاد آدم اسمه مهلاييل .. معركة...ضخمة .. مرعبة ...ابتكر فيه البشر سلاح جديد قدروا يكسبوا بيه الحرب دي .. واتهزم الأبالسة للمرة التانية، الأولى كانت من الملايكه، والتانية من البني آدمين عارف سلاح ايه؟

اقتربت مني تنتظر إجابتي..نظرت لها صامتًا لا أملك أي إجابة..ابتسمت لي والتحدي بعينيها...

- سيوف من تلج..كان السيف بيقسم الجن نصين ..الجن المخلوق من نار...حل عبقري مش كده؟

- أنا مش فاهم انتي تقصدى إيه؟

سألتُها محاولًا الوصول لمغزاها..نظرت لي بنفس التحدي الممتلئة به عيناها.



- تاني درس..عدوك مهما كانت قوته، ليه نقطة ضعف ممكن تهاجمه منها، وتقضي عليه

- عاوزانى أحاربهم بسيف تلج؟

قلتُها بسخرية..مدت يدها ناحية رأسي تشير لعقلي:

- تحاربهم بده. اسأل نفسك هما عاوزين إيه؟

أجبتُها:

- عاوزين الأرض.

- وإيه كمان؟

- يخلَّصوا على البني آدمين.

- وإيه سلاحهم؟

- الأجهزة دي.

أشارَتْ إلى تلك الأجهزة حولنا وبثقةٍ شديدة نظرتْ إليَّ:

- نقطه ضعفهم.

- قصدك؟

بدأتُ أفهمُ ما ترمي إليه..لكني أحتاجُ إلى التركيز الشديد ..أحتاجُ أن أُلْمِلَمَ شَتات نفسي ...ابتسمت لى بقوة:

- إنت عِرفت خطتهم وتقدر تبوظها بسهولة على الأقل ال ٥٠ واحد دول يبقوا في صفنا.



نظرتُ إلى عينيها بحبٍّ شديد ..بادلتها نفس الابتسامة الساحرة متسائلًا:

- إيه اللي غير رأيك كده؟

- فكرت ولقيت إني أنانية لما حكمت عليك بالطريقة دي وفكرت برضه في حل أعتقد إنه يخليك تكفر عن اللي فات.

- أنا مستعد اعمل كل اللي تقوليلي عليه.

- فين الكشف اللي قولت عليه؟

- أهو.

ناولتُها ذلك الكشف الممتلئ بأسماء الضحايا...كنت قد انتهيت من ٥٠ ضحية حتى الآن ..كنتُ على استعداد حقيقي لتنفيذ ما ستخطط له علا..نحيتُ فكرة تفجير ذلك المخزن الواسع الممتلئ بالأجهزة تحت الأرض جانبًا على الأقل الآن..سأخفي بصدري السبب الحقيقي وراء تغيير خطتي..طلبت مني علا بعض الأوراق والكربون المستخدم لكتابة نُسَخٍ مُتعددةٍ مرة واحدة ...كانت غرفتي تحوي بعض ما طلبته ..جلبته لها...

- أدي الورق ...وادي ورق الكربون ...هاه بقه؟

بدأت علا بسرد خطتها الذكية:

- اكتب الأول دي وبعدين اعمل منها خمسين نسخة، وانقل أسامي اللي باقيين عليهم



إلى السيد / (شرطه) ة(تاء مربوطة)...سيب مسافة فاضية للاسم..

الجهاز الأسود ده اللي شبه السيمسونيت

اللي جنبك ده ..يخصك ..

...خده ...اخفيه

ادفنه ...احرقه...المهم تخفيه

هتعيش بعدها في امان ...صدق أو متصدقش.

نظرت لها متعجبا متسائلا

- تفتكري ده صح ؟

أجابتني بإصرار شديد:

- مفيش غير كده كل واحد اسمه هنا ياخد الجهاز بتاعه ويبقى بكده أنقذتهم، ورضيت ضميرك وحاولت تستغفر ربنا عن اللي فاتوا.

- بس ممكن ينفجر في أي حد منهم.

- لا إنت قولتلي إن الانفجار ده بيحصل لما صاحب الجهاز مبيبقاش موجود وإنت حاولت تفتحها.

- اه هو قال كده

- طيب.

- بس أكيد فيه زيي كتير.



- مش فاهمة

- أقصد هتلاقيهم مجندين بشر كتير زيى هنوصلهم ازاي؟

- خلي دي مرحله تانية نخلص اللي معاك وندور على غيرك ...ممكن مثلًا نعمل إعلان إن اللي معاه شنطة بالشكل ده يكلمنا ونصورها ونقوله نشتريها بأعلى الأسعار أكيد هيفهم وهيكلمنا ساعتها نكسبه في صفنا وعلى كل حال إحنا بنعمل اللي علينا صدقوا بقه مصدقوش رموها مرموهاش المهم نيتنا إحنا إيه، ده غير إننا كده بوظنالهم خطتهم.

اعترف بذكائها المفرط...نظرتُ لها بإعجاب شديد..خطة بمنتهى الذكاء..

- طيب فيه حاجة تانيه؟

- إيه؟

- دول في خمسين يوم.

- لالالالالالا...إحنا هنسلمهم لصحابهم ورا بعض مش مهم التواريخ دي سيبك منها.

- انتي شايفه كده؟

- اكتب يالا متضيعش الوقت.

- حاضر.

عاودتُ الكتابة مرة أخرى والابتسامة تملأ وجهي...



- شد خط ...عزيزي / (شرطة)عزيزتي

الحكايـة عجيبـة وغريبـة وخـارج نطـاق العقـل بـس حـصلت وبتحصل وهتحصل ولازم تصدقني لمصلحتك.. الحكاية باختصار ...

ساعة كاملة قضيناها نخطط معًا للأيـام القادمـة..نخطـط لإنقـاذ البشرية على حد قولها...تبادلنا كل الاحتمالات الممكنة...وانتهينا...

هَمَّت علا بالانصراف بعد أن أنهت مهمتهـا العاجلـة..نظـرت إليَّ وهي على باب شقتي:

- متنساش تكتب على كل جواب هام وسري للغاية.

- استني هنزل أوصلك لتحت.

- لا ملوش لزوم.

- لا هوصلك ...ممكن؟

نظرتُ إلى عينيها ماسـكًا يـدها ..عـادت نظـرات الحـب المتبادلـة بيننا...عادت روحي مرة أخرى تغرد داخل جسدي..ابتسمت لي:

- ممكن.

أمسكتُ يدها ونزلنا الدرجات معًا..خرجنا متشابكي الأيدي أمام سيارتها ...كان هناك...بانتظارنا...دكتور أشرف مهران...

وصل القناص هذه اللحظة ...وكـأن الـزمن توقَّـفَ حولنـا..مـد أشرف يـده ليخـرج مـسدسه مـن جيبـه..صَـوَّبَه تجـاهي..لم أره مُطلقًا...القناص يركض تجاهه يحاول اللحاق بـه ...حـاول منعـه مـن



قتلي..أشرف لا يرى شيئًا سوى غيرته مني ..أنا مَـنْ سرقـتُ منـه حُبَّـه الوحيد ..سرقتُ منه قَلْبَ علا..صَوَّبَ مسدسه تجاهي ..كنـتُ حينهـا مشغولًا بعبَقِها وسحرها الرائعين...أنظر إلى عيني معشوقتي..رأتْهُ علا عن قُربٍ..صرخت عاليًا بنفس اللحظة التي يطيرُ بهـا القنـاصُ بـالهواء ليقتنصَ أشرف قبـل خـروج رصاصـته..لكنـه كـان أسرع...خرجـت الرصاصةُ الحمقـاء وأصـابتني..وقعـتُ عـلى الأرض متـأثرًا بإصـابتي تلك...اختفى كل شيء من حولي..تلاشت الدنيا بغمضة عـينٍ..رأيتُهـا أمامي بفستان زفافها...حبيبتي التي طالمـا طلبـت منـى الـذهاب إليهـا لننعم بحياتنا الأخرى معًا..منى السماك معشوقة الماضي...كانت تبتسم لي...هأنا أغيب عن الوعي تمامًا غير مُدْرِكٍ: هل سأعود إلى تلك الـدنيا مرة أخرى أم أنها ..المرة الأخيرة؟



بِدايةٌ جَديدةٌ

(اليوم السابع والثمانون)

أشرقت الشمس بشعاع صباح جديد ..هرع الصحفيون والإعلاميون لتغطية ذلك الحدث الضخم...القبض على ابن أكبر رجال الأعمال والسياسة بقضية قتل ...قضية الموسم..قضى القناص ليلتها بمكتبه سعيدًا ..غافله النوم حتى الصباح...ألقى بأشرف داخل زنزانة جماعية ليذيقه الذُّلَ والهَوانَ...تحرَّشَ به المحجوزون من القتلة والنشالين طوال الليل..

استيقظ حسام والابتسامة تعلو وجهه..اقترب من تحقيق أهدافه...على الرغم من تلك الحلقة المفقودة التي تُخفي أغلب ألغاز تلك القضية، ولكنه سعيد للغاية بما توصل إليه حتى الآن...

كانوا بانتظاره لبدء التحقيق...خرج من مكتبه ليشقَّ طريقه بصعوبةٍ وسط هؤلاء الصحفيين والإعلاميين..لم يتلفظ لهم بكلمة



واحدة ...ولم ينهَهُم ويطلب منهم بالرحيل..كيف يفعل ذلك وهو يريدهم تسليطَ الضوء على تلك القضية بالذات...وكأنه ينتقم من ذلك المجرم القابع بانتظاره بغرفة التحقيق..دكتور أشرف سعيد..

وبدأ التحقيق مع الساعات الأولى لذلك النهار..بحضور المحامي الجهبذ أستاذ القانون الجنائي زهدي النشار حاضرًا عن المتهم ...اتكأ القناص على كرسيه ناظرًا لأشرف الممتلئة عينه بالحقد والكره والانتقام بآنٍ واحد:

- اسمك وسنك وعنوانك...

- أشرف سعيد مهران ٣٥ سنة، ١٣ فيلا الزهور، المعادي.

- إنت متهم بقتل المجني عليه هشام فريد الشناوي.

نظر أشرف إلى محاميه زهدي النشار فأشار إليه بالنفي ...أجاب:

- محصلش.

نظر القناص إلى عينيه مستهزئًا:

- السكينة اللي دبحته بيها عليها بصماتك اللي أكدها تقرير المعمل الجنائي بمطابقتها ببصماتك في الملف بتاعك في المستشفى.

بدا التوتر واضحًا على أشرف ..نظر لزهدي مرة أخرى وللمرة الثانية أشار إليه بالنفي، أجاب:

- محصلش؟



بدأ زهدي بالتدخل كحية قميئة بابتسامة صفراء سمجة:

- سعادة الباشا اسمحلي بصفتي رئيس هيئة الدفاع عن أشرف بيه.

قاطعه القناص بحدةٍ:

- قصدك المتهم!

حافظ زهدي على ابتسامته:

- يا سلام بس كده ولا يكون عند سعادتك فكرة ...المتهم... أنا بطعن في تقرير المعمل الجنائي ده ...موكلي مالوش أي علاقة بجريمة القتل دي والمجني عليه كان مجرد زميل له في العمل.

- يا متر موكلك قال قبل كده إنه كان صديق مقرب للمجني عليه.

- محصلش.

قالها أشرف متوترًا...نظر إليه القناص بحدةٍ شديدةٍ:

- والمسدس اللي عليه بصماتك، ومحاولة قتل أمير كاظم نصر الدين، واتهامهم ليك في محضر رسمي هو ودكتورة علا زميلتك في الشغل.

لم أمت ...كُتِبَتْ لي الحياةُ بالفعل ...رصاصته استقرت بالقرب من كتفي..مجرد جرح بسيط عولج على الفور بأحد المستشفيات..ولا أدري لِمَ غِبْتُ عن الوعي حينها..ربما كنت أحتاج لبعض الراحة..ربما أحتاج للموت ولو لساعات قليلة..أنفصلُ فيها عن تلك الدنيا المحكومة



بقانون الغاب..أُخِذَت أقوالي بمحضر به بعض الأسئلة أطلقها عليَّ النقيب شادي وكانت علا حبيبتي بجواري وهم يضمدون جرحي ...

سألني:

- فيه أي خلافات بينك وبين دكتور أشرف سعيد مهران تخليه يحاول يقتلك؟

أجبته متعجبًا:

- أنا مشوفتش دكتور أشرف من ساعة ما خرجت من المستشفى ومفيش بيني وبينه أي حاجة.

- إيه سبب تواجد دكتورة علا عندك في الوقت ده؟

- أنا بساعد دكتورة علا في رسالة الدكتوراه بتاعتها ...زي ما تقول حضرتك كده حالة بتدرس عليها.

- طيب تحب تضيف أي حاجة؟

- لا ابدا

وَقَّعْتُ بإمضائي على المحضر وانصرفتُ...بالفعل لم أره وأتعجبُ كثيرًا من محاولته قتلي ..لم يكن بيني وبينه أي خلافات إلا تلك التوسلات اليائسة بمنع جلسات الكهرباء عني..حتى تلك من الممكن أن تكون دافعًا لي أنا لأقتله وليس له...

أنكر أشرف ذلك الاتهام صارخًا مُتوتِّرًا:



- محصلش...محصلش.

وبنفس الابتسامة السمجة على وجه محاميه زهدي النشار:

- حسام باشا..المسدس اللي بتقولوا إنه بتاع موكلي وعليه بصماته أنا بتهمكم رسميًّا إنكم دسيتهوله بصفة كيدية منكم وأتحدى أي حد إنه يثبت إنه بتاعه أو حتى عليه بصماته.

تَعجَّبَ القناص بشدة من وقاحتهما..واقعة شروع في قتل بوسط الشارع بحضور بعض أهالي المنطقة وينكر بتلك الوقاحة...نظر إليه القناص ساخرًا:

- فيه شهود كتير.

- أتحدى ..لو جيبت واحد بس يشهد على موكلي إنه كان موجود

أساسًا في المكان المثبت في المحضر اللي هو ١١ ش المنيل.

- نعم؟

بدأ الصبر ينفد لدى القناص..نظر إليهما بحدةٍ متناهية..وَدَّ أن ينقضَّ على أشرف بيديه ويخنقه ...إنه يعلم تلك الألاعيب جيًدا...سيشترون أصوات وضمائر كل سكان المنطقة ممن رأوا الحادثة...استكمل المحامي الجهبذ خطته المُحْكَمة...

- والد موكلي راجل ناجح، ومشاريعه في كل مكان، رجل اقتصاد من الطراز الأول، وده مخلي له أعداء كتير ، وبيحاولوا يلوثوا سمعته، وزي ما قولت لحضراتكم أنا بوجه، اتهام رسمي ضد حضراتكم



بصفتكم، المهنية وممثلين لوزارة الداخلية إنكم بتكيدوا بموكلي وتلفقوا له تهم لم يقدم عليها مُطلقًا.

تنهد حسام ساخرًا:

- حلوة اللعبة دي، عارف فيه مثل شعبي بيقول اللي لمؤاخذه اللي فيها تجيبه فيك طبعًا أشرف بيه متربى أحسن تربيه ابن سيادة الملياردير سعيد مهران، مش هيفهم بقول إيه مش كده، يا متر

- شوف يا باشا القانون بينا، موكلي إنتم قبضتوا عليه من وسط فيلته وبدل الشاهد عشرة، وحكاية المسدس دي منعرفش عنها، حاجة أما بقه جريمة قتل هشام الشناوي اللي بتحاولوا بكل الطرق توريط موكلي فيها فأنا بطالب بإعادة فحص البصمات دي مرة تانية.

كان يعلم أنه سيواجه كل ذلك..هؤلاء عِلْيَةُ القوم لا يقبلون أبدًا أن يقعوا تحت طائلة القانون..يشترون بأموالهم كل شيء...مئات الأيدي ستمتد لإنقاذ ذلك الطبيب المجرم الملوثة يداه بقتل صديقه إن لم يكن له يد بباقي الجرائم..أدرك القناص ذلك منذ اللحظة الأولى بشكِّه في أشرف ...أدرك أنه سيدخل عُشَّ الدبابير بمفرده وعليه بالصبر والتحمُّل..

لكنه لن يقوى مهما يفعل هو ومن حوله أن يخرج من تلك الجريمة..بصماته على سلاحها ...الأمر مُنتهٍ.

نظر للجندي الواقف أمام غرفة التحقيق:

- هات المتهم أبو الوفا من زنزانته.



- حاضر يا فندم.

ساد الصمت لحظات...نظرات التحدي المتبادلة بين أشرف والقناص تبلغ منتهاها..الثقة المتناهية الواصمة لابتسامة زهدي النشار تستفزه للغاية..

دخل أبو الوفا مهزومًا منكسرًا باكيًا...لم يكف عن البكاء منذ أمس.

- تعالى يا أبو الوفا اتفضل اقعد البقاء لله.

غالب أبو الوفا بكاءه ...

- الدنيا والدوام لله.

- إحنا حولناها لتلاجه المشرحة، النهارده انت هتترحل على النيابة، وهيفرجوا عنك هناك اللي هقدر اعملهولك إني هسيبها جوه المشرحة لحد ما تروح إنت تستلمها ده طبعًا بعد ما يعملوا تشريح للجثة عشان نتأكد من سبب الوفاة ونقفل أوراقها.

انسالت الدموع أكثر وأكثر من عيني أبي الوفا...حاول حسام تهدئته لاستكمال التحقيق:

- انا عاوزك تهدى يا أبو الوفا، المهم دلوقتي...عاوزك تركز معايا شويه.

- أنا تحت أمرك.

- إنت عارف مين ده؟



أشار إلى أشرف مهران..أجابه سريعًا بعدما نظر إليه:

- ده الدكتور أشرف اللي كان بيعالجنا في المستشفى.

- تعرف حاجة تانية عنه؟

- لأ.

نظر حسام لأشرف:

- ايه رأيك يا أشرف بيه إن يسرا عباس سيد اللي كانت في غرفة ٣ فاكرها...؟

- أيوه.

- مكنتش ماتت..

- يعنى إيه؟

- يعني اللي كانت متعلقة في الحبل مكانها من رقبتها كانت الممرضة سلوى اللي كانت بتشتغل شيفت بالليل ديمًا واللي اهلها بلغوا عن اختفائها وعملوا محضر بكده.

نظر أشرف لمحاميه وأشار له بالنفي كالمعتاد:

- أنا معرفش حاجة عن الحكاية دي.

- مش إنت مدير المستشفى دي برضه ولا إيه؟

سأله القناص ساخرًا.

- أيوه لكن مش مسؤول عن حياة اللي شغالين معايا ليل نهار.



- يا راجل عيب تقول كده إنت راجل لو الصحافة سمعتك دلوقتي هتعملك مشكلة كبيرة، إنت مسؤول عن أرواح الناس اللي بتتعالج عندك واللي شغالين كمان، ده شيء بديهي طالما جوه أسوار المستشفى.

قاطعه زهدي النشار باستفزاز...

- يا حسام باشا دي تهمة جديدة بتحاول تضيفها لموكلي؟

- لا يا زهدي بيه إحنا بندردش

ولا عندك مانع؟

- أنا بتحفظ جدًّا على اللي بيحصل ده ...وبطلب منع الكلام مع موكلي إلا في

الاتهامات الموجهة إليه.

انفجر حسام فيه بعصبية شديدة:

- انت مش هتعلمني أقول إيه ومقولش إيه؟

تنهد ناظرًا لأبي الوفا..

- قولي يا أبو الوفا ..تعالى نفترض مع بعض لو توفيق وسمير والمرضة اللي المفروض هي يسرا بالغلط منتحروش يبقى إيه الخيار التاني؟

- اتقتلوا.



قالها أبو الوفا بعدما نظر لأشرف مسددًا إيه نظرة حـادة...التقطهـا حسام منه وكأنه كان ينتظرها.

- برافو عليك ..أيوه كده يا أبو الوفا هو ده الكـلام، ولمـا الأوض اللي عليها أقفال

زي مـا هـي يبقـى الـلي قـتلهم معـاه مفتـاح الأقفـال دي ..فـتح خنقهم..علقهم ..وخرج، صح؟

قاطعه زهدي مرة أخرى ..

- أنا مش فاهم إيه الإصرار العجيب عـلى تـوريط مـوكلي في كـل الجرايم دي؟!

- أنا بشوف شغلي يا متر.

- بقول لحضرتك إيه ..طالما مفيش دليل معاك يبقى معنـدناش أي رد؛ لأن التحقيقات على ما أعتقد اتقفلت بـإنهم منتحـرين، إلا إذا بقـه حسام باشا عاوز يعمل تحليل وتشريح لجتتهم تاني في معمل خاص بـره على حسابه.

نظر إليه حسام باشمئزازٍ شديدٍ:

- متطمنش أوي كده.

- والله انا مطمن عشان شايف سعادتك.

ابتسم القناص بثقةٍ شديدة..كان يـدرك مـا لا يدركانـه...حدسـه البوليـسي يتأكـد يومًـا بعـد يـوم..ومهـما يفعلـوا أو يحـاولوا تزييـف



الحقائق...فقد اقترب من كشفها كلها في آن واحد..بقيَ له فقط أن يدرك من هو المدبر الرئيسي.

* * *

خرجتُ من المستشفى ذلك الصباح بعدما مكثتُ هناك تلك الليلة... اهتمَّ الأطباء بي للغاية ... أوصاهم حسام شوكت بي...لم يتركوني أخرج إلا بعد إجراء الفحوصات الطبية المختلفة كافة..قَصَّت علا ليلتها مطاردات دكتور أشرف لها وحُبَّه لها...كنت أعذره في ذلك حقًّا..من يستطيع مقاومة ذلك الملاك الجالس بجواري..خرجتُ وأنا أشبك يدي بيدها..تلك اليد الرقيقة التي تسلب كل حواسِّك حين تلمسها...كنت بجوارها بسيارتها الفارهة...لا أتحدث، فقط أنظر إليها وأستمع لموسيقاها المفضلة ..وكأنها تعزف داخل قلبي...ابتسامتُها لي تُنسيني كل الهموم ...روحها الساحرة الظاهرة بعينيها ..منى السماك ...حبيبتي الأبدية...أراها في عينيها..في لفتاتها..في ابتسامتها كالمعتاد..للحق أعتقد أن حبي العميق لعلا كان نابعًا من حرماني اللعين من حبيبتي الراحلة..كنت أشتمُّ عَبَقَها حولها.

ابتسمت لي علا متسائلة:

- هتبدأ بكره؟

- من بدري.

- خايف؟

تنهدتُ بابتسامةٍ واسعة:



- فرحاااااااااااااااان. أنا خلاص مبقيتش لا عاوز البيت ولا اللي فيه، وكفايه عليا انتي، إنتي وبس.

ضغطت بقوة على يديها الرقيقتين...كدتُ أحتضنُها وأُلقي بنفسي بأحضان قلبها على الفور...

دخلت البيت الملعون ..جلست وسط الأجهزة المتناثرة طيلة اليوم أجهِّزُ تلك الخطابات ....تلك الخطابات التي كتبناها معًا...مر اليوم سريعا ..نظرت إلى الساعة لأجدها التاسعة مساء..دخلت غرفتي واستلقيت على سريري..من الغد سأكون على موعد مع السعادة..على موعد لتكفير خطايا عمري بأكمله..مهما أحكِ لن أقدر على وصف شعوري بالسعادة والأمل تلك الليلة...من الغد ..سأكتب بيدي ... بداية جديدة.



نَارُ الجَحِيمِ

(اليوم السابع والثمانون)

عادت علا لفيلتها بصحبة إياد ابنها ..غابت عنه ليلة بأكملها ... كانت تطمئن عليه كل ساعة تقريبًا عند والدتها باكينام...اضطرت أن تخبرها أنها ستبيت بمكتبها بالمستشفى لمتابعتها بعض الحالات المرضية شديدة الخطورة...لم تخبرها بأنها بإجازة منذ فترة..علاقتها بأمها متوترة طوال الوقت ..

كانت الساعة التاسعة والنصف ليلًا...شعرت علا بالإرهاق الشديد...استلقت بجوار إياد النائم بسريره فور وصولهما دون حتى أن تغير ملابسها ..

دقات على جرس باب فيلتها..دقات متتالية متوترة..

نهضت بالكاد وهبطت الدرجات لتفتح الباب..كان فادي واقفًا أمامها مرتعشًا..ذلك المصور الذي استعانت به عدة مرات لتصوير



حالات أبحاثها...شكله مزرٍ للغاية ..ملابسه غير مهندمة ويرتجف بشدة...نظرت إليه بتعجب شديد:

- فادي؟

- ممكن أتكلم معاكي شوية؟

- دلوقتي؟

- أسف ..محتاج اتكلم معاكي

- اتفضل.

دخل إلى صالة فيلتها..الخوف يطل من عينيه المرتعشتين الزائغتين..جلس على أحد كراسي صالة فيلتها ...أسرعت لتجلب له كوبًا من الماء...سكب نصفه على ملابسه ...الدموع تصرخ بعينيه..انتظرت بحيرةٍ سبب حالته المزرية تلك...

تنهد بالكاد مرتعشًا ناظرًا لعلا...

- عم زغلول ...راجل غلبان عنده بيت قديم في بين السرايات جالي الجورنال وطلب مني أساعده..في الأول مكنتش مصدقه وحاولت أفهمه إن مفيش حاجة اسمها بيت تسكنه العفاريت وإنه موهوم مصدقنيش وصمم أروح معاه عشان أشوف بنفسي، روحت.. وفي غمضة عين لقيت نفسي تحت الأرض السابعة، حسيت إني وسط الجحيم وشوفتهم...

زادت رجفاته للغاية..برقت عيناه متذكرًا ما حدث له:



- شكلهم زينا ..لكن كنت مرعوب، كان فيه زيي كتير، صدقته لكن بعد فوات الأوان، واختفى عم زغلول، حاولت ارفض قالولي اللي، دخل اللعبة لا يمكن يخرج منها، بسلام، لا يمكن اللي يشوفنا ميبقاش معانا وانت جيت هنا باختيارك، يبقى لازم تختارنا للنهاية.

نظرت علا إلى عينيه ممسكة بيده ..سألته هامسة:

- طلبوا منك إيه؟

سالت الدموع من عينيه مرتعشًا...أخرج من جيب جاكتته ذلك الكشف المكون من مائة اسم..إنه يشبه نفس الكشف الممتلئ بالضحايا الذي بحوزتي...

- لو موافقتش هيمحوني أنا وعيلتي من على وش الأرض ولو وافقت هيوفرولي الأمان طول

حياتي زائد ٥ مليون جنيه، أنا مش عارف أعمل إيه، خايف.

اقتربت علا منه وجلست أمامه على ركبتيها...نظرت إلى عينيه بحبٍّ شديد..مسحت دموعه ...سألها ناظرًا بعينيها وكأنها المنقذ الوحيد له:

- أعمل إيه؟

احتضنته علا بقوة..ضمت ذراعيها حوله بشدة..ذاب فادي بين ذراعيها...همست بأذنيه بصوت أشبه بفحيح الحيات:

- وافق.

❋ ❋ ❋



اتكأ وكيل النيابة إلى الخلف بكرسيه بعد انتهاء تحقيقه مع أبي الوفا...

- هذا وقد أمرنا نحن إبراهيم محمود شاهين وكيل نيابة شرق القاهرة بالإفراج عن المدعو أبو الوفا إسماعيل مندور، وذلك بعد ضم تقرير ثبوت براءته من الاتهام المُوجَّهِ إليه بقتل المجني عليها سلوى شفيق حامد. تعالى امضي يا بني ... مع السلامة.

خرج أبو الوفا والخوف يتطاير من عينيه..يعلم جيدًا أنهم لن يتركوه يفلت بفعلته..خرج عن المنظومة كلها حين ساعد يسرا على الهروب... لن يتأثروا بدموعه وتوسلاته ..لن يفهموا معنى حبه ليسرا ..كل ما سيرونه أنه خرج عن طاعتهم...وجزاؤه شيء واحد فقط...رآه بعينيه أمام مبنى النيابة...ملثمان ينفذان به حكم الإعدام الذي انتظره منذ أن قُبِضَ عليه...رصاص رشاشيهما يخترق صدره ...سقط أبو الوفا ودماؤه تنساب حوله..ود لو عادت به الحياة مرة أخرى ليغير قدره ..غاب عن وعيه واختفى الملثمان...غابا بعد إسدالهم الستار عن حياته..حياته المُعذَّبة ...تبتعد أصوات دقات قلبه جاذبةً له بعيدًا ليستعد لجهنم .. ومهما يصرخ فلن يُغفر له...سيصلى ناره للأبد..نار الجحيم.



لُعبةُ النِّهايةِ

(اليوم المئة)

الموت..أقسى ما تمرُّ بـه بحياتـك...إنـه النهايـة لكـل شيء..نهايـة لابتساماتك..لأحلامك.. نهاية لآلامك ومعاناتك...وفي أحيان أخرى يكتب الموت النهاية لغيرك...يسطرها بقطرات دمك المتدفقة.

موت منى السماك كان نهاية لي ..حتـى وإن كنـتُ عـلى قيـد الحيـاة ..أتنفس وأنا أعلم أنني في عِداد الموتى منذ فقدتُها..موت يـسرا عبـاس كان نهاية لأبي الوفا..حتى وإن كان مُحمَّلًا بكل خطايـا الكـون، ولكنـه أدرك حبه لها من البداية وخاطَرَ بكل شيء مـن أجلهـا، وحيـنما فقـدها انتهى كل شيء لديه.

دقات على باب مـدير الأمـن...دخـل القنـاص وأدى لـه التحيـة العسكرية..جلس أمامه

بترقُّبٍ شديد..نظر إليه اللواء شاكر بضيق شديد:



- وبعدين يا حسام؟

- هانت يا فندم.

- سيادة الوزير لسه قافل معايا مش هيقدر يعملنا أكتر من كده.

- أعتقد إن قدامنا ٤٨ ساعة وكل شيء يخلص.

- شوف يا حسام..انت لما جيتلي بالقضية الكبيرة دي، أنا وقفت جنبك وخاطرت الوزارة كلها وقفت جنبك لكن ده طوفان شديد...دكتور سعيد مهران مش هيسكت واديك شوفت بعينك إزاي قدر يخرج ابنه من القضية بمنتهى السهولة.

- بالتزوير يا فندم.

- لأ بالقانون يا حضره الظابط، إنت مسكت عليه إيه؟ دليل الجريمة ومعلهوش بصمات

- مسحوه يا فندم..اخترقوا المعمل الجنائي ومسحوه.

- ده كلام مرسل من غير أدلة النتيجة إيه..مفيش بصمات مفيش شهود على وجوده في المنيل، وشهود كتير على انك قبضت عليه في فيلته قدام الشغالين والخدامين، يعنى موقفك صعب ومش إنت بس الوزارة كلها.

- أوعدك يا فندم ٤٨ ساعة وهيكون كل شيء منتهي.

اقترب من القناص ناظرًا إليه بحدةٍ:



- حسام..الوزارة هتضحي بينا لو موصلناش للدليل اللي يثبت تورطهم في كل الجرايم.

- والاعتراف؟

- مش كفايه.

- أوعدك يا فندم.

- اتفضل

- بعد إذنك

خرج حسام وعيناه ممتلئتان بالتحدي..اقترب كل شيء من النهاية...لعب الحظ دورًا كبيرًا في كشف طلاسم تلك القضية..لكن ذكاءه وإصراره لعبا الدور الرئيسي ..تذكَّر ذلك اليوم السعيد الكاشف لتلك المؤامرة الضخمة...تذكر تلك اللحظة التي قرر فيها أن يصدقني ويصدق قصتي..لولا ذلك لما اكتشف أي شيء..تذكر حينما رآني بالقرب من غرفة التحقيق بعدما تركتُ أبا الوفا غارقًا في بكائه.

- أستاذ أمير.

أتذكَّرُ التفاتي إليه حينها..لن أنسى تلك النظرة التي اخترقت أعماقي...

- ممكن نتكلم مع بعض شويه؟

جلسنا حينها ما يقرب من ساعة...استمع لقصتي كاملة دون أن يُقاطعني على الرغم أنه يعرفها جيدًا..لا أدري لماذا فعلتُ ذلك حينها



على الرغم أنني كنتُ على مَقْرُبةٍ من تنفيذ انتقامي الشديد منهم..من الجان..حَقًّا لا أدري..ربما القدر...أحيانًا تُقْدِمُ على أفعالٍ تتعجَّبُ أنك فعلتها بعد رحلة حياتك الطويلة...ربما تغير تلك الأفعال حياتك جذريًّا...

كانت المرة الأولى التي يستمع فيها القناص لقصة جهاز الخلاص..ال ١٠٠ جهاز..

لفت انتباهه ذلك بشدة...قاده ذكاؤه لسؤالي:

- الأجهزه دي فين؟

- عندي في البيت..

- ممكن أشوفها.

قالها حينها بشغف شديد...أشرتُ إليه بالإيجاب متعجبًا...خرجنا معًا من مكتبه وتوجهنا إلى البيت الملعون...صعدنا الدرجات معًا...دخلنا شقتي وظل يتفحص الأجهزة واحدًا تلو الآخر..

نظرتُ إليه:

- صدقتني؟

- أمير..فين الكشف اللي قلت عليه؟

ناولته إياه ...كشف الضحايا المئة...برقت عيناه حين تصفَّحَه..

- مش ممكن!



كنت أعلم أن ما مررتُ به مستحيل التصديق ولكنه حقيقة مجردة.

نظر القناص إليَّ حينها بعينين ثاقبتين:

- أمير...إحنا لازم نفتح شنطة من دول صرخت فيه متوترًا:

- لا لا لا لا ...تفتح إيه؟ أي جهاز من دول هينفتح وصاحبه مش حواليه هيعمل انفجار مداه

١٠ كيلو.

- عاوزك تثق فيا.

- يا حسام بيه أرجوك هنموت سيبني أخد حقي وأنقذ الناس.

أمسك كتفي ونظر إلى عيني:

- اسمع يا أمير...إنت مش فاهم حاجة لازم نفتح شنطة من دول.

أزلت يده بقوة ...توجهتُ إلى باب شقتي ناظرًا له بحدة:

- شرفت يا حسام بيه

ساد الصمت لحظات...اقترب منى حسام حينها وأخرج مسدسه وصوَّبه ناحية رأسي..

صرختُ فيه:

- إنت كده هتموتنا كلنا.

- ولا حركة.



- ده جزاتي إني جيبتك لحد هنا.

- إنت مش فاهم حاجة.

اقترب حسام من أحد الأجهزة..وضعه أمامه بيده الأخرى ..حاول أن يفتحها ..العرق يتصبَّبُ من جبيني خوفًا..لم يستطع ...نظر إليَّ شاهرًا مسدسه.

- تعالى افتحها.

- لا مش هفتحها.

- افتحها بدل ما هموتك هنا بنفسي.

- هتنفجر.

قلتُها صارخًا بوجهه.

- افتحها بقولك.

بادلني نفس الصُّراخِ بحدةٍ.

اقتربتُ منه بيدٍ مرتعشة..مددتُ كف يدي اليسرى وأنا أودِّعُ الحياة...سأنتهي على يدي ضابط شرطة عنيد وغبي..لعنتُ نفسي مرات ومرات ..يا ليتني لم أخبره...يا ليتني كتمتُ مأساتي...سيأتي بعدي ضحية أخرى يساعدهم على خطتهم اللعينة..البشرية كلها بخطر ..ضوء ينبعث من مقدمة الجهاز ينبئ بفك قفله..حينها اعتقدتُ أن الانفجار حتميٌّ لا محالة..مد القناص يده ليفتح الجهاز..فُتحت الحقيبة أمامه وبرقت عيناه كالصقر...كنت أُغمض عيني مستعدًّا للتحول



لأشلاء متناثرةٍ على بعد ١٠ كيلومترات.. كنتُ أستعدُّ لركلة شديدة ستصيب قلبي ليكف بعدها عن نبضه الدائم..لكن لم يحدث شيء، لا شيء...لا انفجار...كل شيء ساكن مكانه...فقط القناص ينظر لي.

- تعالى بص.

نظرتُ له بتعجب شديد..تحركت ناحيته ببطء بعدما ترك مسدسه جانبًا..

لم أُصدقْ ما رأيته بتلك الحقيبة..أهذا ما تحويه أجهزة الخلاص؟!

أكياس بداخلها مادة بيضاء اللون عرفت بعدها أنها مُخدِّر الهيروين، تلمسْتُها غير مصدقٍ ما بها...نظرتُ للقناص وعيني تحملان ملايين الأسئلة المتشابكة...

نظر لي القناص بانتصار..

- عاوزك تنفذ اللي هقولك عليه بالحرف الواحد.

كنتُ ضحية مؤامرة كبرى..عصابة للاتجار بالهيروين ووقعت بشباكهم ...لا أدري كيف...عقلي لم يستطع الوصول حينها لأي شيء...طلب مني القناص أن أمكث بالبيت وأستعدَّ لتكملة باقي الخطة المتفق معهم عليها...كل الأسماء الواردة بالكشف ما هم إلا تجار تجزئةٍ يتسلمون كميات من الهيروين مقابل أموال مدفوعة مُقدمًا للتاجر الكبير ...من هو؟ ذلك هو السؤال..وما علاقة ناصور بذلك؟ وهل من عايشتهم تحت الأرض هم حقًّا جن؟ أسئلة غامضة كثيرة تبحث عن إجابة ...فؤجئتُ بعلا بعدها تجلب لي الحل الأول...تسليم



الأجهزة أو لنقل البضاعة هذه المرة على فتراتٍ متقاربة..أخبرني القناص حينما أبلغته بذلك همسًا من هاتفي المحمول داخل غرفتي أثناء وجودها بصالة المنزل أن علا محتمل أن تكون فردًا من العصابة...لم أصدقه..أكد لي حينها أن هناك شواهد لذلك...وسيخبرني بها في حينها، وأن عليَّ الثقة العمياء به ..طلب مني التجاوب معها ...خرجت لها وعيناي ممتلئتان بالشَّكِّ..حاولت كثيرًا أن أُخفي ذلك وأبدله بمشاعر الحب المتأججة حتى أتأكد...

إلى أن رَنَّ هاتفي المحمول بعدها بيومين..كان أبو الوفا..أجبت متعجبًا...كنتُ قد انتهيت من أول ثلاثة في القائمة الجديدة.

- إنت خرجت يا أبو الوفا؟

لم يكن صوته..كان صوت القناص

- أمير..تعالى على مستشفى الميري بسرعة.

جريتُ إلى هناك سريعًا...أبو الوفا أُصيب بطلقٍ ناريٍّ بعد خروجه من النيابة..هكذا قال لي القناص ناظرًا إلي.

- مات؟

- ادخله عاوزك.

أشار إلى غرفة العناية المركزة..دخلت تلك الغرفة ..كان مُمَدَّدًا على السرير والأجهزة الطبية تخرج من كل جسده...تستمع إلى صوت جهاز القلب بجواره بصوت يرهبك ..امتلأت عيناي بالدموع حين رأيته..



أبو الوفا لديَّ أخ لم تلده أمي على الرغم مـن ماضـيه الأسـود... ربـت بيدي على يده ففتح عينيه ورآني...

نظر إلي والدموع تملأ عينيه:

- أمير.

- متتكلمش يا أبو الوفا..إجمد وهتقوم منها إن شاء الله.

تنهد وانسالت الدموع من عينيه:

- لا أنا خلاص خلصت.

- متقولش كده يا صاحبي.

- أمير...لازم تعرف كل حاجة.

نظرتُ له صامتًا ..كان يتوجع بشدةٍ وعلى الرغم من ذلك لم يكـف عن الكلام.

- أنا قولتلهم ..وإنت كمان لازم تعرف.

- أعرف إيه؟

- الحكاية. مفيش جن.

لم أتخيَّل يومًا ما أن يكون أبو الوفا ضالِعًا بتلـك المـؤامرة...برقـت عيناي مصدومًا ..

اقتربتُ منه ناظرًا إلى عينيه:

- إنت يا أبو الوفا..إنت؟



- غصب عني يا صاحبي..اسمعني كويس، مش وقت عتاب ولوم...بس لما أموت اترحم عليا.

نظرت له بحدةٍ متناهية.

استرسل هو بقصته:

- أنا لما قولتلك إني كنت ابن لكاظم بدالك مكنتش بكدب عليك..كاظم نصر كان قلبه ميت...جريء..معدوم الضمير..بيتاجر بأي حاجة حتى، وإن كان البني آدمين نفسهم.

- الله يجحمه مطرح ما راح.

- مماتش.

- إيه؟

كانت الصدمة الثانية لي..هل أبي الكريه ما زال على قيد الحياة؟!

- أبوك مماتش يا أمير...أبوك عايش وهو اللي رتب كل ده..

- أنا مش فاهم حاجة...

- أبوك كان بيتاجر في المخدرات من الباطن، وكان واخد حكاية الأعمال السفلية دي ستار بيوزع بيها على زباينه من غير ما حد يشك فيه، ومن خمس سنين جاتله إخبارية إن الحكومة بدأت تشك فيه وبتبعت وراه مخبرين يشمشموا وراه، فاخترع حكاية موته دي عشان يبعدوا عنه.



تنهد أبو الوفا بصعوبةٍ مُحاولًا إكمال قصته ودموعه لا تنضب:

- ولما مات بقيت أنا اللي مدور شغل الأعمال قدام الناس لحد ما الحكومة بعدت عننا خالص..إنت كنت موصي الشرنوبي يبيعلك البيت، وكل مكالمة ليك معاه كان بيقولها لابوك، الشرنوبي كان شغال معانا في التوزيع، وكان مطلوب منه يماطلك ويزهقك من البيع.

نظر إليَّ أبو الوفا متسائلًا:

- إنت سامعني؟

- كمل يا أبو الوفا سامعك.

- في يوم كنا سهرانين في الكباريه اللي أخدتك فيه مرة..اتعرفنا هناك على عباس ابو خطوة..عباس برضه، كان شغال في الصنف ومن بعدها بدأ كاظم يشتغل على أكبر وبقى بيوزع كميات أكبر واكبر.. وفي يوم ..الكلام ده من سنة ونص تقريبًا جت لابوك فكرة جهنمية..

- فكرة ايه؟

- المصنع..

- مصنع إيه؟

- عارف شبكه المجارى القديمة اللي بتعدي تحت بيتكوا؟

- مالها؟

- أبوك جاتله فكرة إنه يعمل فيها مصنع هيروين، وعرض الفكرة على عباس...وهنا ظهر الراجل الكبير.



- مين؟

سألته بشغف كبير:

تنهدَ مُتوجِّعًا:

- دكتور سعيد مهران..

لم أكن أعلم من هو حتى تلك اللحظة..علامات التعجب كانت على وجهي.

- ده يبقى أبو دكتور أشرف مدير المستشفى، راجل أعمال كبير ومليان فلوس ..كان بيشتغل في الهيروين بس على كبير أوي... وكانت المقابلة الأولى بينه وبين ابوك، أعجب بالفكرة ..واتفق مع صديق ليه اسمه فهمي سميح...تقريبًا نسيبه إنهم هياخدوا قرض بمليار جنيه ومش هيسددوه..لبسوها لاتنين تانيين على نياتهم ...نادر السلحدار جوز علا اللي لقوه مقتول في عربيته في نفس الليلة اللي اتقتل فيها الشريك التاني واحد اسمه فريد الشناوي جوه زنزانته في السجن بعد ما هدد إنه هيكشف الكل ...قتلوه وقالوا إنه انتحر وخلصت القضية من غير حد ما يحس بيهم وخرجوا بالمليار جنيه سُلام، استوردوا بيهم مواد خام للهيروين، وعملوا المصنع، أبوك مش بس كان صاحب فكرة المصنع، لأ كان كمان صاحب فكرة التوزيع.

تنهدت ناظرًا لأبي الوفا:

- الجن؟



- أيوه...تجار التجزئة كانوا بيدفعوا بتحويلات بنكية سرية، المليار جاب ١٠ مليار مكسب...وكان الباقى إنهم يستلموا من غير مشاكل، وحل الجن ده كان عبقري، كان لا يمكن حد يكشفه..أو حتى يخطر على باله إنها لعبة، البضاعة اتقسمت على ٣٠٠ شنطة...

- ٣٠٠ جهاز!

قلتُها ساخرًا.

- اللي كان بيقع عليه الاختيار كان ديمًا حد قريب من دايرتهم ...باختصار عاملينله دراسة اجتماعية ..وكان ديما بيعاني من مشاكل واضطرابات في حياته تسمحلنا نلاقي المدخل الصح ليه... اللي كان بيوافق على طول كان يا دار مادخلك شر...واللي كان بيعصلج زيك كان بيلبس قضية تدخله السجن ومنها على مستشفى العباسية لأنه عارف إنهم مش هيصدقوه وضروري هيحوله لهناك.

- وهناك طبعًا أشرف يقوم بالواجب.

- لا...دكتورة علا!

- إيه؟

تأكدت شكوكي تمامًا حينها...ذلك الملاك الرقيق لم تكن سوى شيطان يُخفي مخالبه خلف عينين ساحرتين.

- أشرف ميعرفش أي حاجة عن شغل أبوه كل مشكلته في حياته انه بيحب علا جدًّا، وابوه مانعه عنها ..فساءت حالته لحد، ما قتل دكتور هشام الشناوي، وعلى فكره ده كان أول واحد يرفض



لعبه الأجهزة والجن ودخل المستشفى، لحد ما نخ واشتغل معاهم.. دكتورة علا كان مهمتها توقع اللي قدامها.. في حبها عشان تسيطر عليه لما يخرج وفي أي وقت يغير رأيه كانت بتقدم له الحل البديل.

- الإنقاذ؟

- بالظبط تقنعهم يكتبوا جوابات ويوصلوا الشنط لنفس الناس بنفس المواعيد، الفرق بس إنك مش هتشغل الجهاز بإيدك وساعتها بيكسروا الشنطة وخلاص.

- يا ولاد الكلب. طب ليه طلبت مني عدم الالتزام بالمواعيد؟

- لان أكيد القبض على أشرف قلبلهم الترابيزه، وكانوا عاوزين يخلصوا من المخاطر اللي حواليهم.

نظر أبو الوفا إلى سقف غرفته ودموعه بعينيه:

- كل شيء كان مترتب...من أول مجيتك لمصر اللي أنقذت حياتي لحد دلوقتي.

- أنقذت حياتك ازاي؟

- أنا والمعلم نبوي خنصرنا كمية من الهيروين من ورا ابوك وكنا هنبيعها لحسابنا، واتفقنا فعلًا مع المعلم الدمنهوري ومقولنلهوش إنها خاصة بينا ..كان فاهم إنها تبع كاظم لكننا منحوسين والبوليس كبس ساعتها واتمسكت البضاعة وهربت أنا بالفلوس..أبوك كان هيموتني ويخلص عليا لكن إنت لحقتني على آخر لحظة.



- ازاي؟

- اتصلت بالشرنوبي وقولتله إنك جاي تبيع البيت ..

- أه كنت ههدلكم كل اللي بتعملوه طبعًا.

- أبوك طلب مني إني ألازمك زي ضلك، وأجرجرك لجلسة الجن عشان نشوف رد فعلك، يا هتوافق وكان بها..يا هترفض ونمشي في السكة التانية معاك.

- وعلى إيه ده كله ما كنتم تقتلوني وخلاص!

- ده كان رأى الراجل الكبير دكتور سعيد مهران.. لكن ابوك رفض...كانت مشكلة كبيرة بينهم انتهت إنه وافق في الآخر إنك تخش التجربة، أبوك كان عاوز يربيك من جديد، صدقتني بقه لما قولتلك إن ابوك بيحبك.

- أنا مكرهتش في حياتي حد قد ماكرهته!

- غلطان.

تنهدتُ أحاول أن أفهم كل شيء..من الصعب استيعاب كل ذلك بسهولة..

سألته:

- توفيق وسمير وشبيهة يسرا انتحروا؟

- لا ... اتقتلوا.



- التلاتة كانوا ساكنين في بيت ٣ ـدوار شبه بيتك، وتحتيه نفس شبكة المجارى القديمة واصلة لحد عندهم، كاظم كان عاوز يتوسع ويعمل مصنع جديد، ويزود الإنتاج واختار بيتهم فكان لازم يموتوا، وفي نفس الوقت استخدمهم كارت إرهاب ليك عشان تنخ وتوافق.

- ومين اللي دبر الخمس جرايم الأولى؟

- أبوك. بعتلك الشرنوبي وبعت ليسرا الوليه بتعه الخاطبة، ولسمير واحدة هولندية عجوزو كانت بتشتري مننا هيروين برضه، وانا اللي بعت الملواني جوز اختي لتوفيق، وطلب من نبوي إنه يجيني الحوش... كانوا فاهمين إنهم هيحطولنا منوم في الشاي، عشان يدخل بعدها كاظم ورجالته يخلصوا علينا ..هم فهموهم كده..لكنهم اتفاجأوا إنهم هم اللي اتقتلوا غدر...

- تفكير أبالسه!

- كل حاجة كانت محسوبة بالسنتي...تقرير الطب الشرعى هيبين إننا كنا متخدرين وهنخرج منها زي مادخلنا، وعلى بال ما التقرير يطلع كانت دي مده مناسبة يلاعبوك فيها.

- والجن؟ وناصور؟

- كاظم ديمًا كان بيعمل دور ناصور مع كل اللي جم قبلك ..حتى اللي جه بعدك كان اسمه فادي...مصور فوتوغرافيا وقعته لا ...لكن معاك انت مكنش ينفع إنه يعمل ناصور ...

- أمال مين؟



- اللي كان قدامك ده دكتور سعيد مهران..إنت الوحيد اللي عمل معاك دور ناصور.

- والجلسات؟

- كنت بحطولكم منوم في العصير الأحمر...يغمى عليك ونشيلك هيلا بيلا للبدروم ومنه على سلم داخلي يوصل لشبكه المجارى القديمة

- يعني الكهف ده؟

- أيوه كان تحت بيتكم... جهزناه على أعلى مستوى، واللي كنت بتشوفهم دول رجالتنا كانوا بيمثلوا إنهم بيعيطوا.

- يا ولاد الكلللللللللللب!

توجع أبو الوفا بشدة...نظر إليَّ وكأنه يودعني:

- أنا أسف يا صاحبي...هتسامحني؟

انسالت الدموع من عيني...حقًّا أحبُّه...ولكن هل سأسامحه على كل ذلك...سأغفر له غدره وخيانته لي ...سألته سؤالي الأخير:

- ليه كنت بتحاول تبعدني عن علا طالما هي معاكم؟

بكى أبو الوفا:

- عشان بحبك..مكنتش عاوزك تتخدع أكتر من كده كنت بتعذب وأنا بشوفها بتلف حواليك زي الحية كنت هاخدك بعد ما نخلص ونهرب بعيد ومعانا الفلوس ويسرا وابني..ابني.



انهار باكيًا حينها ..ربتُّ على يده محاولًا تهدئته..توقفَّ ذلك الصوت اللعين فجأة..صوت جهاز القلب...انسالت دموعي ..ومات أبو الوفا...ماتت الجولة المزيفة..مات الصديق الغادر.

جلست دامع العينين أسترجع تلك التجربة الشاقة اللعينة...أنتظر المحطة الأخيرة بها بشغف شديد...أنهيت قائمة تجار التجزئة الخمسين في ثلاثة عشر يومًا...قام القناص ورجاله بتصويرهم عن قُرب وهم يستلمون بضاعتهم ..كان يرصد تحركاتي من تلك الساعة التي أهداني إياها بعدها، وطلب مني ألا أنزعها مطلقًا من يدي...علمني أنه إذا ضغطت على زر بجانبها سينقل كل ما يدور حولي له بالصوت..

بقى شيء واحد...القبض عليهم متلبسين ..الأمر في غاية الصعوبة... إذا اقتحمت الشرطة أسفل البيت سأُتَّهم أنا فيها، وسأحصل على حكم بالإعدام بجدارة...

اتصلت بعباس أبي خطوة طالبًا منه الحضور لعقد جلسة جن جديدة..

طرقاتٌ أعرفها على الباب..فتحت الباب لأجده أمامي..عباس أبو خطوة...

بابتسامته المعهودة...كل شيء جاهز..الشموع الحمراء...السائل الأحمر لكنه بدون منوم تلك المرة...أقنعت أبا خطوة أنه من بقايا آخر مرة جهزه أبو الوفا ...



بدأت الجلسة على أضواء الشموع...المنقولة حرفيًّا للقناص القابع بالقرب مع رجاله منتظرًا اقتناص اللحظة المناسبة للهجوم... صرخ بتعاويذه الزائفة..

- أقسمتُ عليك بيوم البعث والنشور

وبحق النور ونور النور ومدبر الأمور

إسرافيل النافخ في الصور

هاجت الجن في القبور وزعقت

الشياطين بالحضور

بحق النار والنيران والبرد والوهجان

وكفة الميزان

تظاهرت بالإغماء..غبتُ عن الوعي أمامه ...دقائق قليلة وانفتح الباب..دخل رجل ضخم الجثة المسمى بالدهار ومعه آخر..حملاني فوق كتفيهما..هبطا بي الدرجات...كنت أشعر بكل شيء...مكث عباس بالأعلى ..اقتربا من ذلك الباب الصغير الذي طالما ابتعدتُ عنه منذ صغري..هكذا طلبت مني والدتي ..مررنا خلاله إلى سُلَّمٍ خفي.. هبطا درجاته..تلصصت بعيني لأجده نفس المكان..الكهف...مشاعل النيران على الجانبين..وضعاني أرضًا وسط هؤلاء البكائين..انتظرت قليلًا وبدأت بالإفاقه...نظرت لهم ولبكائهم...هؤلاء رجال والدي رئيس العصابة..نظرت للقصير الممسك بقائمته ينادي منها...أستمعُ إلى اسمي



- أمير كاظم نصر.

دخلت ذلك الممر الأسطواني مستمعًا لـنفس الأصـوات الممتزجـة بين الصراخ وأصـوات النـساء والموسـيقى الراقـصة..همـستُ لنفـسي ساخرًا

- يا ولاد اللعيبة..صـارفين صـارفين يعنـي ..أمـال المليـار جنيـه هيروح فين.

دخلت غرفة ناصـور..كـان أمـامي جالـسًا بـالأعلى عـلى عرشـه المزيف...هبط ناصور أو لنقل الدكتور سعيد مهران على درجات السلم لآخر مرة..

- أهلا بيك يا أمير ...خير؟

نظرتُ له ساخرًا

- أنا غيرت خطتكم وأنقذت خمسين واحد من الكشف

ضحك حينها مُربِتًا على كتفي:

- واحنـا مـسامحين..كفايـة إنـك تعاونـت معانـا في الخمـسين الأولانيين

- يعني مش زعلان؟

- أبدًا ...إحنا بنشكرك على حسن تعاونك معانا.

- وأنا كمان بشكرك على حسن تعاونك معنا.



نظر لي غير فاهم أي شيء.

- تقصد إيه؟

لم أُجِبْ أنا ..كانت الإجابة أصوات الرصاص والارتباك بالخارج... في لحظات كانت الغرفة ممتلئة بالشرطة.. دخل القناص مبتسمًا بانتصار شاهرًا مسدسه بوجه سعيد مهران

نظرت لسعيد مهران:

- فهمت يا باشا؟

ضُبِطَ مُتلبِّسًا بموقع الجريمة..الآن فقط تصبح اعترافات أبي الوفا ذات قيمة..مئات من الحقائب الممتلئة بالهيروين ..النقيب شادي يدخل من أحد الأبواب وأمامه كاظم نصر..لن أنسى نظراته تلك طوال حياتي..وأخيرًا انتصر الخير على الشر..انتصر الحق على الباطل..لم ينطق بكلمة واحدة ..ولم أنطق أنا أيضًا..وكأن الكلام قد انتهى...

وانتهت اللعبة..قُبِضَ على دكتورة علا وانهارت سريعا معترفةً بكل شيء...تعللت بخوفها على ابنها إياد فكانت تضمن له مستقبله...كشفت بنفسها بداية اتفاقها معهم..حينما زارها سعيد مهران وساومها ليلة وفاه زوجها..هو من نَقَلَ لها الخبر...قال لها حرفيًّا:

- يا تكوني معانا يا ضدنا..اللي معانا هيعيش ويتمتع ..واللي ضدنا بيموت زي جوزك وزي فريد الشناوي.

ارتعبت حينها للغاية ووافقت على كل شيء...خوفها أن تعود مرة أخرى للفقر والاحتياج دفعها للجريمة خاصة أن سعيد مهران



استخرج لها عقود بيع بتواريخ قديمة لمعظم ممتلكات زوجها حتى لا تدخل تحت طائلة القانون وقضية القروض.

وانتهت أكبر لعبة بالتاريخ..لعبة الصراع الأزلي...لعبة الجان المزيف...لعبه النهاية.



الوداع

(اليوم الأخير)

الآن وقد انتهى كل شيء..عدتُ مُجدَّدًا وحيدًا شريدًا لا أملك أي شيء سوى ذكراها..حبيبتي الراحلة ..منى السماك...اقتربت الساعة من الخامسة فجرًا...اقتربت الشمس من الخروج...الخروج من مشرقها...

كانت مُحقَّةً..الموت بجوارها أفضل ..يا ليتني فعلتُها حينها ولحقت بها..يا ليتني أنهيتُ عذاباتي بفراقها منذ زمن..

أمسكت قلمي بيدي المرتعشة لأسطر آخر كلماتي:

إلى حبيبتي الغائبة...إلى عمري الضائع...سأهرب إليكِ ...انتظريني.

ألقيتُ القلم...دخلت إلى صالة منزلي..أستمع الآن إلى أصوات العصافير تغرد فَرِحَةً بشروق الشمس..لعلها فرحة بلقائنا المُرْتَقَب...



حبال سميكة تتدلى من السقف أعددتُها مسبقًا لتكون شاهدة علـى حبي لها..

وداعًا أيتها الحياة اللعينة..وداعًا أيها العمر الْمُعـذَّب..وداعًـا قلبـي ...

علقتُ رقبتي بتلك الحبال..الهواء يزداد بكل أنحاء شقتي ليُطهِّرَها .. أشتمُّ نَسيمَ الحرية.. أشتمُّ رائحتها العطرة..أغمضتُ عيني مُـستمتعًا بخروج روحي..أصوات العصافير تطرب أذني..بعد لحظـات سـأرتمي بأحضانها... سأتلمَّسُ يدها الرقيقة..سأرقصُ معها رقصتَنا الأبديـة... سنغني معًا ...

إنها الجنة...إنها حبيبتي..مُنى قلبي...الوداع.



عفريت العلبة

إرث دنس تتوارثه الأجيال، وأرض واحدة يتصارع
عليها فئتان إنس وجانٌ، كلاهما برئ، وصفقة قذرة
تمهّد طريقًا للمغضوب عليه منذ أمد الأزمان
الشيطان متابعًا عن كثب من وراء الستار
بدء انتهاء غريمه الوحيد.

الإنسان، عدوه الأزلي، قارب على الرحيل،
خطةٌ محكمة لا يقوى على إيقافها بشرٌ ولا جانٌ،
خطة يخطو منفذوها على جثث بني البشر
ليتملكوا الهدف المنشود، الأرض وما عليها.



عمرو البدالي - طبيب أسنان وروائي
صدر له روايتي فلقاس بن فرناس و نارويا وشارك بسيناريو
وحوار الفيلم أمد سيناء وحصل على جائزة أحسن سيناريو
بمسابقة القوات المسلحة للأفلام الروائية الطويلة

تصميم الغلاف : محمد حمود





978-977-786-099-4